صرخة الأبكم

ليبيا 1969-2011

عامر الدحير

الهيئة العامة للثقافة
GENERAL AUTHORITY FOR CULTURE

متاح للتحميل ضمن مجموعة كبيرة من المطبوعات من صفحة
مكتبتي الخاصة
على موقع ارشيف الانترنت
الرابط
https://archive.org/details/@hassan_ibrahem

صرخة أبكم

عامر الدحير

صرخة أبكم

متاح للتحميل ضمن مجموعة كبيرة من المطبوعات من صفحة
مكتبتي الخاصة
على موقع ارشيف الانترنت
الرابط
https://archive.org/details/@hassan_ibrahem

الهيئة العامة للثقافة
GENERAL AUTHORITY FOR CULTURE

متاح للتحميل ضمن مجموعة كبيرة من المطبوعات من صفحة
مكتبتي الخاصة
على موقع ارشيف الانترنت
الرابط
https://archive.org/details/@hassan_ibrahem

عامر الدحيبر

صرخة أبكم

الطبعة الأولى : 2020 م

رقم الإيداع المحلي: 2018/355

رقم الإيداع الدولي: 9789959-25-943-1

جميع حقوق الطبع والاقتباس والترجمة محفوظة للناشر

دار الكتب الوطنية بنغازي - ليبيا

هاتف: 7165022.21821+ - بريد مصور 4843580-21821+

ص.ب: 75454 - طرابلس Email: almosgb@yahoo.com

المقدمة

صرخةُ الأبكم؛ كتاب كتبتُه، وأول ما تبادر إلى ذهني حينها أن أكتبه دفاعاً عن الحق ووقوفاً ضد الظلم، وتبياناً للحقيقة لهذا الجيل والأجيال القادمة، وهذه الحقيقة أردتُ تبيانها ليس لليبيين فقط بل وللشعوب الأخرى.

ولعلي بكتابي هذا أنقل درساً قاسياً طويلاً، أضاع علينا زمناً ما كان ليضيع.

بعضٌ من كتاباتي في هذا الكتاب كُتبتْ زمن القذافي، والآخر منها زمن الثورة التي قامت ضده في فبراير 2011، وتعمَّدتُ أن تظل كما هي معايشة للثورة يوماً بيومٍ إلى نهايتها، وهي في مجملها كتابات لا تمثل سرداً تاريخياً تقليدياً لما جرى منذ سبتمبر 1969 إلى أكتوبر 2011، وإنما هي انعكاس لحياة مواطن عاش تلك الفترة وتأثر بها، ودوَّن معاناته وآلامه، ورسم آماله وطموحاته في جملة من المقالات والآراء والخواطر نابعة من حقائق وأحداث كَبلت وقَيدت وأدمت وأرَّقت الوطن والنفس والبدن، وأُخرى أطلقت صرخة الأبكم، فليس هناك أقوى من صرخة الأبكم عندما تنعدم أمامه الحلول.

متمنياً من الله ـ العلي القدير ـ أن يَلقى صداه، وأن ينفع به فأحداث الثورة منذ انطلاقتها في 15 فبراير 2011 بيَّنت أن هناك فجوةً ثقافيةً عميقةً لدى بعض شرائح المجتمع، صدموا بالحدث المفاجئ الذي

يهدف إلى التغيير ووجدوا أنفسهم في حيرة وتردد وخوف فيما حسم البعض الآخر أمرهم منذ البداية.

وتجاذبتهم وسائل الإعلام بما أمتلكت من قوة تأثير وأدوات.

وهذا الكتاب قد يبرز الحقيقة لهؤلاء وللآخرين إينما كانوا وقد عنيت به الإصلاح لأجل التقدم المنشود.

والله ولي التوفيق

فبراير 2011

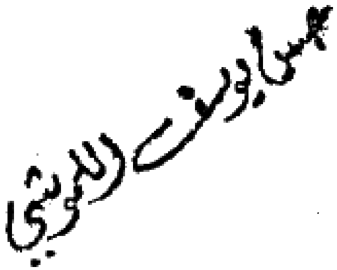

متاح للتحميل ضمن مجموعة كبيرة من المطبوعات من صفحة
مكتبتي الخاصة
على موقع ارشيف الانترنت
الرابط
https://archive.org/details/@hassan_ibrahem

أمل وترقُّب وعودةٌ إلى الماضي

كأيِّ ليبيٍّ كنتُ على علم من خلال الفيس بوك أن يوم السابع عشر من فبراير 2011 هو يوم الغضب في ليبيا، وكنتُ أتساءل بيني وبين نفسي عمَّ إذا كان هذا اليوم هو اليوم الموعود الذي سيخرج فيه الليبيون للتظاهر والزحف إلى الميادين وخاصة ميدان الشهداء بطرابلس ليصبح منارةً للحرية كما هو الحال بالنسبة لميدان التحرير بالقاهرة التي سبقتنا في ذلك ومن قبلها ثورة البوعزيزي في تونس.

والحقيقة إني كنتُ مستاءً جداً ويتملَّكني الإحباط ربما للمعاناة الكبرى التي عِشتها طيلة سنوات عمري الماضية، فأنا من مواليد الخمسينيات من القرن الماضي، وعندما قام انقلاب سبتمبر 1969 كان عمري حوالي اثنتي عشرة سنة، ما يعني أنني بدأت ألتمس طريقي إلى فهم الحياة العامة وإدراك بعضٍ من أمورها مع قيام هذا الانقلاب، ومازلتُ أذكر اليوم الأول له وهو يوم الاثنين 1969/9/1، في ذلك الصباح، ورغم طفولتي إلا أن كل التعليقات التي سمعتها، وكل المشاهد التي شاهدتها في ذلك اليوم التصقتْ بذهني ولم تبْرحه حتى اللحظة.

لقد أرسلتني أمي لأشتري القليل من الشاي والسكر من المتجر الموجود بالشارع القريب منا، وعند وصولي إلى المتجر وطلبتُ من البائع حاجتي، فإذا به ينصرف عني ويتقدم إلى أحد الرجال القادمين

إلى متجره مهنئاً إياه، وقال له "مبروك قضوا على قوة الدفَّال" (كلمة الدفال تعني باللهجة الليبية البصّاق على الوجه) ويَقصد هنا قوة الدفاع، وهي القوة التابعة إلى وزارة الدفاع في عهد الملك محمد إدريس السنوسي وحكى له عن الثورة التي تفجرت في فجر ذلك اليوم دون علمه بالقائم عليها أو قائدها.

كلما تذكَّرتُ هذا الحديث وهذه التهاني يتبادر إلى ذهني كم كان هذا التاجر مخدوعاً دون أن يدري أو يعلم بأن أحد أهداف قائد هذه الثورة قفْلُ متجره، وأُورد هنا كلمة الثورة وأكررها في عدة جمل لأنها المصطلح الذي تداوله الناس دون تمييزهم بين الثورة والانقلاب.

كنت أتابع الأحداث على مدى فترات عمري وأختزلها، وأعاني منها شديد العناء، وأحاول تدوين بعض مُعاناتي في كتاباتٍ قصيرةٍ في بعض الوُرَيْقات التي حافظت عليها.

وأنا هنا لن أدخل في سرد لتلك الأحداث، لأنها حتماً سيذكرها التاريخ، ولكني سأتطرق لبعضها المهم لأعلق عليها بمنظورٍ أحسب أنه أدبي يوضح الحقيقة للأجيال بعين مواطنٍ ليبيٍّ عاش في ظل ذاك النظام ودوَن رأيه فيه وفي رموزه بإعتبارهم شخصيات إعتبارية عامة قابلة للنقد والتصويب.

في الأيام الأولى لثورة سبتمبر حكى لي أبي أنه تقابل مع رجلٍ إيطاليِّ الجنسية من الجالية الإيطالية التي كانت مقيمة في طرابلس وتحاور معه عن الثورة وقيادتها، وركزا كثيراً على قائدها وانتماءاته وثقافته وعمره، وخرجا بنتيجة واحدة وهي أن هذا الرجل لا يُؤمل فيه

خيرٌ، فهو شخصية غامضة لا تمتلك قدراً من الثقافة والعلم، وصغير السن، ومثل هذه الشخصيات قد تنساق وراء ميولها القاصرة، ويصعب التعامل معها، وإذا ما استتب لها الأمر فإن التعامل معها يزداد صعوبةً وتعقيداً أكثر وهو شخصية عسكرية ريفية؛ ما يعني أنه قد يميل إلى الصلابة السلبية والعناد بعيداً كل البعد عن الحضر بما يتميز به من ثقافة تكون مبعثاً للتفاهم وأقل حدَّةً وخطورةً، وأكثر ملاءمةً لتولِّي القيادة دون مخاوف، هذا التحليل الذي استمعتُ إليه وأنا صغيرٌ أوجزَ بصورة دقيقة ملامح الشخصية القادمة، وكان على درجةٍ كبيرةٍ من الدقَّة والحقيقة التي عشناها مستقبلاً.

إن الأحداث المهمة الكبرى التي اضطلعتْ بها الثورة في بدايتها؛ كإجلاء القواعد الأجنبية من على الأرض الليبية، أو إجلاء الجالية الإيطالية التي كانت تسيطر على أهم شوارع طرابلس وتحتكر المزارع، وتأمين الشركات الأجنبية والمصارف، لا شك أنها أحداث مهمة للغاية أعطت دفعةً قويةً للثورة ولمن قاموا بها واكتسبتْ أهميتها من المعاناة التي كان يشعر بها الليبيون نتيجة الوجود الأجنبي، ولو كان ذلك في صورة قواعد أو جالية أو شركات، وهي إنجازات كانت تتمةً لمجهودات سابقة استمرت حتى الأشهر الأخيرة التي سبقت الثورة، وهي أمور تخضع لإرادة الثورة التي هي منطقُ التاريخ، ولطالما أرادت الثورة ذلك فلا بد له أن يتحقق ويحدث.

أما التحدي الكبير الذي كان يواجهها فهو خلق التوازن في العلاقة بين الثورة وبين من قامت لأجلهم لئلا ينفرط عقدها وأن تتخذ من

عادات وأعراف ومعتقدات المجتمع مُدخلاً للتعامل معه وفيما بينه، والتركيز وعدم بعثرة الجهود، والحفاظ على مقدرات الدولة، وعدم الانزلاق إلى الفكر الأيديولوجي أو الارتماء في أحضان نظام معيَّن، وهذا ما لم يحدث أبداً، ولن أقول إنه بدا واضحاً منذ السنوات الأولى للثورة، بل ـ وللأسف الشديد ـ منذ الأيام الأولى لها.

ومن أبرز هذه الأنظمة التي احتضنت الثورة وقائدها ومن معه من أعضاء المجلس نظام "جمال عبد الناصر" في مصر الذي كان يدعوهم بأبنائه، فمنذ اليوم الأول للثورة بعث بضباط مخابراته إلى طرابلس وبنغازي ليكونوا مع مجلس قيادة الثورة الذي يترأسه معمر القذافي، وليتابعوا الأحداث أولاً بأول وليكونوا على اتصال مباشر به يومياً بل صباحاً ومساءً.

وأرسل بكتيبة عسكرية كانت متواجدة في ليبيا وترتدي الزي العسكري الليبي، وهي تحت تصرُّف المجلس ورئيسه خاصة باعتباره القائد الأعلى للقوات المسلحة.

وأتبعهم بالكثير من المستشارين العسكريين والمدنيين ليُقحمهم في شتَّى مناصب الدولة الليبية، ومواقع اتخاذ القرار فيها حتى بلغ ذلك تقلُّد شخصيةٍ مصريةٍ إحدى الوزارات، ناهيك عن الجالية المصرية التي ملأت جميع المرافق، وتولت إدارة معظم القطاعات، وحازت الشركات المصرية ـ بناءً على اتفاق مع المجلس ورئيسه ـ على معظم المشاريع؛ وخاصة في مجال الإسكان والزراعة واستصلاح الأراضي، وفاق عدد المصريين في سنة من السنوات عدد الليبيين في طرابلس.

كما وأن أحد الضباط المصرين التابعين لـ "جمال عبد الناصر" أصبح يُعامَل كعضو بمجلس قيادة الثورة، ويحضر كل اجتماعاتهم، وأصبح كأنه سكرتيرُ عام المجلس، وتتم الاستعانة به في الأمور كافةً، وخاصة تلك التي يستعصي عليهم فهمها واتخاذ قرار فيها، ويقوم بالتدخل فيما بينهم لحل كل الخلافات التي قد تنشأ بينهم، واسترضاء "معمر" رئيس المجلس في العديد من المرات التي ظهرت فيها خلافات كبيرة مع باقي الأعضاء، كل ذلك بمشورة وأوامرَ مباشرةٍ من "جمال عبد الناصر".

وبلغ الحدُّ أنه كان يقدم المساعدة بكتابة الكلمات أو الخطب التي قد يحتاجها أعضاء المجلس أو ربما رئيسه بذاته لأنهم ـ للحقيقة ـ كانوا عساكر بسطاء في ثقافتهم وليسوا على درجة عالية من التعليم وخاصة رئيس المجلس، وأكثر ما يمتلكونه هو حماسة واندفاع غير مدروس، محاولين إظهار أنفسهم أنهم على درجة مَّا من الثقافة، وأن لهم القدرة على العمل السياسي دون أن يتمكن معظمهم من الخروج من شخصيته العسكرية المبنية على الأمر والطاعة ومحدودية النقاش أو الحوار.

والإعلام المصري ـ الذي له باعٌ طويلٌ في التحليل السياسي والنفساني ـ كان الشاهدَ الأولَ على البساطة التي كان يتمتع بيها رئيس المجلس نفسه بمدلولها المصري القريب من السذاجة.

فمن خلال قراءاتي للصحف والمجلات المصرية آنداك والتي كانت تتحدث عن "معمر القذافي" كان من الجَلي والواضح مدى التهكُّم الذي يصل إلى درجة السخرية منه ومن أفكاره، وهذه السذاجة ـ أو لنقل البساطة ـ لا تستثنى الدافع للأفكار المتطرفة والعنف، والفكر المستبد

الشمولي الذي يوجد لدى هؤلاء، بل تؤكده وتزيد من سَعيره لديهم، وهذا ما حدث بالضبط للقذافي الذي استأثر شيئاً فشيئاً بمجريات الأمور وتَسيِيد القرار؛ ما جعل بعض أعضاء المجلس يشعرون بالامتعاض وأضحت كلماتهم لا تغادر أفواههم، وفي أحسن الأحوال ـ وبشكل مًّا ـ تُستبدل عند حافة شفاههم رهبةُ مما ستؤول إليه أمورهم، وأُجزم أن الخلاف بينهم بدأ منذ الأشهر الأولى للثورة.أما في الغالب فإن بوادر الخلاف الكبير وبداية الهُوة الحقيقية بين أعضاء المجلس واستئثار "معمر" بصلاحيات إصدار القرارات والدفع نحوها وتحديد المسار العام للثورة بدأ مع خطاب زوارة سنة 1973، وفي الحقيقة فإن هذا الخطاب كما يبدو لي هو بداية العدِّ التنازلي ليوم الثلاثاء الخامس عشر من فبراير 2011، اليوم الذي تفجرت فيه ثورة فبراير، ولو أن الزمن قد طال؛ فكل المحاولات الثائرة طيلة هذه الفترة لم يُكتب لها النجاح، ورجالٌ كُثر من كل أنحاء ليبيا ضحُّوا بأرواحهم وقدموها قرباناً للحرية في بلادهم بعضهم لم يتسنَ لنا معرفته حتى الآن للتعتيم الإعلامي والقهر الفكري المُمارس من قبل النظام الذي احتكر كل شيء حتى التفكير، فهو وحده من يفكر ويقرر في مشهد ديكتاتوري قاسٍ قلَّ مثيله في التاريخ، بل هو أقوى حتى من فِكر الكنيسة الذي كانت تسيطر به على أوروبا قبل نهضتها، والذي أعدمت خلاله عدداً من العلماء والمخترعين كما درسنا في كتب التاريخ.

إن ما ورد في خطاب زوارة التاريخي كما أسموه من نقاط خمس وضعها القذافي وبدأ في العمل على تحقيقها كان انقلاباً كبيراً في مسار

الثورة التي أضحت محل جدل بّين كونها ثورةً أو انقلاباً، وأبرز هذه النقاط الثورة الثقافية والإدارية، وكان الهدف منها القضاء على المثقفين واعتبارهم أصحاب أفكار تقليدية عقيمة لا تتماشى مع روح الثورة، وحرق الكتب القديمة والصفراء، وتطوير الإدارة بالقضاء على الإدارة القديمة واستبدالها بإدارة شعبية ما أفقد الدولة عناصر الخبرة المؤهلة لإدارتها، وكان له الأثر السلبي على المؤسسات كافةً وتسليمها إلى إشخاص لا يتمتعون بالكفاءة العالية خاصة وأنهم استلموها بأنفسهم عن طريق الزحف المباشر على تلك المؤسسات ودافعهم الطمع والمنافسة على المناصب؛ وهو ما دعوه بالزحف الأخضر، وقد شمل كل شيء سواء في القطاع العام أو الخاص ما أدى إلى مصادرة الكثير من الأملاك ومهَّد إلى تطبيق السياسات والمقولات التي سيأتي بها الكتاب الأخضر الذي بدأت الأقاويل في تلك الفترة تتحدث عن قرب ظهوره.

وفي هذا السياق ـ الذي شمل بالإضافة إلى الثورتين الثقافية والإدارية التدريبَ على السلاح لشرائح المجتمع كافةً ـ فقد تم استدعائي وأنا في المرحلة الإعدادية من التعليم للخضوع إلى دوره تثقيفية وللتدريب على حمل السلاح بالمدرسة التي أدرس فيها صحبة باقي زملائي الطلبة، وكذلك الحال بالنسبة لباقي المدارس، والتحقتُ بالمدرسة، وكان ذلك أثناء العطلة الصِيفية فإذا بي أمام إدارة جديدةٍ تمكَّنتْ من الزحف على الإدارة القديمة واستلمتْ زمام الأمور، وأعدتْ لنا برامجَ تثقيفيةً عبارة عن مجموعة من المحاضرات يلقيها بعض مثقفي الثورة ويحدثوننا عن

الدول المتخلفة والأخرى المتقدمة والرجعية والجلاء والعهد الملكي البائد، وكلاماً كان ببساطة برنامجاً ممنهجاً، وأكبر من أن ندركه بعقولنا الصغيرة، كذلك بعض الدروس الدينية المنتقاة على أيدي رجال دين تناولت التوبة وطاعة الوالدين وبعض العبادات، أما التدريب العسكري فإنه من المؤلم جداً الحديث عنه؛ حيث أننا كنا أطفالاً ولا نعي حتى الظروف التي وُضعنا فيها، وكنا نتعامل مع المُتاح فقط ولم نفهم مساوئه وما تعرضنا له من مهانه إلا فيما بعد، فالمعاملة مع الأستاذ ليست كالمعاملة مع العسكري، وكانت البنادق التي نتدرب عليها أطول من البعض منا.

وأذكر أننا ذات مرَّةٍ في ساحة المدرسة الترابية والمليئة بالحصى أمرنا العسكري بالانبطاح والزحف لمعاقبتنا، وفي تلك الأثناء خرج أحد الأساتذة ـ مازالتُ أذكره ـ وعند مروره بجانب الساحة لمحنى وأنا أزحف، وأتت عيني في عينه واستحييت من النظر إليه ولكنني قرأت ما فيها من أسف، وما هي إلا لحظة حتى انفجر الأستاذ في وجه العسكري قائلاً له: هؤلاء طلبة وأطفال؛ كيف تفعل بهم هذا، وحدث شجار بين العسكري والأستاذ أحسب أنه ظل مستمراً لأكثر من أربعين سنة.

وفي إطار ردود الأفعال الناتجة عما ورد في خطاب زوارة وما أفضى إليه من انتهاكات بحق المسؤولين المدنيين والعسكريين فإن الكثير منهم أحسُّوا بالمهانة والاستياء اللذين كانا سبباً في التعجيل بالثورة المضادة؛ والتي أتت من أقرب الناس إلى معمر القذافي، فقد قاد بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة والضباط الأحرار وضباط آخرون أول انقلاب كبير

ذي أهمية في أغسطس 1975 ضد نظام القذافي دون أن نغفل عن الانقلابات السابقة التي منها ما حدث عقب ثورة سبتمبر مباشرة.

وعلى الرغم من العدد الكبير الذي كان يضمه هذا الانقلاب والثقة الكبيرة في أنفسهم؛ حيث إن بعضاً من قياداته عقدت اجتماعاً لها في الخارج عندما كانوا في زيارة إلى إحدى الدول الإفريقية صحبة القذافي نفسه، إلا أن أمرهم كان قد انكشف قبل هذه الزيارة بقليل، وتعمّد القذافي أن يكون من ضمن وفده هؤلاء القادة دون أن يشعروا بذلك، وبعد العودة تم إلقاء القبض عليهم ومن معهم من الضباط الآخرين، وأودعوا السجن وتم التحقيق معهم وتعرضوا للتعذيب وعوملوا بكل قسوة.

وكان مجلس قيادة الثورة يقوم باستعراض ملفات التحقيق مع هؤلاء ومتابعة إجراءات محاكمتهم وجعل من نفسهِ حاكماً لتلك المحاكم ويصدر أحكامه عليهم التي وصلت إلى الإعدام خفضت بعضها إلى السجن بدل الإعدام، وتم الإفراج عن البعض بعد فترة قضوها في السجن بعد تدخُّل أشخاصٍ مقربين جداً للقذافي نتيجة لشدة قرابة هؤلاء السجناء من عائلة معمر، وكان من حسن حظ بعض الضباط الآخرين أن استفادوا من هذا التدخل وأُفرج عنهم أيضاً.

وكان أبرز قادة هذا الانقلاب وهو الرائد عمر المحيشي قد غادر إلى تونس عبر البر، انتقل بعدها إلى مصر؛ ومصر في تلك الفترة لم تكن على وِفاق مع نظام القذافي، وظل بها والتقت به عدة قنوات إذاعية

وبعض الصحف المصرية تكلّم فيها عن تجربته مع القذافي وأسباب الخلاف معه.

وقد تم القبض عليه لاحقاً بعملية مخابراتية ناجحة أثناء عودته إلى مصر من إحدى الدول المغاربية ونقله من طائرته التابعة لتلك الدولة إلى الطائرة الليبية التي كانت بانتظاره في مطار أثينا باليونان ومن تم إلى طرابلس في رحلة للخطوط الليبية نظمت بالخصوص.

وقد تقاضت مخابرات تلك الدولة التي كان في زيارة لها مبلغاً كبيراً يقدر بعشرات الملايين لقاء هذه الخدمة، وأُودع السجن وتم التحقيق معه، وعُذب كثيراً وبدرجة عالية من القسوة لدرجة أنه تسرَّبت أخبار غير مؤكدة بأنه فقد عقله قبل أن يموت تحت التعذيب والأرجح أنه أعدم في أبريل 1984 بمعسكر أبو سليم.

وفي فترة ما بعد هذا الانقلاب، وفي إطار استمرار خلخلة المجتمع لإحداث التغيير لبناء المجتمع الاشتراكي السعيد اختلطت الأمور في كل شيء، وما عاد الحق حقاً، ولم يعد صاحب العقل الراجح قادراً على تفسير ما يجري.

فقد تم ضرب الصناعيين والمقاولين ورجال الأعمال والتجار وبشكل تحريضي من قبل القذافي مدعوماً بالقوة المعنوية والمادية؛ حيث تمت دعوة العمال إلى الزحف للقضاء على أصحاب رؤوس الأموال وتمليك الشركات والمصانع للعمال الذين يعملون بها مُلكية جماعية وطرد مُلّاكها الأصليين ودون أي تعويض لهم عدا حصة واحدة كأي عامل أو مستخدم آخر وتطبيق مقولة (شركاء لا أجراء) التي

أوردها الكتاب الأخضر ما أدى إلى ترك معظم رجال الأعمال لأعمالهم وفرار بعظهم إلى الخارج.

والغريب أن هؤلاء العمال لم يمتلكوا تلك الشركات أو المصانع حتى هذه اللحظة، وظلوا أجراء فيها، بل ولم يعودوا يتقاضون مرتباتهم في كل شهر، وأخيراً توقفت معظم تلك المصانع وحُلت الشركات وتم بيعها باعتبارها من أملاك الدولة التي وضعت يدها على كل تلك الأملاك، واستخدمت العمال كمطية لذلك دون أي وجه حق.

وأصبحت البيوت المستأجَرة من قبل سكانها ملكاً لهم بين عشية وضحاها تطبيقاً لمقولة (البيت لساكنه) دون أي تعويض أو تنسيق مع مُلّاكها مما كان له بالغ الأثر على الكثير من المواطنين الذين شعروا بالظلم الجارف والفوضى العارمة التي شملت كل شيء.

وكذلك الحال بالنسبة لتنفيذ مقولات أخرى مثل (الأرض ليست ملكاً لأحد) أو (السيارة لمن يقودها) مما أفقد الكثيرين أراضيهم التي وزعت على مقرَّبي النظام بالاستيلاء المباشر عليها من قِبلهم، وأضحى سائقو السيارات مُلَّاكاً لها مما أضر كثيراً بأصحاب تلك السيارات، وخاصة سيارات النقل الكبيرة التي تملكها سائقوها دون حق في ظل حماية وإشراف النظام؛ وللحق فقد جرت بعض المعاملات الخفية بين المستفيدين والمُلاك لتسوية الأوضاع فيما بينهم بالبيع والشراء، ولو أن ذلك تم تحت مبدأ كفِّ الضرر بالنسبة للمُلاك مما أثر على السعر والرضى النسبي وغير ذلك.

كما تم الشروع في تطبيق مبادئ أخرى تضمنتها النظرية العالمية الثالثة المتمثلة في الكتاب الأخضر بفصوله الثلاثة.

وتم البدء في تشكيل اللجان الشعبية لإدارة مناحي الحياة كافةً بدأً من المدرسة والمستشفى وانتهاء بالمؤسسات والهيئات والشركات وغير ذلك.

وتم جلب شركات أجنبية لبناء أسواق تجارية كبرى ومتوسطة على طول البلاد وعرضها مملوكة للدولة لتحلَّ محل الآلاف من المحال التجارية المملوكة للخواص، وبهذا الإجراء أصبح محظوراً على الليبيين ممارسة التجارة التي أحلَّها الله باعتبارها ظاهرةً استغلالية وبطالةً مقنَّعة وفق التوجه الاشتراكي الجديد مما شكّل ضربةً كبيرةً للتجار الذين أقفلوا محلاتهم وسلَّموا رخصهم، وفرَّ بعضهم إلى الخارج شأنهم في ذلك شأن الصناعيين وباقي رجال الأعمال، وهكذا لبست الدولة العباءة الاقتصادية، وتحولت إلى تاجرٍ كبيرٍ استأثر لوحده بالسوق.

واتضح عندها ـ وخاصة للعامة من الناس ـ وبما لا يدع مجالاً للشك أن هذا هو المنهج الاشتراكي الشيوعي حتى وإن اختلف معه في بعض رموزه، فهذا الاختلاف شكلي لا غير؛ كأن يسمى ميدان الشهداء بالساحة الخضراء بدلاً من الساحة الحمراء، أو أن المجتمع هو من يمتلك كل شيء بدلاً من الدولة، فلا مجال للملكية الخاصة على الإطلاق في أيٍّ منها.

وصرنا نعمل جميعاً لدى الدولة، ونتقاضى مرتبات شهرية مقابل عملنا اليومي لساعات محدودة، وما عداها ليس لنا أي دور فهذه هي

الشيوعية بعينها أو أن لها مذاهب؛ عندها فإن هذا النظام هو أحد مذاهبها بالتأكيد.

وأصبحت البلاد تسير وفق الرؤية التي يخرج بها معمر القذافي بين الحين والآخر بما يشبه الفتاوى، وأضحى كل خطاب له يعني انتظارَ الجديد أو المفاجآت التي اعتاد عليها الليبيون في كل مرَّة، وشيئاً فشيئاً بدأت تترسخ مبادئ النظرية العالمية الثالثة التي وضعها "معمر القذافي" من خلال كتابه الأخضر بفصوله الثلاث السياسي والاقتصادي والاجتماعي، وأصبح في ليبيا كل شيء أخضرَ؛ ففي الإذاعة المرئية والمسموعة ـ أي التلفزيون والراديو ـ تحولت العملية إلى شحن فكرٍ ممل للغاية فالحديث فيهما وبرامجهما محصورة في اتجاه تأكيد الفكر الأخضر وترديد للمقولات التي أوردها القذافي في كتابه، وقراءة مقاطع مطولة منها، وتنظيم ونقل المؤتمرات والندوات التي تناقش تلك المقولات الفكرية وتحليلها والغوص فيها باعتبارها فكراً إنسانياً خلاقاً، وحتى الأناشيد والأغاني كانت تصبُّ في نفس الاتجاه، وتُنشد وتتغنى بالقائد وأفكاره، ناهيك عن الجرائد والمجلات المحدودة جداً، فقد كان عدد الجرائد الصادرة يومياً واحدةً أو اثنتين فقط، ولسنوات طويلة ظلت تصدر عن المؤسسة العامة للصحافة جريدة واحدة فقط، أقل ما توصف به بأنك لا تستطيع حتى الالتفات إليها، ما بالك بقراءتها، ومن المضحك المبكي أن القذافي كان يوصف في الإعلام الليبي بأنه الصقر الوحيد، ثم ما لبثوا أن استدركوا الأمر وغيروا الصفة إلى الصقر الأوحد مما يعني أن لا وجود قطعياً لصقر آخر غيره.

وتحيا وسط إعلام رسمي عبارة عن صوت للجان الثورية التي من صميم مهامها الدعاية للثورة، ويمكنك الاطلاع من خلاله فقط على مقالات وتقارير مملة تتحدث عن النظام وإنجازاته أو كتابات سياسية فلسفية تنصب في اتجاه التأكيد والدعاية لأفكار النظام، وكانت هناك سيطرة لبعض الأفراد على معظم الكتابات في الإعلام، وبعضهم الآخر سيطروا على الإذاعة المسموعة والتلفزيون، وهم ممن يوالون النظام جملةً وتفصيلاً.

والتلفزيون الليبي لا يواكب العصر، ويتدخل "معمر" شخصياً في برامجه وأحياناً دون سابق إنذار يقوم بقفله وتظهر صورة ثابتة على شاشته تبقى ساعة أو اثنتين، وأحياناً حتى الصباح وأذكر أن بعض تلك الصور كانت صورة لأثر قدم على الرمال وهي بحاجة إلى قارئ للصور لشرح مدلولها قبل أن تكون لمن، وصورة أخرى كانت تظهر أحياناً أخرى لجرار يحرث الأرض، هذا في وقت ـ طبعاً ـ لم تظهر فيه القنوات الفضائية بعدُ، وكان "معمر" يطلُّ علينا عبر التلفزيون وقت الإفطار تماماً في رمضان المبارك بفقرات من خطبه وكلماته؛ والتوقيت مقصود؛ وكأني به امعان في فرض مشاهد لا تروق للكثيرين.

كما أن فقراتٍ كثيرةً من الكتاب الأخضر تُقرأ على الشاشة قبل نشرة الأخبار اليومية كنوع من التلقين الإجباري، وتتفاجأ وأنت تشاهد مباراةَ كرة قدم خروج شريط للمقولات والتعابير السياسية أسفل الشاشة، وحدث هذا حتى في بعض المباريات الدولية التي جرت في ليبيا؛ ما

أدى إلى اعتراض الدول الأخرى على استغلال الرياضة في الترويج لأمور سياسية.

وفي تلك المباريات التي تُنقل عبر التلفزيون لا يدعى اللاعبين بأسمائهم ولكن بأرقامهم كأن يقول المعلق اللاعب رقم 5 يممر الكرة للاعب رقم 7 وهكذا؛ مما يثير أعصابك وتتساءل عمَّ يحدث أمامك، ولماذا هو كذلك، تماماً كما هي تساؤلاتك عمَّ يحدث في باقي المجالات.

لقد جرَّب "معمر القذافي" مع الليبيين كلَّ شيء، ولم يبقَ له إلا أن يأمرنا بالعمل ليلاً، وأن نخلد في بيوتنا نهاراً للنوم، كما فعل أحد الملوك القدماء الذين قرأنا عنهم في كتب التاريخ.

وفي الطرقات وعلى جدران جميع المدارس ـ تقريباً ـ تكتب وبالخط العريض المقولات الخضراء، وأذكر أننى في إحدى المرات التي سافرت فيها عبر مطار طرابلس العالمي وفي الاستراحة العليا بالمطار وجدتُ مكتبة وأردت قضاء بعض الوقت فيها إلى حين حلول موعد الطائرة إلا أنه ـ ويا للعجب من هذا النظام ـ وجدت اسمها المكتبة الخضراء، وعندما دخلتُها لم أجد فيها إلا الكتاب الأخضر وشروحه، فهل يعقل أن تُنشأ مكتبة لكتاب واحد؟! بل أنا الآن أحس بالحرج وأنا أكتب هذه الكلمات التي ربما لن تصدَّق ولكنها مع الأسف الحقيقة بعينها.

ما وجدته كان مبعثاً لأسفي الشديد، وهو بالتأكيد شيء يشعرك بالاشمئزاز، وتصاب بحالة من الغثيان حتى قبل صعودك إلى الطائرة.

وفي المناسبات التي تحتفل فيها الدولة بعيد من الأعياد، وخاصة عيد الفاتح؛ وهي الذكرى السنوية للثورة الذي يوافق غُرة سبتمبر من كل سنة، يتم صرف الملايين وبسخاء شديد، وهي فرصة كبيرة لملء الجيوب من قبل الانتهازيين والوصوليين واللجان الثورية بالداخل والخارج حيث يؤجرون أفخم الفنادق لإقامة الاحتفالات، والأعلام الخضراء والصور العادية التي تطورت بعدها إلى إلكترونية للقائد تملئ كل الشوارع، ووصل ثمن صورة واحدة لمعمر آلاف الدنانير في مقابل الآلاف من الشباب الليبي العاطل عن العمل والمحتاج.

بالإضافة إلى السهرات الفنية والرسمية في آن واحد المحشوة بفقرات متواضعة، وكل هذه الأمور تستحق الدفع دون مساومة أو جدال.

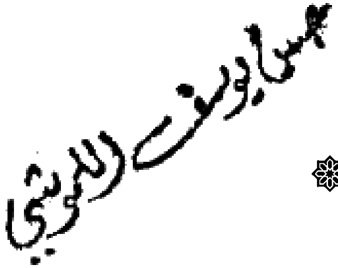

مواجهات مع المؤسسات النقابية والطلابية

كان من الضروري السيطرة على المؤسسات النقابية والطلابية لتوظيفها لخدمة الأهداف، وفي نفس الوقت لضمان عدم مواجهتها وضربها في المهد.

ومن أبرز هذه المؤسسات الاتحاد العام للطلبة ونقابة المحاميين فقد صدرت الأوامر بالزحف على نقابة المحاميين التي وجدت نفسها في مواجهة مع بعض المحاميين الشباب المندفعين بالحماسة والطامحين لدور بارز لهم في الحياة، وبضمان ولائهم للنظام، وتحت حمايته استطاعوا وتمكنوا من السيطرة على النقابة بروح عرف كيف يغذيها فيهم القذافي وانجرارهم وراء المد القومي والثوري آنذاك، ودون وعي بالمخطط الكامل للملمة خيوط المعادلة ووضعها في يد نظام شمولي فردي مستبد.

وحينها قال نقيب المحاميين في آخر كلمة له إنه يشعر أن الدفة قد مالت من يده، وأنه لا بد من تركها لغيره؛ غيره الذي لم يحدد صفاته ولا معالمه، فقد كان واضحاً للجميع في ذلك الأوان مَن يكون.

ومن ضمن معاركه السياسية الكثيرة مع الشعب كانت معركته مع الطلبة وكانت من أشرس المعارك التي خاضها، فهو لم يقاتل الشعب عندما قامت ثورة 17 فبراير 2011 بل إن معركته بدأت منذ أمد طويل وكأنها حرب استنزاف طويلة.

لقد بدأ في تأليب الوسط الجامعي والطلابي بصفة عامة، وذلك بشحنه بجرعة عالية من الاستثارة عن طريق إرغامه على تقبُل أطروحاته وأفكاره غير القابلة للنقاش، والتحريض على إحداث ثورة طلابية، وهو يتلذذ بذلك، فهو يعتقد ـ كما قال عدة مرات ـ إن الثورة مثل القنبلة الانشطارية تنفجر القنبلة الأم تم تتولد عنها انفجارات أخرى وهكذا، ويقصد ثورة العمال، ثورة الطلبة ثورة الفلاحيين وما إلى ذلك.

وفي بداية سنة 1976 بلغ التوتر أشدَّه بالضغط المتزايد على الطلبة من خلال وصفهم بالعملاء والمتآمرين والطابور الخامس والحزبيين والرجعيين، وخاصة هذه الأخيرة؛ حيث إنها ظلت تلاحق الطلبة لسنوات طويلة، وكانت تهمة الرجعي كافية لسَجن الطلبة وتعذيبهم أو فصلهم عن الدراسة على أقل تقدير، وهي صفة يوصف بها كل معارض لأفكار أو سياسات النظام.

ووسط هذه الاتهامات ومع اعتراض الطلبة على التدريب العسكري لطلبة الجامعة الذي تم إقراره دون الرجوع إليهم ودون موافقتهم، ويتعارض مع القوانين المحلية والدولية خاصة وأن ليبيا ليست في حالة حرب، بل وإن هذا التدريب سيتم خلال عطلة نصف السنة الربيعية التي يعتبرها الطلبة عطلةً من حقهم أن يتمتعوا بها كإجازة ليجددوا نشاطهم الدراسي، فكانت ردة فعل النظام أن زاد من ضغوطه وإرهابه لقيادات الطلبة مما عجل في القيام بمظاهرات في الجامعات الليبية لم يُسمح لها بالخروج إلى الشارع، وتعرضت للقمع، وعلى الرغم من أن الوسط الطلابي كان مسيَّراً نقابياً ولا قِبل له بالعنف؛ فهو ضعيف يعتمد على

الحوار والمطالبة، وفي أحسن الأحوال التظاهر السلمي الذي قد تصحبه بعض الأمور المزعجة للنظام التي يمكن احتواؤها والسيطرة عليها.

ولكن الحقيقة إن ما جرى هو أن النظام فاجأهم بالرد القوي والقمع المبالغ فيه، وتصعيد الأحداث التي ارتقى بها إلى درجة الخيانة، وشيئاً فشيئاً حدثت مناوشات بسيطة بين الطلبة وعدد من الثوريين المحسوبين على النظام تدخَّل معها عضو بارز من مجلس قيادة الثورة، وحاول قيادة مظاهرة مضادة للطلبة داخل الجامعة، ولم يجد العدد الكافي ممن انضموا إليه، وتعالت الهتافات من قِبل هذه القلة بضرورة تصفية اليمين الرجعي المتعفن في الجامعة، ورددوا (الجامعة ثورية تدوس على الرجعية) وقال ذلك القيادي (أريد الدم إلى الرُّكب) ويقصد تصفية الطلبة الرجعيين والحزبيين كما يوصفون لأنه وفي محراب الكتاب الأخضر الذي يصلي فيه هؤلاء (الحزبية إجهاض للديمقراطية) و(من تحزب خان).

وللأسف الشديد حدث ذلك فعلاً، وبكل دموية وشراسة في الأيام التي سبقت السابع من إبريل 1976، وأثناءه؛ حيث رسم بعض الضباط التابعين للنظام، وبالتنسيق مع "معمر" نفسه وبمساعدة الثوريين الموالين لهم بالجامعة الخطة لتنفيذ عملية استباقية ضد الطلاب في الجامعات الليبية للقضاء على اليمين الرجعي المتعفن حسب ما وصفوه.

وآنذاك كانت هناك جامعتان جامعة طرابلس وجامعة بنغازي حيث تم التنسيق وإعداد العدة للمعركة، وكان من ضمن تلك التجهيزات

إحضار طلبة الثانويات وذلك بإرسالهم بواسطة حافلات ((باصات)) أُعدت لهذا الغرض إلى الجامعة لإقحامهم في المعارك، وتم ذلك دون علمهم بما يجري، بل إن أغلبهم كان يعتقد أنهم ذاهبون إلى الجامعة للاحتفال، كما تم تجهيز عدد كبير من الجنود في لباس مدني مزودين بالعصي والهراوات، وتم نقلهم إلى الجامعة بالحافلات، ودارت معارك غير متكافئة وغير متوقعة من الطلبة الذين كان معظمهم يدافعون عن أنفسهم فيها بل ويهربون من تلك المعارك التي تم فيها التخلص من عدد من الطلبة وأستخدمت الأسلحة البيضاء والضرب العنيف للطلبة داخل كلِّياتهم ومعاملهم، حيث جرت معارك دموية بالمعامل استخدمت فيها الأدوات المعملية الزجاجية، وتفاعل المحيط الخارجي للجامعة معها باندفاع الكثير من أولياء الأمور لإنقاذ أبنائهم حتى إن بعضهم هرَّب أبناءه في سيارات الإسعاف نظراً للحصار المضروب على الجامعة، وتناقل الناس أخبار تلك الواقعة.

وفي تلك السنة كنتُ أدرس في السنة الثانية من المرحلة الثانوية بمدرسة سوق الجمعة الثانوية وعندما حضرتْ إلينا الحافلات لنقلنا إلى الجامعة رفضتُ الصعود إليها وغادرتُ راجعاً إلى البيت، ولم أكن أعلم بالضبط عن سبب إحضار الحافلات، البعض قال إن هناك مشاكل بالجامعة لم أكن أعي مداها، وآخرون قالوا هناك احتفالات بالجامعة، والبعض الآخر قال إنها مسيرة، وهي أمور معتادة في تلك الأيام، وما أن وصلتُ إلى البيت حتى أخبرني والدي بالذي جرى في الجامعة تردد الحديث عنه بالتفصيل بين الناس ومع بعض معارف والدي ممن

شاهدوا تلك الأحداث وفي اليوم التالي عند عودتي إلى المدرسة كان من ضمن الحصص الدراسية حصة لمادة الدين لن أنساها أبداً ففيها دخل الأستاذ الفصل وحيَّانا ثم توجه إلى السبورة وكتب عليها إن أعظم الجهاد عند الله كلمة حق في وجه سلطان جائر، والتفت إلينا وأخذ ينظر في أعيننا وكأنه يستنهض فينا روح الشباب وحبَّ الوطن، وبدأ في شرح الحديث بكلمات يصل صداها قلوبنا قبل عقولنا، وتسمَّر كل في مقعده لا يحرك ساكناً في صمت مَهيب لا صوت فيه إلا للأستاذ الذي انطلق في الشرح وبدأت الدموع تسيل من عينيه ونحن ننظر إلى إستاذنا يبكي وقلوبنا تشتعل غيضاً لما جرى بالجامعة ولما تعرض له الطلبة من تنكيل، هذه هي ثورة الطلاب، وهذا هو السابع من إبريل الذي اتُّخذ عيداً للطلاب بالجامعات الليبية، عيداً تم فيه القضاء على أي رأي مناهض أو إصلاحي أو أي رأي آخر يخرج عن نطاق الفكر الأخضر، الفكرَ الذي وضع حدوداً لكل شيء ـ وبإيجاز ـ في كُتيب أسماه مؤلفه معمر القذافي الكتاب الأخضر وقال للشعب أنتم أصحاب السلطة، ومن الصدف الغريبة أنني تقابلت مع أحد الأساتذة كان يعمل أستاذاً بجامعة طرابلس في منتصف السبعينيات بعد تركه للعمل فيها لسنوات طويلة، وكان هذا القاء خارج ليبيا، وبسؤالي له عن سبب تركه للعمل بجامعة طرابلس في ذلك الوقت فاجأني قائلاً ما رأيته في ليبيا يصعب عليَّ نسيانه، كان ذلك في إبريل سنة 1976، لقد رأيت مناظر بشعة لطلبة كنت إدرِّسهم، إنهم مثلُ إبنائي، أصبتُ بالهلع وحالة نفسانية سيئة للغاية، وقمت بفسخ عقدي مع الجامعة رغم أنهم كانوا يدفعون لي

بمقتضى العقد راتباً محترماً أستطيع تحويل جزء كبير منه للخارج، إلا أن المال ليس كل شيء فسخت العقد وغادرت البلاد، وأردفتُ بسؤال آخر عمَّ رآه، فقال لي حرفياً رأيت طلبة يُذبحون، ويقصد يضربون ضرباً مبرحاً قد يفضي إلى الموت، وما كان مني إلا أن تراجعت إلى الوراء محاولاً استدراك مشاعري لئلا أجهش بالبكاء دون جدوى، فأنا بكاي ـ إذا صح التعبير ـ وتحدثنا عن تلك الأيام بكل أسى.

لقد قال "معمر القذافي" في أول جلسة لمؤتمر الشعب العام في مارس 1977 إن السابع من إبريل قرَّب من إعلان قيام سلطة الشعب، وسوف أتحدث عن ذلك الإعلان، وكيف مارس الشعب سلطته وشعارها المشهور السلطة والثروة والسلاح في يد الشعب فيما بعد.

وتم البدء في إتخاذ الإجراءات للإعداد لانعقاد المؤتمرات الشعبية لتمرير الأفكار والأطروحات والاستعداد لذلك الإعلان، حيث بدأ حشد كبير ومدروس لطرح المبادئ والأسس والتدابير الواجب اتخذاها للعمل بها لتحقيق الهدف المنشود لقيام المجتمع الاشتراكي السعيد من خلال الدعاية ومداعبة الأفكار للإستعداد لذلك الإعلان وتبني وإقرار الفصول الثلاثة للكتاب الأخضر، حتى إن بعض الوفود الوافدة من الخارج والذين لا يعلمون الحقيقة برمتها التي كنا نعيشها انبهروا من الطرح النموذجي، وعلقوا أن هذا النموذج يصعب الوصول إليه، وأن التماس طريق النجاح يأتي من خلال الواقعية السياسية والاجتماعية للشعب الليبي أجدى وأمكن.

وهو نقدٌ في قالب سياسي للاندفاع الثوري الغوغائي غير المدروس الذي كان يحدث وسُخرت الإمكانات كافةً بالمؤسسات التعليمية من مدارس وجامعات ونقابات ومؤسسات عامة لإقحامها ووضعها على طريق المد الثوري كما يقولون، وهم دائماً يرددون في مسيراتهم التحريضية والاستفزازية (المد الثوري ما يتأخر لين "حتى" يلونها بالأخضر) وبطرق أشد وأقوى من السابق؛ حيث كانت محدودة في بعض اللقاءات والمحاضرات داخل المؤسسات التعليمية والجامعية التي ألقاها القذافي نفسه، وتعرض فيها لمواجهة فكرية حادة مع بعض الطلبة يبدو صعباً قبولها، وربما قصد بلقاءاته تلك التحريك لإظهار الخصوم على السطح ليسهل القضاء عليهم ومعرفتهم حدث هذا قبل معركته مع الطلبة التي تحدثت عنها سلفاً.

تلك الأحداث وغيرها جاءت بعد أن أنهى معركته مع مجلس قيادة الثورة، ولم يبق له إلا قلة آثرت السكوت ضماناً لمصالحها في مقابل خدمتها له بالسيطرة على المؤسسة العسكرية.

حركة اللجان الثورية

أيضا قبل الحديث عن سلطة الشعب سوف أتناول حركة اللجان الثورية لما لها من دور كبير وأساس في شتى مناحي الحياة في ليبيا وعلاقتها بسلطة الشعب.

مؤسس هذه الحركة "معمر القذافي" وهو ذاته مؤلف الكتاب الأخضر الذي أنكر فيه على أيٍّ كان التحزب أو إنشاء أية حركة فكرية أو سياسية بأي شكل من الأشكال، وجُلنا يعلم أن الحزب أو الحركة أو التنظيم كلها مصطلحات لمعنى واحد تقريباً.

لذا يصعب على الفرد الواعي والمثقف تصديق أن حركة اللجان الثورية ليست حزباً، فهي حركة منظمة لها أعضاؤها ومقارها وفكرها الذي تؤمن به، بل ولها أهدافها المحددة والتي ترغب في الوصول إليها، ومهام يتم تكليف أعضائها بها من قبل مرشدها العام الذي قادها إلى تحقيق تلك الأهداف والقيام بالمهام المنوطة بها وبسيرها وراء أفكاره وتوجيهاته المستمرة أمكن ترويضها ليتحكم ويسيطر من خلالها على كل صغيرة وكبيرة داخل الدولة وخارجها في المؤسسات ذات العلاقة والسفارات دونما عناء في مقابل الاستفادة القصوى لأعضائها من كل ما هو متاح وتمتعهم بالأولية في تنفيذ كل القرارات بدءاً من تقلد الوظائف البسيطة والمتوسطة إلى الوظائف القيادية الكبرى، وحتى الوزارات أو السفراء والمديرين العاميين أو الدراسة بالخارج وغيرها من المراكز.

كان من أبرز الأهداف التي حددت لهذه الحركة هي الوصول إلى خلق الإنسان النموذجي الجديد القدوة في المهارة والمسلك وبناء المجتمع الاشتراكي السعيد، وتمكين الشعب من ممارسة سلطته بالكامل للوصول به إلى الفردوس المفقود.

لا شك أن هذه التعابير تبدو أهدافاً سامية، ولكن لا أستطيع تصديقها أبدأ رغم إصرار تلك اللجان على ترديدها وتأكيدها وأعتبرها نوعاً راقياً جداً من الرومنسية السياسية إذا صح التعبير.

وإني لم أعهد في حياتي أني تعرَّفت على رومنسية من هذا النوع غير تلك التي نشاهدها في الأفلام المصرية القديمة.

وذِكر هذه الأهداف لا يحتاج إلى أي عناء للتعقيب عليها فبمجرد قراءتها يدرك أي عاقل أن واضع هذه الأهداف شخصية حالمة للغاية وستصحوا يوما ما من نومها لتدرك أنها كانت تحلم.

وعن المهام الأخرى التي أنيطت باللجان الثورية، وهي حماية الثورة والدفاع عنها والدعاية لها، فإنها تعني بالضبط حماية رمزها معمر القذافي، والدفاع عنه والدعاية لكل أفكاره وأطروحاته.

ومن عجائب تلك الحركة أن السلطة ليست من ضمن أهدافها وأن من مهامها فقط هو تحريض الشعب على ممارسة السلطة هذا التحريض الذي تطور عفوياً ودون قصد طبعاً وببراءة شديدة إلى ممارسة تلك السلطة بأنفسهم في مشهد تمثيلي ساخر وسافر في ذات الوقت، حيث تربع أولئك على ما سمي بالمؤتمرات الشعبية الأساسية العمود الفقري لسلطة الشعب وهيمنوا على قراراتها كافةً.

ومع صدور بعض التوجيهات والقرارات من ملتقيات اللجان الثورية ـ التي تعقد بين الحين والآخر، وقد أقرت في إحدى ملتقياتها أن الإدارة ثورية والسلطة شعبية، مما فتح الباب على مصرعيه لتبوء جميع المناصب في الدولة الليبية من قبل أعضاء اللجان الثورية، ولتكتمل الصورة التي أرادها المؤسس ولتؤكد أن هذا النظام ما هو إلا أحد الأساليب الذكية جداً للاحتفاظ بالسلطة، وفيها استخفاف بعقول الناس وخاصة المثقفين والواعيين لتلك الأساليب.

إن اللجان الثورية التي دعا "معمر القذافي" إلى تشكيلها في القرى والمناطق والمدن والمؤسسات والشركات والمدارس والجامعات كافةً أصبح لها الدور الكبير والبارز في تلك المواقع وتمارس عملها فيها وتتخذ مقار لها فيها تسمى مثابات تجتمع فيها وتنطلق منها لتنفيذ مهامها وتنظم نفسها في أرشيف يحوي ملفات تضم معلومات كاملة عن أعضائها كافةً.

وتم بناء هذه اللجان على شكل هرمي ليسهل التعامل معها والاتصال بها في كل حين، فإذا أخذنا الجامعة كمثال عن المؤسسات المدنية أو حتى العسكرية والأمنية فإنه يتم تشكيل لجنة ثورية في كل كلية تتخذ مقراً لها بذات الكلية يسمى مثابة وأيضاً على مستوى الجامعة يجتمع أعضاء اللجان الثورية بالكليات ليشكلوا لجنة ثورية للجامعة تتخذ مقراً خاصاً بها بالجامعة تمارس مهامها من خلاله، وكانت هذه المثابات تمارس مهام الدعاية ومراقبة الطلبة وأعضاء هيئة التدريس، والقيام بتنظيم محاضرات تثقيفية ثورية يحضرها الطلبة وأعضاء هيئة

التدريس إجباراً بما يشبه الإكراه، والتحقيق والاستجواب مع كل فرد قد تبدو عليه أية شبهات وإلصاق التهم إليه أحياناً لمجرد إبداء رأي أو أن التعبير قد خانه في مسألة من المسائل، فلا مجال للخطأ، وكان الإفصاح عن مكنون الطالب داخل الجامعة شيء خطير إلا للمقربين جداً منه مما أفقد الثقة بين الطلبة أنفسهم واتهامهم لبعضهم بما ليس فيهم واتخاذ بعضهم القليل جداً طرقاً للمقاومة وإبداء الرأي المضاد لهذا الغبن بوسائل غاية في الدقة والحساسية من خلال الإعلام الجامعي البسيط، كالجرائد الحائطية والمسرحيات التي قد تؤدى في مناسبات احتفالية للنظام.

وكان الطلبة ينقسمون إلى ثلاثة أقسام تقريباً، قسم منهم سلبي للغاية لا يهمه شيء سوى دراسته والامتحانات، والشيء الإيجابي الوحيد من هذه الفئة هي سلبيتهم في حدِّ ذاتها التي هي نوع من أنواع المقاومة التي أثبت الشعب الليبي على المستوى العام قدرته على استخدامها ونجح فيها، وقسم آخر من الطلبة آثر الانضمام إلى اللجان الثورية بالكليات والجامعة وتعرض إلى غسيل مخ حاد وأصبح الفكر الأخضر يجري في دمائهم حتى حولها إلى اللون الأخضر وارتقى بعضهم إلى مستوى المجرمين بما ارتكبوا من جرائم تعذيب وسَجن ومشاركة في القتل، وتبوأ أغلب هؤلاء المناصب القيادية الكبرى على مستوى الدولة بعد ذلك، بل منهم من ترأس مؤسساتٍ على مستوى الوطن العربي حين كانوا ممثلين عن ليبيا.

بل إن البعض منهم لم يغادر المشهد السياسي إلا عقب ثورة فبراير 2011، بعد أن بلغوا الخمسينيات والستينيات من العمر.

أما القسم الثالث فإنه الذي كان يؤمن بالعمل النقابي والتفريق بينه وبين العمل السياسي، وفي ذات الوقت لا يهدأ له بال ولا يحب الاستكانة إلى السلبية ويحاول اتخاذ طريق بين هذا وذاك للمشاركة بما يستطيع؛ وهم من أشرت إليهم سلفاً بالمقاومين ضد الغبن، وهذه الفئة منهم من جاهر بالرد وتعرَّض إلى أشد العقوبات وصلت إلى الإعدام، ومنهم من اكتُشف أمره واتُّهم بالرجعية والخيانة وآل إلى نفس المصير أو السجن، ومنهم من نجى بعد أن سجَّل مواقف وآراء وبصمات كان قادراً عليها، وبالعودة إلى هيكلة اللجان الثورية التي ضربتُ مثالاً لها عن الجامعة وأسهبتُ قليلاً في شرح العلاقة بينها وبين محيطها؛ فإنني أعود وأقول إن ذات الحال وذات الهيكلة تطبَّق على مستوى المناطق والمدن؛ ففي كل حيٍّ أو منطقة يتم تشكيل لجنة ثورية لتلك المنطقة أو ذاك الحي، وتتخذ اللجنة الثورية مقراً لها فيه، ومن خلال كل هذه اللجان للمناطق تؤسس اللجنة الثورية للمدينة التي تضع البرامج للجان الثورية بالمناطق، وأسستْ ما سميَ بفرق العمل الثوري بالمناطق التي يتم تكليفها بتنفيذ الأوامر والتوجيهات على الواقع والإشراف عليها، وكانت لها مقار مجهَّزة عبارة عن مبانٍ ومكاتب وموظفين.

وهكذا الحال على مستوى ليبيا بالكامل، حيث يتربع أعلى الهرم مكتب أسموه مكتب الاتصال باللجان الثورية، وهو على اتصال مباشر بجميع اللجان الثورية في البلاد، ويقوم بإصدار النشرات وتوزيعها على

المثابات والإشراف على الملتقيات العامة والإعداد لها ووضع البرامج والخطط والأعمال الواجب القيام بها في كل مرحلة، وأصدرت هذه الملتقيات عدَّة قرارات بلغ صداها العالم لعدَّة سنوات من أعمال مخطط لها خارج ليبيا واغتيال للمعارضين في الخارج تنفيذاً لأحد قراراتها بالتصفية الجسدية لأعداء الثورة في الداخل والخارج، حيث تم إعدام العديد من المساجين السياسيين في الداخل، وتم إرسال فرق اغتيالات بعضهم مجرمين أُخرجوا من السجن مباشرةً لقتل ليبيين معارضين بالخارج، كما زُود البعض من اللجان الثورية وخاصة القياديين منهم بالمال لأجل التنسيق مع بعض العصابات بالخارج لتنفيذ عدَّة اغتيالات للمعارضة كانت على مشهد من العالم كله .

وكان أحد هذه القرارات لتلك الملتقيات عبارة عن إعلان مبدأ غريب بالنظر إلى الوضع الليبي كشعب ودولة ليس له أعداء ولا أرض محتلة وهي دولة غنية وشاسعة وشعبها قليل العدد، هذا المبدأ أو الإعلان هو الحد الأدنى من الغذاء والحد الأقصى من السلاح، وهو مبدأ نُفذت من خلاله خطة لإغراق ليبيا بالأسلحة لأجل إرضاء غرور القذافي في السيطرة والظهور بمظهر القوي في المنطقة وأمام الجيران، والمراوغة والدعم من خلال تدخلاته اللامحدودة في إفريقيا التي أراد إعداد العدة الكافية لها للاستمرار فيها وتطويرها وإخضاع قادتها لأهوائه.

والواقع إنني أعتقد أن من أخطر المهام التي قامت بها اللجان الثورية هي السيطرة على المواطن وتكبيله جسدياً ومعنوياً وجعْله يعيش وسط

جوٍّ إرهابي مشحون لا يستطيع معه البوح برأيه حتى لأقرب الناس إليه أحياناً، بل بلغ الحد إلى معاداة الأخ لأخيه ووقوف الابن في وجه أبيه، وهذا ما كان له الأثر الكبير في حماية وإطالة عمر النظام.

ومن الطرائف المحزنة أن هؤلاء ـ أي اللجان الثورية ـ كانت لهم لهجة خاصة تميزهم عن غيرهم واستخدامهم لبعض الألفاظ المنقولة عن "معمر" وتقليدهم لتسريحة شعره، وارتدائهم لأنواع معيَّنة من الملابس، وترديدهم لجمل وكلمات غير مألوفة للناس وخاصةً في المدن نظراً لأن معظم هؤلاء ينتمون إلى قبائل وجهاتٍ ومناطق على علاقة وطيدة بالنظام.

وهم في الغالب من يتولى القيادة في المواقع الهامة كافةً ذات العلاقة باللجان الثورية، كل هذه المواصفات جعلت منهم أشخاصاً مميزين، وبالإمكان التعرف عليهم في أحيان كثيرة وبسهولة بمجرد النظر إلى هيئتهم أو الحديث الموجز معهم مما كان له الأثر الكبير في سهولة التعرف عليه.

وبالعودة للحديث عن مكتب الاتصال باللجان الثورية ومهامه فإن إحدى هذه المهام الإشراف على معسكرات الإعداد السياسي والعقائدي ـ براعم وأشبال وسواعد الفاتح ـ لإعداد جيل ثوري وضمان الدفع بالدماء الجديدة على مدى الأيام والسنوات وتأمين الوجود المستمر لها في مؤسسات الدولة ومناطقها كافةً.

وذلك في سياق العمل على ما يطلق عليه سياسياً معسكرات التدجين التي كان لها الدور الكبير والفاعل في إفراز نخبة وَضعت

بصمتها على أحداث كبرى جُلّها مؤلم وانطوى على مظالم عدة للناس، ومكّن النظام من استخدامهم كبيادق تأتمر بأمره لسنوات طويلة، ويتم تنظيم هذه المعسكرات بشكل دقيق ودوري، وتُرصد لها الميزانيات، ويخضع منسّبوها إلى برامج مكثفة من محاضرات وحلقات نقاش وأشرطة إعلامية يدعى للقيام بها وإعدادها نخبة من بعض الكفاءات الثورية ممن نهَلوا من فكر معمر القذافي، وغالباً ما تم الصرف بسخاء على تلك المعسكرات، وتستدعى أطقم جيدة للإعاشة، وتم تقديم وجبات دسمة للمنتسبين حتى أنني أذكر أن بعض الطلبة أسموها "الدورات التسمينية " يأتي هذا في إطار الترغيب والدفع بأكبر جرعة ممكنة من الفكر الجماهيري.

وتنظم هذه الدورات عقب كل مرحلة دراسية، وخاصة تلك التي تنظم عقب الحصول على الشهادة الثانوية التي تسبق الدخول إلى الجامعة، حيث يُشترط للدخول إليها حضور تلك الدورات التي حضرتُ إحداها؛ ورغم صغر سني نسبياً في ذلك الأوان إلا أنني ما زلت أذكر ردود أفعالي الرافضة التي لم أتمكن من الإفصاح عنها، وكذلك الشأن لنسبة كبيرة من الطلبة، لأننا كنا مدركين مدى الزيف الذي كان يلفُّها.

ومن خلال الإشراف العام على تلك المعسكرات يتم اختيار المميزين والبارزين لإقحامهم في معسكرات أخرى متقدمة التي من خلالها أصبحوا أعضاء فاعلين في اللجان الثورية، وبفِرق العمل الثوري

للدفاع عن الثورة والدعاية لها وتحريض الجماهير على ممارسة سلطتها التي لا وجود لها إلا في خيالهم المريض.

لقد تخرَّج من تلك المدرسة الحزبية "حركة اللجان الثورية" أناس غاية في القسوة والنفاق، ويتحدثون معك وكأنهم آمنوا بدين جديد أو معتقد جديد دون أن تجرؤ على مناقشتهم ليس فقط لأنهم لن يستمعوا إلى رأيك، أو ربما تتعرض للتوبيخ أو الضرب أو حتى السجن، بل إنه قد يؤول أمرك إلى الإعدام وأُعدم بعض الطلبة المعارضون كلٌ في كليته وأمام زملائه وبحضور طلبة الكلية بتجميعهم عنوة تحت التهديد تطبيقاً للشعارات التي يهتف بها الثوريون عند استقبالهم لقائدهم معمر القذافي، والتي منها "سير ولا تهتم نصفيهم بالدم، سير ولا تحتار نصفيهم بالنار".

وفي 16 أبريل 1984 في مشهد مَهيب ورَهيب في آن أُعدم الطالب محمد رشيد منصور كعبار وهو من مواليد 1959 في الجامعة بإحضاره إلى كليته بسيارة شرطة عسكرية وسحب منها ودُفع به إلى أعلى المنصة المعدَّة لشنقه، وعندما أُوقف عليها وفي غفلة من سجانيه رفع يديه بكل شجاعة ليحيي الطلبة الذين تم تجميعهم حوله بالقوة، وكأنه كان يحرضهم لمواصلة المشوار، فقام فردان من الشرطة العسكرية بربط يديه خلفه وماهي إلا لحظات حتى تم إيقافه على الكرسي، ووضع حبل المشنقة حول رقبته وتم إعدامه، وتعالت زغاريد الطالبات واختلطت مع الصراخ والعويل، وحدثت حالات إغماء كثيرة في مشهد نادر داخل الحرم الجامعي، بعدها أُنزل من على المشنقة وقُذف به في سيارة

الشرطة العسكرية التي خرجت بسرعة وأخلى لها الطلبة الطريق خوفاً من أن تدهسهم.

إن كفاح الطلبة الليبيين قلَّ مثيله في التاريخ الحديث.

وفي ذلك اليوم مُنع أي شخص من دخول الجامعة أثناء تنفيذ العملية، ومُنعت السيارات المارة في الطريق العام أمام الجامعة من التوقف، ويطلب منها المرور بسرعة من قبل أفراد من الأمن واللجان الثورية؛ لأن عملية الإعدام كانت تُشاهد من الطريق العام، وقد كنتُ في غاية الأسى والحزن في ذلك اليوم، فقد تابعُت عملية الإعدام من الطريق، ومما زاد من ألمي أني شاهدت بنتين يبدو أنهما من عائلة الطالب المعدوم أو أقاربه تشاهدان من بعيد في الطريق العام وتبكيان بحرقة شديدة وهما خائفتان، وددت لو تقدمت نحوهن لأعزيهن وبقيتُ متحسراً في مكاني، وقلتُ عزائنا واحد.

هذا وقد علمتُ من أحد أفراد أسرة ذاك الطالب أن أبيه تقدم إلى "معمر القذافي" بمذكرة التمس فيها عدم إعدام ابنه، وذكر له فيها أنه حفيد لشهيد أعدمه الإيطاليون ورُفض التماسه والحق الحفيد بجده.

وكانت هذه إحدى إعدامات السابع من إبريل وهي على سبيل المثال لا الحصر؛ فعمليات الإعدام لم تتوقف سواء في المحيط الطلابي أو العسكري أو فيما يخص المعارضة الداخلية والخارجية.

إن اللجان الثورية التي شُكلت في كل مكان أحكمت السيطرة وهي تتابع كل شيء من الكتابات على الجذران أو حتى داخل الحمامات العامة إلى التنظيمات المسلحة أو الحزبية، وتضع الأفراد تحت تأثير

إرهابي يجعلهم في حالة حذر مستمر، كما وأن لها حرية التصرف في الاعتقال والتعذيب والضرب دون حق اللجوء إلى أي جهاز قانوني كالشرطة أو غيرها، فأنت لا تستطيع حماية نفسك وليس لك أي ملجأ إلا الله.

ولا أنسى أن أذكِّر القارئ الكريم أن هذه اللجان الثورية هم ممن معك في العمل أو زملاء معك في الدراسة أو حتى بعض زملائك العسكريين في المؤسسات العسكرية، وما عليك إلا التأقلم مع الأشياء رغم إرادتك بما تمثله هذه الحياة من قسوة وسلب للإرادة وعبودية.

تصوروا معي أن اللجنة الثورية بالجامعة، وبإدارة وقيادة بعض أعضائها المخضرمين قامت بفتح سجن داخل الجامعة تعتقل فيه الطلبة الرجعيين ـ كما يصفونهم ـ ويقومون بتعذيبهم داخله بطريقة وحشية، وباستخدام الوسائل كافةً، ويستخدمون الهراوات في ضربهم، ومن هؤلاء من أصبح في مرتبة دبلوماسي يمثل ليبيا في الخارج ويتمتع بالمزايا ويركب أحدث السيارات.

وأذكر أن هذا حدث في بلد فيه السلطة للشعب ولا سلطة لســـــواه.!!

إن الكثير ممن تقلَّدوا مناصب هامة في الدولة كالوزراء ((الأمناء)) ومديري الهيئات والمؤسسات والمراكز الحيوية أيديهم ملطخة بالدماء، وهم على أقل تقدير ساهموا في التعذيب وكانوا ممن ساعد على ما عانى منه الليبيون من ظلم وإرهاب وتعسف.

إن "معمر القذافي" ليس له أي تفكير منذ أن جاء إلى السلطة 1969 سوى حماية نفسه ونظامه، لذا فإنه ابتدع نوعاً من النظام المبني على الفكر الأيديولوجي، وتبنَّى فكرة الأيدولوجية القريبة من المعتقد الديني للذين لا دين لهم، ونسي أننا لسنا بحاجة إلى هكذا أفكار؛ فنحن لنا عاداتنا وتقاليدنا ودِيننا وببساطة شديدة يمكننا بناء دولة مدنية حديثة عمادها القانون ويتم فيها تداول السلطة بسلاسة، ونعطي طابع التكليف على هذه السلطات من أصغر موظف بها إلى رئيسها الذي هو موظف كبير، وننشغل ببنائها ونعطي لكل ذي حق حقه، ونحرص على سعادة المواطن واطمئنانه، وإن كانت هناك مظالم فإن اللجوء إلى شيء غير القانون والعُرف والدين يعدَّ ظلماً.

إن حلحلة القضايا وخاصة تلك التي تهم الناس داخل دولتهم ويتأثرون بها بدأً من مشاعرهم وحتى التأثير المادي الملموس لهم ولأملاكهم وأولادهم ليس بالأمر الهين، والاعتماد على حلحلة هذه القضايا التي تعدُّ من صلب السياسة الداخلية للدولة على الفكر الثوري والأيديولوجي الذي ينسف ما قبله ويطرح أفكاراً ممنهجه وبديلة يسعى لتطبيقها بأية وسيلة ورغماً عن الجميع، بداعي الثورة أو الشرعية الثورية أمر غير مقبول ويُدخل الدولة في دوامة من الخلاف وانعدام الثقة والتآمر وبالتالي العنف والإرهاب؛ وهذا ما حدث بالضبط في ليبيا.

سلطة الشعب

من أبرز الأمور التي تولَّدت عقب ذلك المخاض العسير هي تلك الولادة المشؤومة ذات العلاقة بطريقة إدارة الدولة الغريبة وغير المتوقعة من أحدٍ فيما سُمي بسلطة الشعب التي وضع الهيكل العام لها ولأولياتها العامة "معمر القذافي" وهي ببساطة تتلخص في تقسيم كل محافظة أو بلدية أو ولاية كما يسمونها في بعض الدول إلى أحياء؛ كل حي من هذه الأحياء يُعتبر جميع سكانه فوق سن الثامنة عشرة أعضاء في مكوَّن يسمى المؤتمر الشعبي الأساسي، يجتمعون جميعاً أو من خلال تجمُّعات يتم التنسيق بينها أو ربطها ببعض لاختيار أو (تصعيد) وكلمة تصعيد هي المصطلح الثوري للنظام بديلاً عن الاختيار أو الانتخاب أعود وأقول لاختيار مجموعة من الأشخاص لا يتجاوز عددهم أصابع اليد الواحدة أحياناً لإدارة جلسات المؤتمر الأساسي، وتسمى أمانة المؤتمر، تتولى الدعوة إلى الجلسات وإدارتها وتنظيمها وطرح جدول الأعمال المقترح وتنقيحه أو الإضافة إليه من قِبل الأعضاء، وهي إضافات بسيطة تتعلق بأمور ومطالب محلية في الغالب، أما جدول الأعمال الأساسي غالباً ما يأتي لهذه الأمانات من أعلى ـ كما يقولون ـ كما يقوم أعضاء تلك المؤتمرات باختيار لجنة عددها حسب تنوع القطاعات كعضو الصحة أو التعليم أو ما إلى ذلك تسمى اللجنة الشعبية للمؤتمر، ومهمتها تنفيذية بحتة، أي تقوم بتنفيذ قرارات المؤتمر

كافةً فيما يخص الحي أو الدولة بالتنسيق مع اللجان الشعبية الأخرى على مستوى المحافظة والتي يتم تشكيلها من خلال أعضاء اللجان الشعبية بالمؤتمرات، فمثلاً تم تشكيل لجنة شعبية للصحة على مستوى المحافظة تتكون من جميع أعضاء الصحة باللجان الشعبية للمؤتمرات، وقاموا باختيار أمين (رئيس) لها يسمى أمين اللجنة الشعبية للصحة لمحافظة كذا أو كذا، وهؤلاء الرؤساء يكوِّنون اللجنة الشعبية للصحة على مستوى الدولة الذين يختارون رئيس لهم يسمى أمين أو رئيس اللجنة الشعبية العامة للصحة، ويعتبر أميناً أو وزيراً للصحة في الدولة وعضواً في اللجنة الشعبية العامة التي تضم الوزراء كافةً حسب القطاعات يرأسها أمين اللجنة الشعبية العامة أو رئيس الوزراء، وهذه الأخيرة أو حتى سابقاتها غالباً ما تختار من قِبل القيادة وبتوصيات منها من خلال مؤتمر الشعب العام، وتختص بتنفيذ القرارات الخاصة بالدولة الليبية الصادرة من المؤتمرات الشعبية الأساسية في الأحياء التي تجتمع أماناتها سنوياً في مؤتمر الشعب العام لصياغة تلك القرارات وبلورتها في قوانين متى لزم ذلك وإحالتها إلى اللجنة الشعبية العامة أو الوزراء أو الحكومة للتنفيذ، مع وجود أجهزة رقابية عقيمة تُحيل تقاريرها إلى المؤتمرات الأساسية عن أية مخالفات لاتخاذ ما يلزم بشأنها.

إن هذا هو الشكل العام لسطلة الشعب تقريباً وهو أشبه بالمتاهة بحيث تذوب القرارات وتتلاشى وهي في الطريق، مع ملاحظة أن هيكلية هذه السلطة تعرضت للتعديل أكثر من مرة في شكل لجانها

الشعبية ومؤتمراتها التي تُقَلص أحياناً أو تمتد إلى مناطق أوسع أو أشمل مما يؤثر على عددها زيادةً أو نقصاناً.

وقد جاء هذا الشكل من الحكم في الكتاب الأخضر الركن السياسي، الذي يقول إنه "لا ديمقراطية بدون مؤتمرات شعبية" و"اللجان في كل مكان" ويدعو إلى أن تكون "السلطة والثروة والسلاح في يد الشعب" و"التمثيل تدجيل" و"المجلس النيابي حكم غيابي" وما إلى ذلك من المقولات التي حفظها الشعب الليبي، ولم يجد بُداً من الحياة معها دون جدوى ودون أن يلمس فيها ولو جزءاً بسيطاً من الحقيقة، وفي الدورة الأولى لاجتماعات تلك المؤتمرات التي سبقت إعلان قيام سلطة الشعب في مارس 1977، تم طرح الكتاب الأخضر بأطروحاته كافةً لاعتماده في جدول الأعمال لاتخاذ قرار بشأن تطبيقه واعتباره منهجاً لنظام الحكم في ليبيا، وقد تم ذلك وسط أجواء غير طبيعية وما صاحبها من توتر عام ناتج عن الحرب التي خاضها النظام مع المثقفين ورجال الأعمال والتجّار والطلبة، وقَبلهم جميعاً العسكر، وفي ظل المقاومة الشعبية للنظام بالسلبية تُجاه كل توجهاته، والإعراض عن حضور جلسات تلك المؤتمرات التي لم يتجاوز عدد الحاضرين فيها عن العشرة بالمائة؛ وهي الأعداد التي غالباً ما تزوَّر وتضرب في المائة أو الألف، وهم ممن ينتمون إلى اللجان الثورية وآخرين من عامة الناس البسطاء مما مكَّن من تمرير ذلك القرار باتخاذ الكتاب الأخضر منهجاً للحكم بكل يُسر وسهولة؛ لدرجة أنه كان مجرد إجراءٍ شكليٍّ لا غير، ويعلم الشعب بشرائحه كافةً أن حضوره لتلك المؤتمرات غير مُجدٍ

على الإطلاق، ويجرُّ الويلات على كل من يجرؤ أو يفكر في الحضور لأجل الاعتراض أو إبداء وجهة نظر أخرى غير ما أورده الكتاب الأخضر، وأيضاً تم هذا وسط حشد للموالين واللجان الثورية التي كانت تخرج بتحريض من النظام في الشوارع وتهتف (الفصل الأول لازم منه تطبيقه من غير محنَّة) والمقصود هنا الفصل الأول من الكتاب الأخضر؛ الركن السياسي ولزوم وضرورة تطبيقه دون رفض.

وهكذا هُيئت كل الأجواء لإعلان قيام سلطة الشعب السلطة الجوفاء والأكذوبة الكبرى التي كان من أبرز قراراتها اعتبار خُطب وأحاديث وكلمات القائد وتوجيهاته قرارات واجبة التنفيذ كما أن تلك المؤتمرات أكدت وأقرت قوانين الشرعية الثورية التي صاغها "معمر القذافي" بيديه وكشَّر فيها عن أنيابه السلطوية لمن لم يرها؛ وهي قوانين أعطت الحق له في الاعتراض والرفض وإصدار الأوامر والقرارات، واتخاذ كل ما يلزم لحماية نفسه ونظامه انطلاقاً من الشرعية الثورية، وهي أمور وإجراءات تُمارس من قِبل القائد ولا تحتاج إلى أية قوانين، ولا أدرى لماذا تم عرضها على المؤتمرات؟! ربما للتسلية أو الضحك على الدقون وعرضها كنوع من الاستخفاف بعقول الناس، وهي كمن يقول نحن أصحاب السلطة ولكم الأمر.

وانعقد مؤتمر الشعب العام في أول جلسة له في مارس 1977 بحضور أعضاء المؤتمرات وأعضاء اللجان الشعبية لتجميع وإقرار ما اتخذته المؤتمرات من قرارات أبرزها تبنِّي الكتاب الأخضر، وألقى "معمر القذافي" خطاباً في المؤتمر بصفته أميناً له أكد فيه على قيام

سلطة الشعب، وأن الكتاب الأخضر هو طريق الخلاص للبشرية وآخر ما توصلت إليه التجارب البشرية، وأنه لم يؤلف هذا الكتاب وإنما هو خلاصة كفاح الشعوب، وآخر حلٍّ للديمقراطية، وصدر عن هذا المؤتمر إعلان قيام سلطة الشعب الذي حلَّ بديلاً عن الدستور الذي تمَّ إلغاؤه وإيقاف العمل به منذ سنوات، وهو ـ أي الاعلان ـ مكوَّن من عدَّة مواد تتضمن اسم الدولة وطريقة حكمها والدفاع عنها.

ومن أغرب الأشياء غير المتوقعة هو اسم الدولة الذي تمت مناقشته في المؤتمرات وتم تداول عدة أسماء أذكر منها الجمهورية، والدولة الليبية والشعبية، ودولة الجماهير، ولكن لم يخطر ببال أحد اسم الجماهيرية الذي طرحه "معمر القذافي" والذي ورد في الإعلان كمادة أولى له، وسمِّيت ليبيا "الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية" دون عظمى التي ستأتي فيما بعد عقب الغارة الأمريكية التي استهدفت القذافي ومقار مخابراته، حيث أضافها إلى اسم الدولة معللاً ذلك بأن ليبيا واجهت دولة عظمى، وسمي هذا الإعلان "إعلان عن قيام سلطة الشعب"

إن "معمر" اهتدى إلى هذا النظام ليجعل منه حُجَّة ومطيَّة ودرعاً يبقيه في السلطة ويحمي به نفسه، كما أجاد ـ وباقتدار ـ استخدام سياسة الذريعة ضدَّ خصومه، وفي أعقاب الجدل السياسي الذي حدث في بداية السبعينيات عن السلطة وتداولها وكيفية إدارة الدولة الليبية، وكان حينها لا يزال في موقف الدفاع، وهو بحاجة إلى الوقت وإلى توفير أجواء سياسية مناسبة ودعمها بإمكاناتٍ مادية متمثلة في تحريك الشارع

ودغدغة عواطف الناس البسطاء، وهو عنصر لا يُستهان به؛ وأجاد استخدامه.

أقول إن الفكرة يبدو أنها تبلورت لديه في ذلك الأوان، خاصة وأن الرجل بدأ ماركسياً وأطروحاته تميل إلى الشيوعية وإن كانت بلون أو بوجه آخر؛ فأوجد ما سماه النظرية العالمية الثالثة ومن ثَم توغل في تفاصيلها إلى إن ظهرت علينا بالشكل الوارد في الكتاب الأخضر، ولم يتبقَ له سوى تمهيد الطريق للتطبيق الذي بدأ فيه بعد خطاب زوارة 1973 مباشرةً.

نعم إنه يدعو إلى أن يحكم الشعب نفسه بنفسه ويراقب نفسه وأنه ليس من طلاب السلطة كما هو حاله حتى كتابة هذه الكلمات؛ أليس هذا كافياً لجر أعداد قد تكون كبيرة للوقوف معه وخاصة من الشباب الواهم والمندفع في ذلك الوقت وراء المتاح الذي لا يعلمون حقيقته أحياناً ؟!

كما أنه من الممكن تمرير تلك الأفكار تحت ضغط الإقناع والترغيب والترهيب، مع التلويح بسحق المعارضين لها دون حرج، بل وبإرادة الثورة.

أعتقد أن تلك هي الخطة التي وضعها للعمل بها على المدى الطويل، وأشعر أنه لا يفكر معه أحد، لقد قام باستغلال الشباب بشرائحهم كافة، وخاصة الطلبة بعملية غسيل أفكار واسعة ودقيقة، وتوظيف مشاعر وحماس أولئك الشباب لخدمة أغراضه.

فكم من مرَّةٍ أشار في خطبه أنه يمارس إلغاء وجوده هو ومن تبقى معه من أعضاء مجلس قيادة الثورة، ولكن الواقع عكس ذلك تماماً؛ إذ إن وجوده تأكَّد وترسَّخ وأصبح القائدَ والمفكرَ والمعلمَ والملهمَ والمهندسَ الأولَ والفارسَ الأولَ والرياضيَّ الأولَ، وأخيراً ملكَ الملوك، إنه يقول السلطة في يد الشعب وأنا هو الشعب؛ نعم هذه هي الصورة التي كنا نراه عليها، وهذا هو الوضع الذي عشناه معه.

إن الشباب الواعد في مُقتبل العمر يشعر أنه لا بدَّ له من دور وهو في مرحلة طَرق باب الحياة، ويشعر بالغبطة والسعادة طالما تمتد له يد شخصية مهمة لتصافحه، ومن سِماته أيضاً الاندفاع لتحقيق الذات، خاصة إذا كان هذا الاندفاع في اتجاه دور قيادي؛ ولو محدود يتسم بصفة سياسية دون وعي دقيق منه لحجم الخدمة المُقدمة للطرف الآخر.

لقد تم استغلال تلك الشريحة بوضع مخطط لاستقطابهم في صف النظام بالنبش في عقولهم ودغدغة أفكارهم ومشاعرهم وإيهامهم بأنهم في الطريق الصحيح.

إن الخروج في مظاهرات أو مسيرات تأييداً للنظام وللثورة التي اختُصرت في شخص "القذافي" كانت داعماً أساساً لا يُستهان به في تلك المرحلة، وكان معظمها من الشباب والطلبة في هَرج ومَرج استمر لسنوات، وتتركز أكثر في المناسبات الوطنية وتخرج تلك المسيرات بشكل مُمنهج من المدارس والجامعات والمؤسسات الأخرى بإشرافٍ تامٍ من قِبل اللجان الثورية، وكان لها الأثر الكبير في الوصول إلى

الأهداف، وكبح جماح كل من تسوِّل له نفسه الوقوف أمام تحقيقها، وهي تشبه الضربات الاستباقية؛ الرصاص فيها والقنابل هي الكلمة والهتاف الذي ـ غالباً ـ ما يتردد في هذه المسيرات دون أن يعي أولئك الشباب وأحيانا الأطفال ان الكلمة التي تخرج من أفواههم لها قيمة وثمن كبير، لذا فإنه من الواجب على الدولة الليبية المنشودة تدريس الديمقراطية في المدارس، وخاصة للنشء الصغار وتعليمهم أصول التحاور، وكيف نختلف في الآراء دون أن يكون في ذلك أي حرج، وماهي العلاقة بين الفرد والدولة، وقيمة الكلمة والمواطنة، وجميع المعاني الدقيقة للاستبداد والديكتاتورية والشمولية، وأيضاً وقبل كل شيء المعاني السامية للحرية ولنضع بين كل درس وآخر نشيداً يتغنى بها.

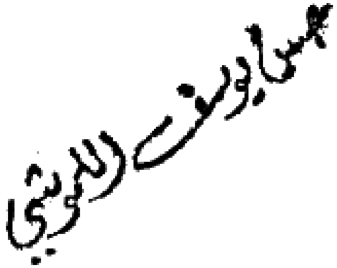

متاح للتحميل ضمن مجموعة كبيرة من المطبوعات من صفحة
مكتبتي الخاصة
على موقع ارشيف الانترنت
الرابط
https://archive.org/details/@hassan_ibrahem

حق التعبير

من أبسط حقوق الإنسان حقه في التعبير؛ وذلك بإبداء الرأي شفاهية أو كتابة في الأحداث أو القضايا التي تهمه، وهذا الحق ـ على بساطته ـ لم يكن متاحاً؛ لأن أُذن النظام لا تحتمل سماع أي رأي آخر لا يتماشى مع توجهاته، بل ويجرِّم ذلك، وتجاوز الأمر إلى أن مجرد التفكير فيما لا يتماشى مع النظام يعدُّ جريمة يعاقب عليها.

وأوعز هذا النظام من خلال النظرية العالمية الثالثة إلى أن الديمقراطية تعني الحكم الشعبي وليست التعبير الشعبي، وأنكر على من يحكم حقه في التعبير؛ وهو أمر غريب.

إن النظام وأعوانه وعلى رأسهم اللجان الثورية يدفعون بأن المواطن في ليبيا تجاوز حرية التعبير إلى اتخاذ القرار مباشرةً ولكن هذا غير صحيح وغير مقبول من الناحية الديمقراطية؛ لأن هذا نوع من أنواع الكبث وتكميم للأفواه، وهو أمر أقره "النظام" ليصدَّ به حرية الكلمة ويدعم به استفراده بالرأي، وهو يعلم ـ جيداً ـ أن حرية التعبير هي القاعدة العامة لاتخاذ القرار السليم وهي جزء منه ومكوِّنٌ من مكوناته.

إن المؤتمرات تُعقد مرَّةً أو مرتين في السنة، وفي كل مرَّة قد تُعقد لعدة أيام لا تتجاوز أسبوع أحياناً، وتصور أن عليك حبس رأيك وربما أنفاسك إلى حين موعد انعقادها لتتجاوز مجرد الرأي وتتخذ قرارك مباشرةً.

إن منع حرية التعبير في ليبيا جعل من الناس يعيشون سجناء رأيهم، أياً كانت مستوياتهم الثقافية أو التعليمية فقد ظل الكثير من الكتاب سجناء للكناية للهروب من المعنى والمقصد الحقيقي لكتاباتهم وأختلقوا العديد من اللغات التي لا يفهمها إلا المدققين والتي تتكلم بها القطط أو القرود وحولوا المجتمع وما يجري فيه من أحداث إلى حديقة حيوان.

ولم ينقصهم سواء الإشارة إلى كلمة نرددها فيما بيننا أحياناً وهي (العاقل يفهم).

كما إن القلة الظاهرة على الساحة الثقافية من كتاب وآدباء ظلت لسنوات طويلة تُطل من الشباك ولا تجرؤ على النزول إلى الشارع وهم أساتذة منهجيون يمارسون عملهم الآدبي في قالبه العلمي البحث دون محاولة ربطهِ بالزمن المعاش أو بالواقع ربما لإرضاء أنفسهم والنأى بها عن المشاكل والمخاطر التي قد يتعرضون لها وهي سنة آدبية سيئة قد تنتهجها الأجيال التي تأتي من بعدهم مما يؤدي إلى المراوحة في ذات المكان والخشية المستمرة من التغيير لإحداث الفارق الإيجابي للدفع بالمجتمع إلى الأمام والرقي والتقدم، وتجاوز الأمر إلى منع التظاهر السلمي كأحد الوسائل للتعبير عن الرأي بداعي أن الشعب لا يمكن أن يتظاهر ضد نفسه، فهو من بيده الحكم ولا وجود لحاكم آخر كي يتظاهر ضدَّه وأمرَ "القذافي" أكثر من مرة بسحق أية مظاهرة قد تخرج إلى الشارع دون هوادة حمايةً لسلطة الشعب التي دونها الموت وكرر ذلك عدة مرات وفي العديد من المناسبات، وعاش الناس في جو

ظلامي قاهر لا يعلو فيه صوت إلا صوت الديك عند الفجر؛ الفجر الذي تأخر كثيراً وأبت الليلة الظلماء أن تنجلي واستعصى ضياؤها عن الظهور؛ وربما هي في انتظار من يضحُّون بدمائهم وقوداً لقناديل الحرية والنور.

❁ ❁ ❁

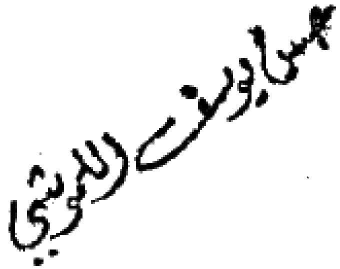

احتواءٌ تعسفٌ وسيطرةٌ

وسط الأجواء الموغلة في الاحتواء الشامل لكل شيء في حياة المواطن بدءاً من مأكله ومشربه وما يسمع وما يقرأ وما يشاهد إلى تربيته لأبنائه وعلاقته بهم، وهنا أودُّ الحديث عن هذه النقطة بالذات لما كان لها من أثر على نفسي جعلني استهجن وبشدَّة الأسلوب السافر والمُقيت لهذا النظام في تعامله مع الأطفال بدءاً من أطفال الروضة؛ حيث تم التدخُّل في المادة التعليمية التي يتلقونها بإدخال كلمات يرددها الأطفال كل صباح من خلال الأناشيد والأغاني التي يتعلمونها.

وكما هو معروف فإن أطفال الروضة يعلمونهم بالأغاني والأناشيد الجميلة التي يحفظونها ويرددونها على مسامع آبائهم وأمهاتهم في جو مليء بالبهجة والسرور عند عودتهم إلى البيت ولكن حينما تتم سرقة الكلمة من فم طفلك ليردد لك أنشودة "بَابَا معمر" أو حينما تسأله أنت أو غيرك عن بَابَا يفاجئك بقوله "بَابَا معمر" تشعر بمدى الاستغلال الممنهج لبراءة الأطفال وسرقة كلمة بَابَا من آبائهم.

قد يستصغر البعض هذا، ولكنني أُعدُّه كبيراً جداً، نعم إنني عندما أرسل بطفلي إلى الروضة ليعود لي بكلمة "بَابَا معمر" ليس لي ما أفعل حياله سوى محاولة نسيان أنني سمعتها منه مع تمنياتي بألا يكررها داخل البيت، وأسأل نفسي هل أوقفه وأحرمه من الذهاب إلى الروضة من أجل هذا؟! والحقيقة أن هذا الأمر يسجل في النهاية كاعتداء إجرامي

لا يراعي المشاعر الإنسانية، وأتساءل هل يرضى أيٌّ كان أن يردد طفله الصغير اسم أحدٍ غيره وينعته بكلمة بَابَا.

إن هذا الفعل البسيط مع الأطفال لهُوَ كبيرٌ جداً مع الآباء وتضايقتْ منه العديد من الأسر، ولم أكن أنا وحدي من تضايق من هذا الأمر.

ولم يقتصر الحال على أطفال الروضة، بل امتد ـ وبكل تأكيد ـ إلى العبث بالمناهج الدراسية للطلبة الدارسين بالمرحلة الابتدائية وما بعدها بتدريسهم كتاباتٍ مضللة في سياق الأيدولوجية المطروحة من قبل النظام؛ بعضها يتحدث عن عائلات بعض رموزه القبليين وترحالهم وهجرتهم وأصولهم التي تمتد عبر صحراء ليبيا إلى تشاد والنيجر ووسط إفريقيا في محاولة لغرس مفاهيم إيجابية نحوهم؛ لأنهم يعلمون أن ولاءهم لم يكن لليبيا خالصاً، وأصبحوا حديث الناس بالتشكيك في ولائهم، وأن أصولهم تشادية أو إفريقية، ومنهم من لم يولد في ليبيا وأقاربهم مازالوا بدول الجوار حتى الآن، وتكلم الناس بصراحة وتساءلوا عن هؤلاء ومدى ولائهم لبلدهم وتوجسهم من أبناء البلد وخاصة في المدن، وتحسسهم من المتعلمين والمثقفين البارزين فيها الذين حُرموا من تقلد المناصب، وتمت معاملتهم بعنصرية؛ وأخص منهم من هم من طرابلس وبنغازي ومدن أخرى تأتي بالتدريج حسب هواهم.

إننا وبإحصائية بسيطة نضعها أمام النظام عن الوظائف السيادية الهامة في الدولة لسنوات طويلة كالمديرين العامين والأمناء ومفوضي الشركات والهيئات والسفراء والمراقبين الماليين بالخارج والكتَّاب

العامين وشاغلي جميع الملحقيات الثقافية والصحية بالخارج، هذا عدا الوظائف الحساسة التي لا يمكن الحلم بتقلُّدها من قِبل أبناء المدن العريقة مثل طرابلس التي يزيد عمرها عن الألف سنة، والتي لا مكان في تركيبتها الاجتماعية للقبيلة، وأصبحت جملة "أنا من طرابلس" أو كلمة طرابلسي كأنها مسبَّة، وهم يشعرون ـ أي ابناء طرابلس ـ أنهم ليبيون قبل أي انتماء آخر مهما كانت أصولهم القديمة، سواءٌ كانوا منها أو من الوافدين إليها الذين عاشوا فيها، وكانت هذه ميزتهم التي تميزوا بها عن باقي المناطق في ليبيا.

أعود وأقول إن بهذه الإحصائية سيتبين لنا الانتماءات الداخلية لهؤلاء الذين تقلَّدوا تلك المناصب وقبائلهم، ولوجدنا وبكل وضوح إن معظمهم بالإضافة إلى كونهم أعضاء في اللجان الثورية هم من قبائل معينة معروفة للشعب الليبي بقربها من النظام ورأسه، علماً بأن هذه القبائل ـ ودون أدنى شك، ونقصد الشرفاء منهم ـ قاموا بالعديد من المحاولات لرد الظلم عن الشعب الليبي، إن هذه السياسة إن لم يكن يدركها هؤلاء فهذه مصيبة وإن أدركوها ـ وهو الأقرب ـ فالمصيبة أعظم، لأن حجم المسؤولية في إدارة الدولة كبير، ولا يجب إقصاء أية شريحة عن دورها في تحمُّل المسؤولية فيها وفي إدارتها.

إنني ـ ومع أسفي الشديد ـ حضرتُ ذات مرَّة مأدبة غداء أقامتها شخصية مقربة من النظام من الدرجة الثالثة، شخصية تمتلك مزرعةً نموذجيةً كبيرةً، بها من العمال الأفارقة العشرات .

هذه المأدبة أقيمت في صالة كبيرة مجهَّزة لاستقبال الضيوف بالمزرعة، وإلى هنا الأمر عادي، واللهم لاحسد، حتى وإن كان كل هذا قد أتى على حساب الشعب أو بطرق غير مشروعة فهذا مجرد مثال للعشرات أو المئات ممن استفادوا من مواقعهم للنهب وملء الجيوب.

وبالعودة إلى بيت القصيد، وبالضبط إلى الضيوف الذين ملؤوا الصالة الكبيرة عن آخرها؛ حيث جلست بينهم وأنا لم أتفاجأ بنوعيتهم أو ـ على أقل تقدير ـ بنوعية أغلبهم، ولكنني وجدتُ نفسي أستمع ولا أتكلم؛ حتى أنني لا أُجيد اللهجة التي يتكلمون بها، وأعني باللهجة النبرة اللغوية لسكان وسط وجنوب ليبيا وهي المنطقة التي ينتمي إليها معظم الموجودين.

وجُل ما استمعت إليه ـ إن لم يكن كله ـ يتردد بين تساؤلات فيما بينهم عن آخر منصب يشغله أيٌّ منهم، وهل ما زال يشغله أم استبدله بمنصب آخر؟! وأين هو فلان؟! وهل ما يزال ماسك الشركة كذا أو تركها إلى أخرى؟! وأن الهيئة الفلانية يرأسها فلان، وهم يستخدمون لفظ "ماسك" أو "مازال ماسك" وهو لفظ لم يرُق لي؛ حيث ارتبط في ذهني بمن يمسك شيئاً في يده.

وهمهمت في داخلي قائلاً : ومن أين لهؤلاء القدرة على تحسس ألفاظهم.

وهكذا شعرت مع هذه الأحاديث أن البلاد مقسمة وموزعة فيما بينهم، وتأسفتُ وبشدة وأنا أستمع إلى حديثهم، وكيف أن شخصيةً من هؤلاء تأتي لتترأس أو تدير جهةً معيَّنةً أو تحتل منصباً معيَّناً في طرابلس

أو بنغازي وهي لا تقيم فيها أو رتبت للإقامة فيها حديثاً كأحد متطلبات المنصب، إنه أمر مؤسف في حق هذه المدن حتى إن منهم من تقلَّد بالمدينة منصب (شيخ محلة) وهو ليس منها لا المحلة ولا المدينة، ولكنه الغُبن.

وتجلب هذه الشخصية أناساً من مناطقها للعمل معها ليكونوا الدراع اليمنى لهم ومكمن أسرارهم، وتكون لهم السطوة واليد الطولي في مواقعهم.

وهناك نوع آخر من هؤلاء ممن يتسيَّد موقعاً له في المدينة دون حتى الإقامة فيها، وإنما يكفيه المرور من حين إلى آخر على ذلك الموقع.

إن مجمل الشكايات من قِبل الناس بسوء حالة المدن والتقصير في إعمارها وبنائها وتجميلها أسوة بمدن وعواصم البلدان الأخرى، تأتي من أن مسؤولية إدارتها ليست في يد أبنائها بل هي في يد من يأملون في تملك عقارات بها، والإقامة فيها هم وأبناؤهم، ويا ليتهم أفادوا واستفادوا؛ ولكنهم استفادوا أكثر مما أفادوا، وكان لواعز الانتماء الأثر الكبير فيهم.

وطبعاً كل هؤلاء يمكن ملاحظتهم في مدينة مثل طرابلس أو بنغازي من خلال سياراتهم وزيهم، بل ومعرفة حتى أبنائهم وعائلاتهم، وأنهم يجهرون بالقول إن سياراتهم تُخيف أهل طرابلس، وإن لفظ "جماعة كحيلة" يدرك معناه حتى الأطفال في طرابلس؛ وهم جماعات تنتمي إلى النظام من مناطق قبلية ترتدي زياً مميزاً وتركب السيارات الفارهة، و"كحيلة" اسم لجمل، وليس من الغريب أن تحظر اجتماعاً مًّا في

طرابلس لمديري أو رؤساء هيئات أو غيرها وتكتشف أنه ليس من بينهم شخص واحد من طرابلس، ولا أقصد أنه ربما يكونون من مدن أخرى غير طرابلس، بل الأدهى أن تجدهم من عشيرة معينة معروفة لليبيين أو من عشائر متقاربة؛ حتى إن أحد المسؤولين ترأس اجتماعاً لمديري المراكز والهيئات التابعة له في طرابلس، وحال دخوله الاجتماع علَّق قائلاً ما هذا ؟ هل نحن في طرابلس أم في السودان ؟! لتقارب لون بشرتهم الأسمر، وقُوبل تعليقه هذا بالضحك من قبل الحاضرين، والمعنى واضح ولا يحتاج مني إلى أي تعليق.

إن سياسة الإقصاء والتهميش التي عانى منها أبناء المدن العريقة مثل طرابلس وبنغازي ومدن أخرى على طول الساحل الليبي كانت واضحةً جليَّةً، وقد أدت تلك السياسة إلى مشاكل كبيرة في دول مختلفة أخرى وصلت إلى حدِّ ارتكاب مجازر وحروب وقد يكون من المؤلم قراءة هذه التحاليل التي أوردتُها سواء للقارئ العادي أو حتى لمن ينتمون إلى تلك العشائر والقبائل ولكنها الحقيقة التي يجب أن نعلمها جميعاً لنستقي منها الدروس لبناء مجتمعٍ خالٍ من الأمراض ويسعى إلى التقدم، وفي النهاية فإن هذا حدثَ في أول جماهيرية في التاريخ يسعى نظامها إلى بناء المجتمع الاشتراكي السعيد؛ مجتمعٍ كل الناس فيه متساوون.

❋ ❋ ❋

الاقتصاد الاشتراكي

للقذافي مدرسةٌ كان فيها هو المدير والمعلم في آن واحد، وعلى رأي اللجان الثورية التي تهتف له أثناء إلقاء محاضراته وخطبه وتقول "علِّم يا قائد علِّمنا كيف نحقق مستقبلنا" فهو لم يكتف بالحاضر فقط، بل سيوصي بالمستقبل أيضاً لنا وللأجيال القادمة.

وفي أحد هذه الدروس أوصى بإنشاء شركات عامة تجارية وصناعية مملوكة للمجتمع أو الدولة، وكان هذا أول تحوُّل فعلى للاقتصاد الليبي من اقتصاد السوق إلى الاقتصاد الاشتراكي وكانت البداية بإنشاء الشركة العامة للأسواق التي حلت محل آلاف التجار؛ حيث تم قفل حوالي 7000 محل تجاري في طرابلس وحدها، وتم الشروع في التعاقد مع شركة إيطالية تترنح بين البقاء والإفلاس لبناء عدد من الأسواق المجمعة الكبيرة المتعددة الأدوار والاخرى المتوسطة الأرضية على طول البلاد وعرضها، وملئت هذه الأسواق بشتى أنواع البضائع التي تم توريدها من الخارج أو من بعض المصانع في الداخل التي آلت إدارتها إلى العاملين بها وفرار معظم أصحابها إلى الخارج، وأصبح مدير الشركة العامة للأسواق شخصية بمنزلة وزير دولة، كما أصبح مديرو الأسواق المجمعة والأخرى الأرضية أشخاص في غاية الأهمية بعد أن تولوا على عاتقهم تسيير جزء كبير من الاقتصاد الليبي، وتحملوا هم

وموظفوهم وزر التعاقدات لتوريد البضائع من الخارج والحسابات والجرد.

وقد بدأت هذه الأسواق بداية جيدة من حيث الأسعار وتوفير البضائع، ولكن كما كان متوقعاً فإن هذا لم يستمر طويلاً لأنها لا تعمل بعقلية التاجر، على الرغم من أن جل العاملين فيها كانوا من التجار السابقين، ولكن التاجر لنفسه غير التاجر الموظف فهذه الأسواق لم يوضع لها نظام محاسبي دقيق لحساب التكاليف والأرباح وما إلى ذلك، بالإضافة إلى أنها ملكية عامة في نظام يتحدث عن الأرباح بأنها ليست هدفاً بل إن النقود سوف تختفي في المستقبل، وما شاب من فساد وتلاعب في قوائم الجرد، وقوائم البضائع المعدومة، والقوائم المحالة للإدارة العامة لغرض إقرار بعض التخفيضات لها؛ حيث تدرج بعض البضائع غالية الثمن في هذه القوائم بتخفيضات هائلة، وبالتالي أيلولتها إلى موظفي الأسواق وإدارته بشرائها من قِبلهم حال إقرار التخفيضات وقبل علم المواطن.

أما الفساد الكبير للدينصورات الذين ما كانوا يرضون بالفتات من خلال القوائم أو التخفيضات كما ذكرت سلفاً، بل إن تركيزهم كان على التعاقدات التي كانت فرصة لملء الجيوب حتى الثمالة، حيث بلغت العمولات التي يتقاضاها هؤلاء قمّتها وإن توقيع عقد واحد مع إحدى الشركات لتوريد سلعة معيَّنة قد يكفل له الحياة في بحبوحة من العيش طوال حياته وحياة أبنائه وأنا لا أبالغ، وأشعر أنني يجب أن أذكِّر القارئ بأن هذه حقائق وأن ما خفي كان أعظم.

ورافق إنشاء الشركة العامة للأسواق وبعدها بقليل إنشاء عدد من الشركات والمنشآت الأهلية مثل المنشأة الأهلية للملابس والمنشأة الأهلية للمواد المنزلية والكهربائية، والمنشأة الأهلية لمواد البناء، والمنشأة الاهلية للألعاب والأدوات الترفيهية والشركة الوطنية للأثاث، والشركة العامة للمواشي واللحوم والشركة العامة للتسويق الزراعي، والشركة العامة للقرطاسية وغيرها مما غاب عن ذاكرتي، وكل هذه الشركات والمنشآت مملوكة للدولة، وكل منها يمارس مهامه في صناعة وتجارة سلعة معينة حسب الاختصاص، مع ضم المصانع المستولَى عليها بالزحف الأخضر كافةً حسب نوعية كل مصنع ليصبح تحت إدارتها المباشرة.

وانطلق العمل بهذه الشركات وافتتحت لها مراكز توزيع في كل أنحاء البلاد، وتم توظيف أعداد كبيرة للعمل بها، وأصبح لهؤلاء الموظفين حظوة لدى الناس لما لهم من دور في توفير احتياجاتهم متى تعذَّر عليهم ذلك.

فمراكز التوزيع كافةً التابعة لهذه الشركات والمنشآت كانت مليئة بالبضائع شأنها شأن شركة الأسواق قبل أن يعم عليها الفساد والإهمال والسرقة والحرائق التي لا تنشب إلا قبل عمليات الجرد بقليل، مما جعل الحصول على تلك البضائع ليس باليسير أحياناً، وازداد سوءاً بعد مرور سنوات قليلة فقط على إنشائها وبدأ المواطن يلهث وراء لقمة العيش، وزاد انشغاله بحاجياته الخاصة، وهو أحد أبرز أسباب التخلف للدول.

وأضحى الحديث العام للناس ـ سواء في بيوتهم أو الشارع أو حتى في أعمالهم ـ عن الحاجيات المهمة أو المطلوبة وأماكن توافرها ومتى يتم توزيعها وهكذا.

وانشغل الناس بالذهاب إلى مراكز التوزيع التابعة للشركات والأسواق والعودة منها وخاصة النساء اللاتي يملأن ساحات الأسواق في كل صباح بزيهن التقليدي الأبيض (الفراشية) آنذاك حتى وصف المنظر لدى العامة بكلمة "الدجاج الأبيض" مع الاحترام التام للمرأة الليبية، وفي ذِكري لهذا فليس المقصود المرأة في حدِّ ذاتها وإنما المنظر.

ولبس الفراشية ليس فقط مراعاة للزي الليبي فقط بل وللتخفي عن أنظار الآخرين أو الأخريات؛ كون هذه المرأة أو تلك تزاحم في الأسواق مما لا يستساغ مع عاداتنا وتقاليدينا المحافظة ولكنه وضعٌ أُجبرنَ على التعامل معه جرياً وراء لقمة العيش ومتطلبات الحياة، ومع تقادم الأيام والزمن اشتد الزحام وقلَّت البضائع، وأصبح المنظر كارثياً للغاية؛ وخاصة في المناسبات والأعياد، وزاد الطابور طولاً، ولم تجد اللجان الثورية مبرراً لهذه الفوضى والطوابير إلا القول إن الطابور ظاهرة حضارية.

نعم هكذا كان الردُّ الذي لا يُردُّ في زمن الصدِّ والزمن الذي لا يعرف لرأيه ضدٌّ.

وتم اختراع طرق حديثة للتسوق سأتناول منها كمثال تسويق الملابس، هذه الطرق عاشها الناس وتعاملوا معها خاصة في الأعياد

والمناسبات باستعدادهم لها بالتدريب قليلاً على كرة اليد أو السلة قبل المجيء للسوق كي تكسب الرهان بالعودة بشيء ما وألا تتفاجأ بالتقاط غيرك لحاجتك، فبمجرد وصولك إلى الميدان ـ عفواً السوق ـ ستدخل وبكل روح رياضية في مباراة لالتقاط ما يُقدف إليك في كيس مملوء بالملابس، فبالإضافة إلى ضرورة إظهار مهارتك في الالتقاط فإنه ليس من الضروري أن يكون محتواه مطابقاً لطلبك، وقد يكون محتواه ملابس داخلية فقط.

وما عليك إلا التوجه إلى الخزينة لدفع ثمنه المحدد والموحد وبعد ذلك وخارج السوق وليس بداخله يمكنك فتحه والاطلاع على موجوداته فإن أعجبتك وكانت أحجامها وأنواعها مناسبة لك أو لأحد أفراد عائلتك فأنت لا شك محظوظ، وإلا فإنه يمكنك مبادلتها مع زبائن آخرين للحصول على مبتغاك، عدا ذلك فإنك ستكون الخاسر الوحيد، وليس لك إلا الدعاء على من كان السبب ليُجازى يوم الوعيد.

سأروي لكم مشهداً من مشاهد الأسواق حدث أمامي وقمت فيه بدور الشاهد المتأمل لأن نفسي وإرادتي لم تطاوعاني لأن أكون مشاركاً فيه.

دخلت أحد الأسواق المجمّعة، وقادتني قدماي إلى الطابق أو الدور الذي تباع فيه المواد الغذائية ومواد التنظيف، فوجدته فارغاً كما هو متوقع، فالأدراج خاوية إلا من بعض البضائع القديمة غير المطلوبة، ولكن بعض الناس ينتشرون وقوفاً في الصالة الفسيحة الخالية، والبعض الآخر شدَّ انتباهي بجلوسه على الأرفف بدلاً من البضائع في منظر لا

يخلوا من الطرافة وبعظهم افترش الأرض بعد أن أعياه تعب الوقوف والانتظار الذي قد يستمر إلى ساعات كما يبدو، وهنا لا مجال للحيرة من هذا المنظر أو حتى التساؤل، فلابد أن هؤلاء في انتظار شيء ما ربما سيوزع في أية لحظة، ولم يخطر ببالي محاولة سؤال أي منهم عمَّ ينتظرون لأني أعلم الأجواء العامة لتلك الأيام؛ فإما أن يكون الجواب بالرفض عن الإفصاح بما يعلمون وإما أنهم لا يعلمون، وهم فقط انتظروا مع المنتظرين طمعاً في الحصول على أي شيء سيوزع، فقد انتشرت في تلك الأيام النكات وأحاديث الهزل التي يرددها الناس، ومنها أنه بمجرد وجود طابور يمكن الانضمام إليه بغض النظر عما يوزع في مقدمة الطابور.

المهم أنني أخذت مكاناً لي عند جانب الصالة وانتظرت قليلاً ولكن سرعان ما انتابني القلق فأنا لا أحب الانتظار، وهممت بالانصراف، عندها لاحظت حركة غير عادية من قبل بعض الأشخاص عند أحد الأبواب المؤدية إلى الصالة، توقفتُ وانتظرتُ ونظرتُ تجاه ذلك الباب؛ وإذا بي أتفاجأ بعربة ذات عجلات مليئة بعلب صابون مسحوق الغسيل يدفع بها وبسرعة كبيرة شخصان من ذلك الباب تجاه وسط الصالة ويتراجعا بسرعة خوفاً على أنفسهم، وماهي إلا لحظات حتى تدافع إليها جرياً؛ كل المنتظرين رجالاً ونساءً وأطفالاً في تكتل كبير وسط الصيحات والصراخ العالي وخاصة من قِبل النساء اللاتي فقدن جزءاً من ملابسهن لالتقاط ما يمكن التقاطه من علب الصابون.

وفي زمن قياسي ربما لا يتجاوز دقائق محدودة أُفرغت العربة من محتواها، وتحولت علب الصابون منها إلى أعناق ولا أقل أيدي المحظوظين منهم، واصطفوا مبتهجين بما تحصلوا عليه ليدفعوا ثمنه ويعودوا إلى بيوتهم بعد أن ضيَّعوا ربما نصف اليوم، وقد تعمَّدتُ تصوير المشهد كما حدث بالضبط لأضع القارئ أمام الصورة الحقيقة للمعاناة، وهناك أمثلة أخرى كثيرة لهذه المعاناة، فلو أخدنا شريحة الفلاحين مثلاً فقد عانوا من آلية تسويق إنتاجهم الزراعي؛ إذ إن الشركة العامة للتسويق الزراعي احتكرت على نفسها بيع وشراء كل المنتجات الزراعية، وافتتحت مراكز كبرى لتجميع الخضروات والفاكهة والمنتجات الزراعية الأخرى من الفلاحين في كل المدن وبأسعار محدودة ومن تم توزيعها على مراكز توزيع الخضر والفواكه المنتشرة في معظم الأحياء والتابعة لها للتعامل مع المستهلكين.

كما أنها المسؤولة عن استيراد المنتجات الزراعية والفواكه وهذه الشركة ـ الغول ـ تملك مخازن مبردة كبيرة وخاصة في المدن الكبرى وأسطولاً من السيارات المبردة العملاقة كالتي نشاهدها في الأفلام الأمريكية.

إن فلاحاً بسيطاً قد يتعرض للمشاكل من قِبل السلطات ويُعاقب بمجرد محاولته بيع القليل من البرتقال إلى المستهلك مباشرةً وكأنه باع مواد محضورة أو مخدرة.

وتفصيلياً أكثر فإنني سأكتفي بأن أُورد مثالاً واحداً فقط لإحدى الشركات لأنها كثيرة واحتكرت المناشط كافةً، هذا المثال هو الشركة

العامة للمواشي واللحوم لأهمية هذه المادة في حياة المواطن، ففي ليبيا كما هو الحال في معظم دول العالم كانت توجد محلات للجزارة خاصة ببيع اللحوم وتخضع لإشراف الدولة من حيث الشروط المهنية والصحية وعملية الذبح من خلال السلخانات الموزعة بالمناطق، وحال صدور القرار بإنشاء الشركة العامة للمواشي واللحوم تم الاتصال بجميع محلات الجزارة وإعلامهم بالتوقف عن عمليات الذبح أو بيع اللحوم والتنسيق مع الشركة، واعتبارهم مراكز توزيع لها على أن تتولى الشركة إحضار اللحوم لهم بسعر محدود للكيلو ويتولون هم بيعها بسعر محدد أيضاً، دون أن يكون لهم أي دور آخر، ومارس هؤلاء عملهم لفترة زمنية لم تدم طويلاً حتى أتت قرارات أخرى من الشركة بتغيير خطة العمل؛ إذ تحول هؤلاء التجار السابقين في محلاتهم التي تحولت إلى مراكز تسويق كما أسلفنا إلى موظفين يتبعون الشركة، وتم تصنيفهم إلى درجات وظيفية حسب القانون وبمرعاه أقدميتهم في المهنة عن طريق نقابة الجزارين أو القصابين أو ما يسمى بمصطلح النظام المؤتمر المهني للقصابين، وعلى ضوء ذلك صارت تُصرف لهم مرتبات، ويقومون باستلام اللحوم من الشركة وبيعها لصالحها بالسعر الذي تحدده؛ مما سهل المهمة كثيراً عليهم، ولكن هذا الأمر لم يستمر طويلاً أيضاً؛ إذ إن الشركة وجدت نفسها في ورطة مع تناقص اللحوم خاصة المستورد منها، وهي ملزمة بدفع المرتبات، وسرعان ما لجأت إلى التغيير من جديد، وكان هذه المرة أن تحولت إلى فكرة المحاصصة أو المشاركة وسميت بالمشاركة في الإنتاج، وذلك بإحضار اللحوم .

وهو الشيء الوحيد الذي لم يتغير. بكميات معينة حسب طاقة كل مركز توزيع محدد السعر، ومن ثم بيعه إلى المستهلك بسعر محدد أيضاً، وتقاسم الربح مع الموظف أو التاجر القديم، وتم إيقاف المرتبات مباشرةً عقب هذا التغيير الأخير.

وهو الوضع الذي لم يرق للتجار السابقين؛ إذ إن المقابل كان ضعيفاً جداً دفع معظمهم إلى التحايل بزيادة السعر وبالذبح وبيع اللحوم خلف الأبواب، والحقيقة إن التعليق يبدو صعباً بعد رواية كل هذه التفاصيل لأني لم أجد ما هو أجدى من ترك الكلمات تتكلم عن نفسها لتخترق حتى العقول الصماء، وكل هذا لا لشيء إلا لأن هناك من حرَّم ما أحل الله وأوقف العمل بالتجارة بأنواعها كافةً، وفي منتصف الثمانييات تقريباً لفظت معظم هذه الشركات والمنشآت أنفاسها الأخيرة، وتمت تصفيتها بخسائر كبيرة جداً كما هو الحال بالنسبة للمشاريع الأخرى العامة الزراعية والحيوانية التي تم تقسيم أراضيها وممتلكاتها على العاملين النافذين في تلك المشاريع مما مكنهم من الاستفادة والإثراء على حساب الباقين.

ولم يعد هناك أي مصدر يلبي حاجة الناس من مواد تموينية وغيرها إلا الجمعيات التعاونية؛ مع ملاحظة التداخل الزمني لعمل هذه الجمعيات مع الشركات العامة وبعدها، وكان على المشتركين في تلك الجمعيات بالمناطق والأحياء أو الجمعيات الأخرى التابعة للجهات العامة أو جهات العمل، كجمعية العاملين بشركة الكهرباء، أو بمركز كذا أو كذا وهكذا، كان عليهم استخراج كتيب سُمي بكتيب الاستهلاك

يُصرف لكل عائلة يحتوي على عدد من الصفحات خصصت كل صفحة لسلعة معينة تدوَّن فيها الكميات والمقادير المحدد صرفها شهرياً كالسكر، والدقيق، والزيت، والطماطم، وأغلب السلع الأساسية وافتقر الناس إلى معظم السلع التي كانت متوفرة في الأسواق فقد اقتصر توزيع البضائع في الجمعيات على السلع الأساسية فقط، وأحياناً، وبندرة بعض السلع المعمرة كالثلاجات أو الأفران وغيرها، أما السلع الأخرى كالفواكه والحلويات والمكسرات والشكولاتة فقد أصبحت في حكم الكماليات لدى الليبيين، بل إن الأمر قد طال حتى بعض السلع الأساسية كالبقوليات، ولم ينقص هذه الجمعيات سوى تسميتها والتي كان من الأجدى تسميتها بالجمعيات الإغاثية، وتذكرتُ جمعية الأونروا التابعة للأمم المتحدة في فلسطين المحتلة التي ربما كانت تعمل أفضل من جمعياتنا في تشابه غريب مع اختلاف المحتل أو نوعية الاحتلال فنحن نقاسي من احتلال داخلي بغيض أدى إلى نقص حاد لكثير من السلع مما جعل معظم الليبيين يسافرون إلى الخارج لجلبها معهم كبضائع صحبة مسافر مع تساهل واضح من السلطات الجمركية في تلك الفترة لحاجة الناس الضرورية لها .

وبلغ الحد أن تم توريد الحمص والمكسرات والعلكة والشكولاتة والموز ومناشف اليد بل وحتى الملابس الداخلية من الخارج من خلال حقائب المسافرين وأشياء أخرى عديدة، أما السلع المعمرة كالثلاجات أو الأفران أو الغسالات فإنك حدِّث ولا حرج فالجمعية التي بها أعضاء عددهم يتجاوز 500 عائلة قد تعلن عن توزيع بعضٍ من هذه السلع لا

يتجاوز عددها العشرة ويجرى الحديث عن ذلك الإعلان قبل توزيع تلك السلع بأيام ويعلق إعلان كبير بالجمعية يحدد فيه يوم التوزيع أو البيع، وهو يوم تُجرى فيه القُرعة على تلك الثلاجات أو الأفران، وعند ذلك الموعد يتجهز عدد كبير من أعضاء الجمعية إن لم يكن كلهم لدخول القرعة، وتوضع كتيباتهم الاستهلاكية في صندوق يوضع بمكان عالٍ تسهل رؤيته من قبل الناس الذين يلتفون حوله في منظر أشبه بالاحتفال أو المظاهرة، وعادة ما يتقدم أحد الأطفال الحاضرين لسحب أحد الكتيبات بعد خلطها ليعلن عن الفائز الأول بإحدى هذه الثلاجات أو غيرها، وهكذا يتكرر المشهد إلى حين نفادها.

وقد تتعالى صيحات الفرح من قبل الفائزين أو الزغاريد إن كان الفائز امرأة، وتتناهى إلى سماعك التبريكات والتهاني للفائزين حدث هذا في ظل دولة غنية جداً بالنفط.

والقارئ قد يعتقد أني أقوم بتأليف أو كتابة دراما تلفزيونية كلا إنها حقائق وفي زمن يعيش فيه العالم في مستوى متقدم للغاية ومستوى حياة الفرد في الدول المناظرة لليبيا عالٍ جداً يصل إلى حدِّ الرفاهية.

أما ـ أخي القارئ ـ إن انتابك الشعور اللاإرادي بأنك تقرأ مسرحية فبرجاء الانتباه.

واستمر هذا الحال لسنوات طويلة على حساب الحياة الكريمة للشعب الليبي إلى أن انهارت بالكامل جميع الصروح الاقتصادية للنظام الاشتراكي، وبدأت مرحلة جديدة رأى فيها الكثيرون عودة محتشمة إلى اقصاد السوق؛ وذلك في بداية التسعينيات من القرن العشرين.

وأن من أكبر الأثار الجانبية لفكر النظام أن قيد سبل الابداع لدى الأفراد وقطع الطريق على أي محاولة للمبادرة والمساهمة في صنع التقدم في شتى القطاعات الصناعية أو الزراعية أو الخدمية لإنعدام الرؤية العامة للنظام ولعدم الاستقرار وبالتالي فقدان الثقة، ولم يكن هذا خافياً على رأس النظام وأجاب عليه بذات الفكر إن مجرد التفكير في هذه الشريحة من الأفراد الذين يتمتعون بالموهبة والذكاء والقدرة على إحداث الفارق في تقدم الدول لم يكن وارداً وترك كل شيء للعموم وهو المبدأ الذي لا يتماشى مع الثقافة العامة للناس لخلوه من الحافز والتنافس وظل الجميع في انتظار اللقمة التي ستقدمها الدولة من دون تعب وأيا كان نوعها فكلنا سواسية.

وأجدني أكثر ميلاً إلى أن الناس حريصين على شكل الحياة العامة لهم أكثر حتى من اهتمامهم بنوع الحكم أو النظام.

وصدور عدة قوانين وتشريعات تحد من الزيادة في الإنتاج للأفراد بحجة تطبيق المبادئ الاشتراكية كان مسلكاً خطراً عاد بالدولة إلى الوراء ومؤخراً لم تجدي كل محاولات الإصلاح التي تلت هذه الإجراءات كتوسيع قاعدة الملكية أو حصرها في إعداد محددة ليكونوا شركاء في إدارة وملكية شركة أو منشأة ما، وكل هذا تم في ظل أحد الاطروحات التي تقول أن من لا ينتج لا يأكل.

بل أن محاولات الإصلاح هذه كانت فرصة كبيرة لشريحة من المؤكد أنها لم تكن من عامة الشعب للثراء وهم الفئة التي تقتنص في كل مرة الثغرات التي يتيحها النظام لإستغلالها الاستغلال الأمثل وتم

ذلك بتأسيس شركات صناعية أو استيراد وتصدير أو خدمات بأسماء وهمية تتكون من مائة فرد وحتى خمسمائة دون أو يكون لهم أي دور فيها.

وهذا مبعثه إلى عدم وضع أسس عامة وراسخة ودائمة وواضحة لإدارة اقتصاد الدولة.

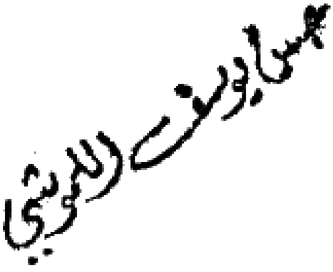

مواجهات

لم يدَّخر الليبيون جهداً في سبيل التغيير إلا أن هذا النظام الشمولي الذي ابتلانا الله ـ سبحانه تعالى ـ به والمتمثل بنسبة كبيرة في فكر معمر القذافي كتب له أن يستمر حيناً من الدهر.

وفي مرات عدة قام عدد من هؤلاء وخاصة ممن امتلكوا الإمكانات أو المواقع المناسبة بمحاولة التخلص من القذافي ونظامه لإنقاذ بلادهم والشعب الليبي من ظلمة.

وفي إحدى هذه المحاولات التي قام بها عدد من الليبيين المنتمين إلى المعارضة المنظمة وأسميها المنظمة لأن جل الشعب معارض ولكنه مقهور بواسطة القبضة الحديدية، وما أُعدَّ له من أدوات إرهاب وتعذيب، أقول قام هؤلاء الرجال المنتمين إلى جبهة إنقاذ ليبيا في مايو 1984، بمحاولة اقتحام مقر القيادة أو المعسكر الرئيس في طرابلس المسمى بمعسكر باب العزيزية للقضاء على القذافي وضربه في عقر داره، ولكن محاولتهم باءت بالفشل، وهم من عائلات ليبية أصيلة، وتمت مواجهتهم بكل وحشية، واستعملت معهم أسلحة توجه للذبابات، وملاحقتهم في شوارع طرابلس وفي مزارع عين زارة ووادي الربيع بضواحي طرابلس، وتم قصف مبنى عمارة في شارع الجمهورية عندما تحصن البعض منهم فيها، وبعد إخلائها من سكانها تم قصفها بالقاذفات واستشهدوا بداخلها، وتم القبض على عدد ممن تمت

ملاحقتهم وضُربوا وعُذبوا وقُدموا إلى محاكمات ثورية فورية هزلية أُعدَّت فيها المشانق سلفاً، وكإجراء يتعدى كونه شكلياً إلى الإمعان في الإهانة والقهر تمَّت محاكمتهم في مؤتمراتهم الشعبية بمناطقهم، أي أمام ووسط أهاليهم وأقاربهم وجيرانهم وسكان أحيائهم كما هو الحال عندما أُعدم الطلاب في كلياتهم أمام زملائهم كما ذكرت سلفاً.

وتم اقتياد هؤلاء إلى مكان المحاكمة في حالة سيئة حفاة القدمين من قبل أشخاص من اللجان الثورية وآخرين أمنيين وعسكريين مدججين بالسلاح ووسط ظروف صعبة جداً يملؤها الخوف والحزن في آن واحد، تتم المحاكمة بتوجيه بعض الأسئلة للمتهم من قِبل أيٍّ من الحاضرين أتباع النظام أو الفضوليين أو من كان الخوف دافعهم الأول لحضور هذه المحاكمات التي عُقدت في الميادين والساحات، ووسط هتاف أفراد اللجان الثورية بالقول "ما نبوش كلام لسان نبو (نريد) شنقاً في الميدان" يتم النطق بحكم الإعدام ويعلق المتهم بالمشنقة ويسحب من تحته الكرسي أمام أنظار الجميع ليتدلى من حبل إعدامه، وإلى هنا لم ينته الأمر من الناحية المأساوية والإرهابية المحزنة، بل وفي لحظات ربما لم يفارق فيها المعدوم الحياة بعد يتقدم أفراد من اللجان الثورية ليتعلقوا به ويتمرجحون في أرجله ضاحكين، والشعب يشاهد ذلك من خلال شاشة التلفزيون الليبي الذي نقل تلك المشاهد مباشرةً دون مراعاة للنساء أو الأطفال وكانت هذه الإعدامات في شهر رمضان المبارك، وأعيد بثها على التلفزيون عند الإفطار في الشهر الكريم مع التعليق بالتهديد والوعيد بالصوت مصاحب لمشاهد الإعدام تلك،

ووقت الإفطار حسب توقيت مدينة طرابلس هو التوقيت الذي يكون فيه جُل الليبيين أمام شاشة التلفزيون ليشاهدوا ويسمعوا التهديد بأن كل من تسوِّل له نفسه معاداة الفاتح هذا هو مصيره.

ذلك الشهر الكريم الذي لن ينساه الليبيون لأنهم تناولوا فيه إفطارهم على مشاهد الإعدام والتهديد.

ومن مكملات هذه الأعراس الدموية أن وُضعت جثة المعدوم في إحدى سيارات الشركة العامة للنظافة، كما حدث في منطقة سوق الجمعة للشهيد عثمان زرتي بتاريخ 1984/6/5 لتتجول به في المنطقة صحبة مجموعة من اللجان الثورية مهللين للفاتح ومتوعدين لسحق كل من يقف في طريقه وتحت أنظار القهر الذاتي الذي وصل إليه الشعب والذي لم يعد له أي ملجأ إلا الدعاء أو نظرات إلى مشهد يتابعون فيه زفة الشهيد إلى الجنة بأذن الله.

ولا أعلم وربما لا أحد يعلم ما الذي جرأ لجثمان الشهيد أهو في البحر أم في البر ولكنني أعلم أنها وباقي جثامين الشهداء لم تسلم إلى أهاليهم ولم تقم لهم بيوت عزاء أو جنائز.

والجدير ذكره أن بعض هؤلاء أُعدموا وهم عطشى ولم يتمكنوا من الصلاة أو قراءة شيء من القرآن كما هُجّرت عائلاتهم وتم هدم بيوتهم والتضييق على أبنائهم وتهديدهم، بل تمادى النظام إلى تهديد مناطقهم أو قبائلهم بمنطق أن السيئة تعمُّ وأنهم المسؤولين الأوائل عن أبنائهم.

وعلّق القذافي على عمليات الإعدام هذه عندما تنادى إلى أسماعه أنه لم يراع فيها حرمة شهر رمضان المبارك قائلاً إن إعدامهم في شهر رمضان عبادة.

وفي تصريحاً آخر أعرب عن أسفه لإعدامهم في رمضان.

وهذه بعض النماذج لسلسة من الإعدامات قام بها النظام ضدّ مجموعات أخرى من المدنيين والعسكريين، وجرت فيها نفس الطقوس المثيرة والمؤلمة، وكان أشهرها إعدامات مجمع سليمان الضراط الرياضي ببنغازي، بمشاهدها النادرة تاريخياً إذ طلب أحد المعدومين شربة ماء ولم يستجب له، وآخر طلب رؤية أمه دون جدوى، وهي الإعدامات التي نُفذت رداً على قيامهم بقتل أحد أفراد اللجان الثورية المخضرمين ببنغازي 1987.

ومرَّ الشعب بسنوات بلغ فيها الضغط ذروته في منتصف الثمانينات، وجاءت الغارة الأمريكية في عهد الرئيس الأمريكي رونالد ريجان في إبريل 1986 كردٍ على المغامرات والعمليات التي يقوم بها القذافي بأنحاء متفرقة من العالم؛ وخاصة إفريقيا التي حولها إلى ساحة معارك بينه وبين أمريكا وفرنسا كنوع من صراع النفوذ بالانقلابات والتدخلات التي التهمت الكثير من الشباب الليبيين في معارك لا ناقة لنا فيها ولا جمل، وجُلها كان صراعاً بين قبائل أو عائلات على السلطة، ولا قِبل لنا بها وأضحت المواجهات متوالية، وما هو إلا زمن قليل حتى حلّت قضية لوكربي التي جاء الاعتراف الضمني للقذافي نفسه بها وباستهداف مخابراته لطائرة "البان آم الأمريكية" التي تحطمت على قرية لوكربي

ببريطانيا بتاريخ 21 ديسمبر 1988، حيث وصف الغارة الأمريكية بـ"لوكر A" واستهداف الطائرة الأمريكية "بان آم" بـ"لوكر B" وهي العملية التي تكبّدت فيها أمريكا عدداً كبيراً من القتلى العسكريين الذين ذكرت الأخبار أن عدداً كبيراً منهم كان يستقل تلك الرحلة التي كان على متنها 270 راكباً من جنسيات مخلتفة، ودخلت ليبيا في قضية عالمية سُميت "قضية لوكربي" بعد اتهام أمريكا وبريطانيا لأشخاص ليبيين بالضلوع في تلك القضية، ولما تم رفض تسليم المتهمين الليبيين إلى بريطانيا أو أمريكا لمحاكمتهم؛ صدر قرار من مجلس الأمن بفرض حظر جوي دولي على طائرات شركة الخطوط الجوية العربية الليبية، ولم تعد الطائرات الليبية التابعة لهذه الشركة تهبط في أي مطار دولي، وهذه الشركة هي الوحيدة العاملة في مجال الطيران المدني الدولي والداخلي، واكتفت هذه الشركة بالرحلات الداخلية فقط، مع فرض حظر على تزويدها بطائرات جديدة أو قطع الغيار وما إلى ذلك.

وبدأت رحلة معاناة جديدة لليبيين أصبح فيها شدُّ الرحال إلى الخارج يمرُّ عبر دول الجوار وخاصة تونس ومصر، أو باستخدام السفن السياحية القليلة، وتم إنشأ خط زوارق بحرية سريعة من طرابلس إلى مالطا، وسميت تلك السنوات بسنوات الحصار، والحقيقة وللتاريخ إنه لم يكن هناك حصار رسمي دولي لليبيا، فالحدود البرية والبحرية كانت متاحة للتنقل وللبضائع، والموانئ كانت تعمل بصفة اعتيادية، ولكن النظام هو من شاء ذلك وقام بتضخيم ذلك إعلامياً بدلاً من تحسين أوضاع الناس ومساعدتهم على التنقل البحري والبري عن طريق الدول

المجاورة وحصر مشاكلهم في هذا إلى أن يصل إلى حل في القضية التي ورطهم فيها.

وبدلاً من هذا، في ذلك الوقت أرسل من يحجون على الإبل للأراضي المقدسة، وهم مجموعة من الأمنيين كُلفوا بالرحلة صحبة مصرفهم (بنكهم) المتنقل المليء بالعملة الصعبة الذي كان يتدلى في رقبة أحد الجمال.

وفي الوقت الذي سعت فيه المملكة السعودية إلى المساعدة من خلال الأمم المتحدة في القيام برحلات جوية خاصة بالحجاج الليبيين، وتوافق هذا التوقيت المتأزم مع المعاناة من الاقتصاد الخاوي والهش الذي فُرض على الشعب والدولة والذي بلغ حده في نهاية الثمانينيات، عندها لجأ النظام إلى ما يشبه الانفتاح في عهد "السادات" بأن أمر وقام في واحدة من أشهر مغامراته بتحطيم الحدود مع مصر وتونس بركوب جرار وهدم البوابتين والسماح بانسياب البضائع بحرية كاملة ودون جمارك، حتى إن الشاحنات التي تُشحن في بور سعيد تُفرغ حمولتها في طرابلس دون أن يعترضها أحد سواء في الحدود أو في الطريق، واستمر هذا الوضع لفترة محدودة، واستقبل الليبيون تلك البضائع في بداية زمن الانفتاح باندفاع شديد نظراً للجفاف الاقتصادي غير المسبوق الذي مروا به، وتم تمرير الكثير من البضائع الفاسدة والمنتهية الصلاحية للسوق الليبي، والكثير من الممنوعات مثل المخدرات والمؤثرات العقلية، وصدرت قرارات من السلطات المسؤولة في النظام بالبدء في منح التراخيص لمزاولة العمل التجاري لأول مرّة منذ أن تم إلغاؤها في

منتصف السبعينيات وكان هذا الحدث كبيراً قام الكثير من الليبيين على إثره بفتح محلات تجارية في شتى فروع وأنواع المهنة وبطريقة غير نظامية لا من حيث المستندات اللازمة للترخيص بأن بدأت المحلات تعمل بالإيصال فقط – وهو المستند الذي يثبت تقديم الأوراق اللازمة للترخيص – ولا من حيث المكان أو البناء اللازم لممارسة العمل التجاري.

وتم هذا بصفة محتشمة ومترددة غير مصدقين لما يحدث وليسوا على درجة من الوثوق بالنظام، ومتغيراته التي ألفوها.

وخاصة من حاولوا تطوير محلاتهم ورفع درجتها إلى مستوى الأسواق الممتازة، فقد انتابهم الخوف وشعروا بعدم الطمأنينة تجاه تحركات النظام.

وأعقب هذا مرحلةٌ غريبةٌ ظهرت فيها ظاهرة تجار الشنطة وبدرجة لا يستهان بها، وتمارس بانتظام دون أية إجراءات رسمية أو صحية من خلال الرحلات الجوية وخاصة مالطا وإيطاليا وإسطنبول، وعبر السفن البحرية المتوفرة آنذاك وهي غرناطة وطليطلة وتحويلها بعد أن كانت سفناً سياحية إلى ما يشبه السفن التجارية باستغلالها من قبل تجار الشنطة، وبعد أن كبرت الشنطة فأصبح عددها عشرات وتحولت إلى صناديق وتطور عددها إلى المئات، وباعتماد إجراءات إدارية بسيطة من قِبل سلطات الجمارك مواكبةً للمرحلة الاقتصادية وما صاحبها من نقص شديد في أنواع شتى من البضائع؛ وخاصة المعلبات والحلويات والبسكويت وما إلى ذلك، استمر تدفق البضائع بهذه الطريقة لمدة زمنية

معينة استغلها هؤلاء الشباب لبناء مستقبلهم وتحقيق طموحاتهم، وربما للتدرب على الشنطة أولاً لاقتحام هذا المجال، ومنهم من هو الآن من كبار التجار في ليبيا.

وكمثال على ذلك كانت التونة من المواد المستهلكة بكثرة من قبل الليبيين، والدولة لا تعيرها أي اهتمام، وتمارس الحظر عليها، ولم تكلف نفسها تطوير بعض المصانع التي كانت محدودة الإنتاج أو زيادة عددها على الرغم من الحدود الطويلة المطلة على البحر الأبيض المتوسط، وافتقدها الليبيون، وصاروا يصنعونها في بيوتهم، وقام تجار الشنطة بتوريدها صحبة مسافر بالطائرة بكميات تصل إلى 25 صندوقاً للمسافر الواحد مالطا – طرابلس، وخلال هذه المرحلة رفعت الدولة يدها عن الاقتصاد واختصر دورها على توريد السلع الأساسية المعتادة والمحظورة على غيرها كالدقيق والأرز والسكر والشاي والطماطم والزيت وتوزيعها من خلال الجمعيات التعاونية على المستهلكين، ومع كثرة الحركة التجارية غير المعتادة سابقاً وإحجام الدولة عن التعامل معها بفتح اعتمادات تغطية مالية لها بالسعر الرسمي للدولار باعتبارها سلعاً كماليةً وغير أساسية، ونقص العملة الصعبة في المصارف - البنوك - بداعي الحصار - وهو أمر مشكوك فيه بالنظر إلى التعويضات الكبيرة التي دُفعت لحلحلة قضية لوكربي، وحجم المليارات المجنَّبة التي ظهرت فيما بعد مما أدى إلى نشوء سوق سوداء للعملة الصعبة، ووصل سعر الدولار إلى عشرة أضعاف، وتبادل الليبيون الدينار الليبي مع الدينار التونسي والجنيه المصري بأقل من قيمته الحقيقة.

وانشغل النظام بحلِّ مشاكله مع الغرب لإنهاء الحظر الجوي المفروض على ليبيا بين أخذ ورد حول تسليم المتهمين بقضية لوكربي من عدمه، وفي الداخل انشغاله بتصفية حساباته مع التنظيمات الإسلامية؛ وخاصة الجبهة الليبية المقاتلة، وقيام النظام بتصفية عدد من الإسلاميين فيما سمي بمجزرة أبو سليم التي سأتحدث عنها لاحقاً.

واستمرت أزمة "لوكربي" إلى أن تم التوصل إلى حل وسط بمحاكمة المتهمين في دولة محايدة، وقامت ليبيا بتسليم المتهمين وتمت محاكمتهم في هولندا بواسطة القضاء الأسكتلندي، وحُكم على أحد المتهمين بالسجن المؤبد، وتمت تبرئة المتهم الثاني وقام النظام بتعويض أهالي ضحايا طائرة الـ"بان إم الأمريكية" بمبالغ كبيرة وصلت إلى 2,7 مليار دولار بمعدل 10 مليون دولار لكل عائلة تدفع على دفعات 4 مليون ثم 4 مليون ثم 2 مليون وكل دفعة مرهونة بشروط معينة ويأتي هذا المبلغ الكبير نظراً للعدد الكبير من الضحايا وهذه التسوية تمت من خلال صفقة دولية تم التوصل إليها بعد سلسلة طويلة من المباحثات والوساطات الدولية، انتهى معها الحظر الجوي المفروض على البلاد المغلوبة على أمرها؛ حيث إن ساعة رحيل القذافي ونظامه لم تحن بعد.

قتلى وقتل بالجملة

في ظل التعتيم المستمر وانعدام الشفافية يبقى الكثير والعديد من الأسئلة دون إجابات، وإذا ما حاولنا الإجابة عنها من خلال تحليل المعلومات المتوفرة والاستنتاجات فإننا لن نحصل على إجابات شافية أو مقنعة أن الأنظمة الديكتاتورية تمعن كثيراً في قهر المواطن ليس فقط من خلال إرهابه وسجنه بل أيضاً من خلال حجب المعلومة عنه ليظل حائراً أمام أحداث كبيرة جرت ولم يجد لها تفسيراً، أو أن يقنع نفسه بالتفسير الرسمي للحدث والأرجح أن يظل حائراً بين هذا وذاك، وهذا ما حدث لي ولجل المواطنين الليبيين إزاء ما حدث لطائرة البوينج 727 (إن دي ألفا) التابعة لشركة الخطوط الجوية العربية الليبية، الرحلة رقم (1103) القاصدة طرابلس من بنغازي والتي سقطت قبل هبوطها بقليل على أرض مطار طرابلس العالمي يوم 22 ديسمبر 1992 وهي تقلُّ (165) راكباً، لم ينجو منهم أحد وتحولت الطائرة إلى هباء وركابها إلى أشلاء، في توقيت اشتد فيه الخلاف بين ليبيا من جهة وبريطانيا وأمريكا من جهة أخرى حول تسليم المتهمين في قضية إسقاط الطائرة الأمريكية "بان آم" فوق قرية لوكربي باسكتلندا، ومع استمرار الحظر الجوي الدولي آنذاك المشمول بحظر قطع الغيار.

حدث ذلك الحادث وترك عدة تساؤلات: هل النقص في قطع الغيار كما ادعى النظام هو السبب في سقوط الطائرة، أم أنها سقطت بتفجير

من داخلها نتيجة عمل إرهابي، أم أن صاروخاً وُجه لها من الأرض أو من طائرة عسكرية اعترضتها ؟! وهل عطل في أحد أجزائها بسبب النقص في قطع الغيار يحولها إلى هباء؟! ولماذا توافق سقوطها مع ذكرى سقوط طائرة لوكربي وفي نفس اليوم تقريباً، وربما في نفس التوقيت؟! وهل قدم النظام ضحاياها قرباناً لحل مشكله لوكربي وإظهار حجم الأضرار الناجمة عن النقص في قطع الغيار؟؟؟!!!

كلها تساؤلات دارت في ذهن المواطن، وكانت موضع حديث الناس، ولم تقم الدولة بأي تحقيق شفاف لإظهاره للناس وتركتهم وتساؤلاتهم.

وفي فصل آخر وفي فترة بلغ فيها التوتر أقصاه بين ليبيا والولايات المتحدة الأمريكية سنة 1986؛ وأثناء تواجد الأسطول السادس الأمريكي في البحر الأبيض المتوسط أعلن القذافي عن الخط الأحمر الذي يجب ألا تتجاوزه السفن والأساطيل الدولية أثناء إبحارها في البحر المتوسط وهو الخط (32 درجة) وأسماه خط الموت، والفاصل بين المياه الدولية والمياه الإقليمية التي تضم خليج السدرة وفق رؤية النظام، وهو مالم تقرُّه الأمم المتحدة أو أيٍّ من المواثيق الدولية المتفق عليها حتى الآن والخاصة بالمياه الإقليمية والخلجان، ولكن النظام الليبي بقيادة "معمر القذافي" أمر بما يعتقد أنه حقه من طرف واحد، وأعلن حقه في الدفاع عنه مهما كانت التضحيات، وخرج علينا "القذافي" ببدلة البحرية الأنيقة واعتلى أحد زوارق البحرية الليبية صحبة بعض جنود وضباط البحرية، وتم التقاط بعض الصور التذكارية وأبحر

معهم لرسم خط الموت في جو احتفالي تم نقله مباشرة على شاشة التلفزيون، واعتبر ذلك تحدياً لأمريكا، دون أن ننسى أنه دارسٌ للتاريخ لكنه لم يستفد من دروسه كما ينبغي بل تأثر به سلباً بما احتواه من مغامرات وسوء تقدير وتضحية بأفراد وشعوب ودول لأشخاص أسميناهم أبطالاً ربما كانوا غير ذلك، ولم يمض وقت حتى صدرت الأوامر لنفس الزورق بجنوده وضباطه للإبحار على طول ذلك الخط لحمايته من أي خرق وهو يعلم بضباطه وجنوده أنه سيواجه الأسطول السادس الأمريكي ويعلم أنه لا قِبل له به، وأنهم يقدّمون كالطُعم ربما لأجل أهداف سياسية أو غيرها. وإنها أشبه بعملية انتحارية ولعلهم تساءلوا فيما بينهم كيف يروق لقائد تقديم جنوده لقمةً سائغةً للعدو والقائد الشجاع يحرص على أرواح جنوده كحرصه على قتل الأعداء وإلحاق الأذى بهم، ولكن هكذا هو حال الجندية أُمروا فأطاعوا، وأبحروا إلى أن اقتربوا من الأسطول السادس وأتصور انه وفي اتصالاتهم مع العمليات البحرية قال آمر الزورق الهدف أمامي، وكان الرد عليه تقدم، وكرر الهدف أمامي، ورد عليه تقدم، وفي المرة الأخيرة تلقى نفس الرد تقدم، وحينها وماهي إلا لحظات حتى توقف الزورق ولم يعد يتقدم، وتحول إلى حطام مبعثر في البحر، وتحول جنوده وضباطه إلى جثث تتقاذفها الأمواج، واستشهدوا جميعاً في مواجهة مع القذافي قبل أن تكون مع الأمريكان.

ويأتي هذا بعد مواجهة سابقة مع الأسطول السادس الأمريكي سنة 1981 أسقطت فيها طائرتين ليبيتين بنفس السبب.

فوضى وتخلّف

هذه مقتطفات وملخصات لبعض حالات الفوضى والتخلف التي عاشتها ليبيا لسنوات طويلة، فعلى سبيل المثال: إن ليبيا من الدول النادرة جداً في العالم التي لا توجد بها مواصلات عامة، فلا وجود للحافلات ((الباصات أو الأوتوبيس)) كما أنه لا توجد قطارات أو مترو أياً كان نوعه ويعتمد المواطن في تنقله على سيارات الأجرة "التاكسي" أو سيارات النقل الخفيف ذات الأربع وعشرين راكباً أو اثنى عشر راكباً، وهي سيارات ملكية فردية خاصة تعمل في مجال النقل لا تتقيد بأية قوانين، ولم تتمكن اللادولة الموقرة من السيطرة عليها سواء من ناحية الأسعار أو مراعاة الذوق العام، ويستخدمها الفقراء والمضطرون لها، وهذه السيارات عادة ما يقودها البعض من الشباب سيئ الأخلاق ويملؤها صخب الأغاني، ولا يجرؤ الراكب فيها على المجادلة، وتحتاج إلى أُذن صماء وخاصة من قبل النساء اللاتي اعتدن على ذلك كَرهاً فقط لكي تستمر حياتهن، فلا أحد يضمن لهن أية حقوق وسط دولة جوفاء لا معنى فيها لحقوق الإنسان.

ويأتي هذا بعد أن كانت ليبيا من أوائل الدول التي أسست لمواصلات عامة آمنة ونظيفة ومنظمة في عهد المملكة استمرت حتى بداية السبعينيات، وكانت تجوب شوارع طرابلس حافلات بخطوط سير

من مركزها إلى ضواحيها كافةً وبأزهد الأثمان قبل أن يتم حلها وتصفيتها وعدم توفير البديل المناسب.

وفي مثال آخر في مجال الاتصالات الداخلية ذات العلاقة بالهواتف "التليفونات" المنزلية؛ فقد كانت شحيحة للغاية حتى فترة التسعينيات، ووصل سعر الهاتف الأرضي إلى آلاف الدينارات، وهو يباع ويُشترى بين المواطنين مع ما يلزم للفنيين لنقله من مواطن لآخر، مع الملاحظة أن الهواتف اللاسلكية أو الجوالة لم تظهر بعدُ في ليبيا.

أما عن الاتصالات الدولية، فهي شبه محتكره من قبل الدولة ولا يتم الاتصال إلا عبر مكاتب البريد العام التابع للدولة بعد ملء قصاصة ورق بالاسم ورقم البطاقة الشخصية "الهوية" والرقم المطلوب والدولة والمدينة، والانتظار طويلاً إلى أن ينادَى عليك للدخول إلى إحدى الغرف المرقمة لرفع السماعة والتحدث في ظل معاملة سيئة من قبل موظفي البريد الأمنيين. هذا عن المواصلات والاتصالات وهي دون أدنى شك من أهم مؤشرات التقدم أو التخلف لدول العالم.

وإذا ما انتقلنا إلى مجال آخر حيوي وهو المجال السياحي فإننا سنجد أن عدد الفنادق قليل جداً، وخاصة في المدن الكبرى مثل طرابلس أو بنغازي، وعلى الرغم من توفر الإمكانات لدى الدولة التي تعدُّ من الدول الغنية إلا أن هذا القطاع لم يُولَ الاهتمام الكافي إلا بعد عشرات السنين، وعقب دخول الألفية الجديدة، وذلك ببناء عدد من الفنادق منها مالم يُفتتح حتى الآن ومنها ما هو في طور البناء، وظل محظوراً على الليبيين ملكية الفنادق أو البيوت أو المحلات بعد تطبيق

مقولة "البيت لساكنه" وأصبحت كل المساكن ملكاً للمقيمين بها، وألغي قانون الإيجار ودون أي إجراء مع المؤجرين أو أصحاب المساكن، وشمل هذا الإجراء جميع أنواع الملاك؛ سواء من امتلك العمارات أو بعض المنازل أو حتى من امتلك مسكناً او اثنين معدَّان للإيجار، ولكل مواطن الحق في امتلاك مسكن واحد للإقامة فيه مع عائلته فقط لا غير.

وتم حظر بناء المساكن أو أية عقارات أخرى؛ سواء لغرض الإيجار أو البيع، وبذلك لم تعد هناك أية بيوت للإيجار؛ مما ترتب عنه مشاكل كثيرة من أبرزها أن الأجانب القادمين إلى ليبيا سواء للعمل أو للسياحة يفاجؤون بعدم وجود بيوت للإيجار وعليهم الإقامة في الفنادق المحدودة جداً، وهو أمر يصعب عليهم ومُكلف وخاصة للعائلات.

أما الليبيون فإنهم لم يعودوا يؤجرون لبعضهم البعض أيضاً تماشياً مع القوانين الجديدة ومع مقولة "البيت لساكنه" وترتب على ذلك أن كل الشباب القادم على الزواج ليس له خيار إلا الحصول على أرض لبناء مسكن عليها؛ ما أدى إلى التوسع السكاني الأفقي وغير المرخص في أحيان كثيرة، وكان لهذا الأثر السلبي على الأراضي الزراعية، أما الخيار الثاني فهو الحصول على منزل أو شقة من الدولة التي أفاقت متأخرة جداً لتطبيق هذا الحل لتتحول إلى تاجر عقارات ببناء البيوت وبيعها ولكنها فشلت في تلبية احتياجات الشباب ورغباتهم في الحصول على منازل كما ينبغي.

وذكر "معمر" في إحدى كلماته أو خطبه أنه قام بدراسة تكاليف منزل مناسب فوجد أنها لا تتجاوز خمسة عشر ألف دينار، وهو تقريباً ربع

تكاليف منزل عادي جداً، ولكننا لم نستغرب سماع هذا منه لأننا متعودون على هكذا خوارق، كما أن كلامه لا يمتُّ بأية علاقة للواقع الاقتصادي أو حتى للسعر الذي حددته دولته التي يرعاها.

وظلت فئة كبيرة من الشباب حائرة بين العزوبية والزواج لعدم قدرتها على شراء أرض للبناء عليها أو دفع ثمن الشقق المعروضة من قبل الدولة والتي بدت كالحلم للكثيرين مما أدى إلى الزيادة في معدل العنوسة والعزوف عن الزواج عند الشباب.

بينما من جانب آخر وصلت أسعار تلك الشقق إلى مئات الآلاف بعرضها للبيع من قبل أصحابها المخصصة لهم الذين تمكنوا من الحصول عليها نتيجة لقدرتهم على الدفع وتحت مظلة عملية فساد كبيرة شابت قطاع الإسكان.

بل منهم من قام ببيع إيصالات فقط لتلك الشقق، وهي عبارة عن قصاصة ورق لا تساوي قروشاً، وعلى الشاري الدفع لصاحب الايصال، ثم دفع ثمن الشقة للدولة، ووصل ثمن الإيصال ضعف ثمن الشقة.

أما في مجال الخدمات السياحية أو غيرها فإنه من الغرائب التي يفاجأ بها غير الليبيين أنهم حينما تطأ أقدامهم ليبيا ويقومون بالتجوال في مدينة طرابلس فإن عليهم الاستمرار في تجوالهم إلى حين العودة إلى سكناهم دون التفكير في الاستراحة أو الجلوس في أحد المقاهي لتناول فنجان قهوة، أو الحلم بتناول وجبة شهية في أحد المطاعم، فلا وجود لهذه ولا لتلك لأن تراخيصها سُحبت؛ شأنها في ذلك شأن المحال التجارية، وأصبح هذا الاختصاص، أي فتح المقاهي والمطاعم

والمنتزهات ـ من اختصاص الشركة العامة للفنادق والسياحة، وهي لم تهتم بهذا القطاع إلا في حدود ضيقة من خلال بعض الفنادق التي كانت تشرف عليها، ونتيجة للسياسات العقيمة والحرب التي شنَّها "القذافي" على قطاعات وشرائح المجتمع الليبي كافةً؛ بدا الأمر واضحاً حتى للزائر الذي أصبح يتساءل عن مشاهداته الغريبة محاولاً فهم ما يجري؛ إذ إنه ولسنوات طويلة بدت طرابلس للزائرين مدينة أشباح، وتحولت ليلاً إلى مرتع للكلاب والقطط أما نهاراً فإن جميع المحلات مقفلة يعلوها الغبار، ولا وجود حتى لمقهى بسيط؛ في منظر مُوحش تتقاذف فيه الرياح الأتربة والأوراق على طول الطريق وعرضها، ويُمضي الناس معظم أوقاتهم في بيوتهم، وإن خرجوا فهم لا يخرجون إلا للسوق أي إلى الأسواق التي بنتها الشركة العامة للأسواق في أماكن محدودة ومتباعدة؛ حتى إن أحد الفنانين الكوميديين تغنَّى بذلك قائلاً: "وين ماشي ماشي للسوق، وين كنتو كنا في السوق" في قالب تكراري ساخرٍ من حياة الليبيين التي تحولت إلى روتين يومي في الانتقال بين الوظيفة والبيت والسوق الخالي طبعاً من أية وسائل ترفيهية ، أو أية أماكن لاحتساء فنجان قهوة أو تناول وجبة خفيفة.

أخطبوط الروابط والمنظمات

1- القيادات الشعبية

يبدوا أن النظام اتخذ من هيكلية سلطة الشعب نموذجاً لأنماط أخرى من السلطة الناعمة والتي من خلالها يدير البلاد والعباد وتعمل كأداة تحكُّم عن بعد يحرك بها متى شاء في الاتجاه المرغوب حسب الظروف والأحوال.

ففي كل منطقة تم تشكيل قيادة شعبية يرأسها شخص يدعى منسِّق القيادة الشعبية للمنطقة، وهي مكونة من عدد من الأشخاصْ المشهود لهم بدور مَّا في مسار العمل الثوري، وتم اختيارهم بالتنسيق مع مكتب الاتصال باللجان الثورية، وهكذا وعلى نفس المنوال تشكَّل قيادات شعبية للمناطق المكونة للمحافظة أو الشعبية كافةً، كما سماها "معمر" وتم تكليف شخصية بارزة موثوقة لتولي مهام منسِّق القيادات الشعبية بالمحافظة، وأخيراْ يتم تعيين منسق عام للقيادات الشعبية لليبيا ويكلف من قبل "معمر القذافي" نفسه أو بإيعاز ملزِم منه باعتبار أن هذا المنصب هام جداً نظراً للمهام الخطيرة الموكلة للقيادات الشعبية والمتمثلة في قيادة الناس على مستوى القاعدة في زمني الحرب والسلم كما أوضح ذلك القذافي بما يحقق الاستراتيجية العامة للدولة وسدِّ أي فراغ قد يحدث على مستوى القيادة .

2- الروابط الشبابية

في كل منطقة سكنية تم تشكيل رابطة للشباب باسم المنطقة وتتوزع هذه الروابط على المناطق كافةً وفي كل المدن الليبية وهي تعمل كما أرادوا لها على حل مشاكل الشباب وتلبية رغباته في الحصول على مسكن أو سيارة أو قرض، وهي أهداف رنانة وجميلة ولكنها لم توضع لتنفذ من قبل هذه الروابط، بل إن دورها يقتصر على الإشراف والتنسيق وجمع البيانات والاتصال من خلالها بالجهات ذات العلاقة مما يزيد ويربك العمل الإداري أكثر بإضافة حلقة جديدة بينه وبين المواطن وهي أهداف لم يتحقق منها شيء، وأخذت منحنى إعلامياً، وكان الهدف من إنشاء تلك الروابط هو احتواء الشباب في تجمعات قبلية لأنها بُنيت على أساس مناطقي أو قبلي كرابطة شباب زاوية الدهماني "اسم منطقة في طرابلس" أو رابطة شباب الصيعان " بقبيلة الصيعان" أو رابطة شباب ورشفانة بقبيلة ورشفانة.

وفي بعض المدن الكبرى كطرابلس التي تنوء بنفسها عن القبيلة إلا أنه ولوجود أعداد كبيرة وافدة إليها تعيش فيها وتنتمي إلى مناطق أخرى قبلية خارجها؛ فإنه تم تأسيس روابط شبابية لهم بأسمائهم في طرابلس؛ كرابطة شباب الزنتان بطرابلس على سبيل المثال، مما عزز روح القبيلة لدى الشباب، وأذكى روح التنافس بينهم لتحقيق مصالحهم، وقُسم شباب طرابلس إلى روابط كلٌّ حسب انتمائه القبلي، وعزل شباب العاصمة الأصليين في روابط خاصة بهم حسب مناطقهم.

واتخذوا مقرات لهم في قبائلهم أو في المدن، واندفع الشباب للتسجيل بهذه الروابط، وأصبحت لها كوادر وإدارة، إن هذا ودون أدنى شك تدمير للنسيج الاجتماعي الليبي، وهو ليس طعناً لمبدأ المواطنة فقط، بل يتعداه إلى الطعن في مبادئ إنسانية أخرى تمسُّ الشرائح العمرية الأخرى؛ فهل سننشئ روابط خاصة بالأطفال وأُخرى للشيوخ لنضمن حقوق الجميع، أم أنهاْ حيلة وإدكاء لنار الفتنة والسيطرة على الشريحة المؤثرة في المجتمع؟! فالدول المتحضرة بكل تأكيد منذ اللحظة الأولى لولادة أي مواطن فيها حتى موته له جميع الحقوق المتساوية مع الآخريين وعليه كل الواجبات.

3- المنظمة الوطنية للشباب

وُصفت هذه المنظمة بأنها حزبٌ أنشأه "سيف الإسلام" ابن "معمر القذافي" وهي منظمة ظهرت مع بروز نجم "سيف الإسلام" اتخذها منبراً وسبيلاً للتخاطب مع الشباب وإظهار أفكاره وآرائه في الشأن العام للدولة وخاصة الشباب وتعاطفه معهم ومؤازرته ومساندته لأهدافهم الطموحة وتبيان قدرته على تناول عدة مواضيع تهمهم دون أن يجرؤ أحد غيره على تناولها قبله ورسم من خلالها بكل وضوح ملامح الرجل القادم والدم الجديد المرحَّب به للمرحلة القادمة؛ مرحلة البناء والتعمير وسوسرة ليبيا وتدبيب طرابلس، وكأنه الابن الذي حاول إيقاظ أبيه وانتشاله من عديد المستنقعات الداخلية والخارجية، وكان ذلك واضحاً في اتصالاته مع المعارضة وتعاونه مع شخصيات بارزة دينية للتفاوض

مع السجناء كُللت بعضها بالنجاح، وفتح الطريق لشخصيات أخرى لتكون بجانبه في مشروع ليبيا الغد.

لذا فإن هذه المنظمة كان هدفها سياسياً بحثاً لحشد الطاقات البشرية والشبابية منها بالذات لخدمة ذلك الهدف وتتوجه بخطابها للشباب الليبي وتعتبرهم جميعاً أعضاء بها، وتتواصل معهم عن طريق منتديات أقامتها لهم في المناطق كافةً، وليس لها أية علاقة بالروابط الشبابية بالمناطق أو القبائل.

4- روابط المواليد

إن تاريخ ميلادكٍ قد يجلب لك الحظ الوفير من حيث لا تدري ويميزك عن غيرك لمجرد أن تاريخ ميلادهم قد يزيد أو ينقص ساعات معدودة عن تاريخ ميلادك، ومن ضمن التجارب التي تمخضت عنها الديمقراطية في ليبيا، وفي إطار بناء مؤسسات المجتمع المدني الشاذة والغريبة والنادرة في التاريخ تم استحداث روابط تتخذ من تاريخ ميلاد البشر منطلقاً لإنشائها؛ لا لشيء إلا لأنه وافق تاريخ الثورة السبتمبرية في يومها أو شهرها أو سنتها لتكون تلك الروابط سنداً لهم وداعماً لا يستهان به عند اللزوم.

وبمقتضي هذه التواريخ تم إنشاء رابطة مواليد 9/1 (واحد تسعة) وتضم كل من وُلد يوم 1969/9/1 وما بعدها من سنوات في نفس اليوم، ورابطة أخرى لمواليد الفاتح ((الفاتح هو اسم شهر سبتمبر (9) بعد أن غير اسمه إلى الفاتح، وسُميت الثورة باسم ثورة الفاتح)) وتضم كل من وُلد في شهر1969/9 وما بعدها من سنوات في نفس الشهر

لضمان الاستمرار، فـ"الفاتح أبداً" ورابطة ثالثة لمواليد سنة 1969 وتضم مواليد 1969 فقط؛ علماً بأن تلك الروابط ليست محلية فقط؛ بل منها ما هو دولي حيث تم إنشاء هذه الروابط في دول أخرى بالخارج انتسب إليها نفس المواليد وحتى غير الليبيين.

وفي تلك الروابط أو في غيرها المشابه يشعر الواعون والمثقفون بالمعاناة من التمييز بين المواطنين بما يشبه العنصرية الممنهجة عندما يرون بأم أعينهم المزايا التي يتمتع بها أعضاء تلك الروابط في مجال أولوية الحصول على سكن أو سيارة بأزهد الأثمان أو قرضٍ ماليٍّ أو حتى مِنحة لا تُرد ولا يتمتع بها من لم يولد في يوم أو شهر أو سنة الثورة!!!

5- الرفاق

الرفاق هم كل من رافق القذافي في أية مرحلة من مراحل حياته حتى وصوله إلى السلطة في سبتمبر 1969 بدءاً من مرحلة الطفولة وزملاء الدراسة والمعلمين والأصدقاء إلى زملائه العسكريين أثناء دراسته العسكرية، ومعارفه المدنيين الآخريين كافةً؛ حيث قام بإحصائهم وزيارتهم في بيوتهم ومناطقهم وسط أجواء احتفالية لكل زيارة نُقلت مباشرة على التلفزيون، وأُسس لهم ما أطلق عليه ملتقى الرفاق، وهو يشبه الرابطة أو التنظيم لهم ولأسرهم، وأغدق عليهم من المزايا الكثير التي لا أستطيع حصرها، ولكنني أعلم بصرف مبالغ كبيرة لهم سنوياً كمنح ومنحهم سيارات فارهة بمبالغ رمزية تشبه العطية أو الهدية

ويتمتع أبناؤهم بما لا يتمتع به أبناء الفقراء وأبناء المواطن العادي صاحب الحق الأول والأخير.

وهذه القيادات والروابط والمنظمات وما في حكمها هي أدرع للنظام بالمناطق كافةً، وإذا ما أضفنا لها اللجان الثورية واللجان الشعبية وأمانات المؤتمرات الشعبية فإننا سنجد أنفسنا أمام أخطبوط هائل وكبير يثقل كاهل الدولة الليبية بمبانيه وإداراته وميزانياته، وهو نموذج لدولة داخل دولة، بل هو الدولة الأهم ووجب الصرف عليها بشتى فروعها من مال وثروة الشعب المنهوبة، مع الأخرى العسكرية ذات المظهر المدني والتي تضم متطوعين مدنيين ينتمون وينضمون إليها مثل الحرس الشعبي والحرس الثوري، وكل هذه الروابط والتنظيمات خلقت فجوةً كبيرةً بين أفراد الشعب، وأثارت الضغينة والحقد؛ فليس من الغريب أن تجد أحد الأفراد ممن ينتمون إلى أيٍّ من تلك التنظيمات يركب أحدث موديل من السيارات، ويمتلك أكثر من سيارة، بينما المواطن لا يتمتع حتى بمواصلات عامة جيدة ناهيك عن المزايا الأخرى العديدة، وهي توضح مدى ونوعية الأسلحة التي تتسلح بها الأنظمة الديكتاتورية، فلم يعد الدكتاتور ذلك الفرد الذي يتسلط على شعبه بالسيف والقوة لتنفيذ ما شاء بل إن الأمر تطور مع تطور الشعوب وزيادة وعيها ليتخذ أشكالاً أخرى من التسلط لإحكام القبضة عليها، ونحن هنا أمام نظام استخدم كل شيء، ولم يعتمد على أداة واحدة بل عدة أدوات وكلما زاد عددها زادت قبضته، وهي أدوات لها من المرونة ما يكسبها قوة الإقناع من خلف القناع.

وها هو النظام يجني ثمار ما زرع في دفاعه عن نفسه ضد ثورة السابع عشر من فبراير 2011، وها هي الساعة التي كان يخشاها "القذافي" والتي أعدَّ لها كل هذه التنظيمات قد حانت، وبدأ في استخدامها ضد ثوار 17 فبراير فكل هذه القوى هي الآن في حالة طوارئ، فاللجان الثورية مسلحة ونافذوها يقودون المعارك في محاور عدة، ويتخذ منها درعاً ومنبراً إعلامياً غير عادي أمام العالم، والقيادات الشعبية تنسق فيما بينها حتى في أدق التفاصيل كاستلام الجثث والدفن والتبليغ عن المفقودين والإشراف على السجناء والمعتقلين ممن تم القبض عليهم، وقد ألقى عليها "القذافي" المسؤولية في السيطرة على مناطقها.

وها هو الحرس الشعبي والحرس الثوري يؤدي دوره الكبير في قتل المدنيين في الشوارع والميادين وأمام الجوامع في الأيام الماضية وهذه الأيام وما زالت تعمل وبالتنسيق مع كتائب القذافي في ارتكاب أبشع الجرائم.

❁❁❁

قبضةٌ حديديةٌ

يعلم الجميع أن "القذافي" لا يسمح لأيٍّ كان بالتدخل فيما يُمليه عليه عقله من أفكار أو آراء، ولا يقبل الحوار أو المجادلة مع أي طرف يخالفه الرأي، ويضع ذلك الطرف في خانة العدو ويبدأ معه معركة يستخدم فيها كل الأدوات المتاحة.

وهذا ما فعله واتبعه في تعامله مع الأصوليين من الشباب الذين وُصفوا بجماعة السنَّة، وهم فئة ظهرت ونمت وتوسعت في نهاية الثمانينيات وبداية التسعينيات من القرن العشرين، وتميزت بزيها الذي ترتديه؛ وهو الجلباب والبنطلون أو السروال القصير ولا تحلق اللحى، وهم يمارسون العبادة في المساجد، ويحرصون على إقامة الصلوات فيها؛ وخاصة صلاة الفجر، ويجتهدون كثيراً في حفظ القرآن الكريم وتحفيظه، وسعوا إلى إحياء بعض السنن، وحاولوا تطبيقها كما يرونها، وأحياناً بحذر خشية من أعوان النظام، وهم في غالبهم مسالمين.

ودخل النظام في صراع معهم تدرَّج من القبض والتحقيق وحلق اللحى والسجن القصير إلى التعذيب والسجن الطويل، وأحياناً القتل، وذلك حسب الانتماءات الدقيقة التي ينتمي إليها أولئك الذين استطدم مع بعضهم في مواجهات دموية.

وهنا اكتفي بهذا ولن أدخل في تشخيص لتلك الجماعات؛ لأن ما يهمني هو تشخيص تصرفات النظام مع شرائح المجتمع كافةً بما فيها تلك الجماعات، وسأتحدث بالتحليل والسرد عن بعض ردود الأفعال

التي أقدم عليها النظام في نطاق حملته الكبيرة ضدهم فبالإضافة إلى وصفهم بالزنادقة، وهو الوصف الذي وصفهم به "القذافي" نفسه، وأمر أكثر من مرة بتصفيتهم في المهد؛ قام النظام بعدَّة إجراءات منها: قفل المعاهد الدينية، ومصادرة الكتب الدينية وفرض رقابة شديدة عليهم ومراقبة حركة السفر لتلك الفئة من الشباب ومنعهم من السفر والتحفظ على جوازات سفرهم والتضييق عليهم، وتجاوز الأمر كل هذه الإجراءات إلى أن طالت المناهج الدراسية للطلبة، وذلك بإلغاء تدريس مادة التربية الإسلامية بالمدارس لعدة سنوات، بعدها تمت الاستعاضة عنها ببعض المذكرات المُعدة من قبل المعلمين لتدريسها للطلبة في شتى المراحل إلى أن تمت إعادتها بالشكل الجديد الذي يتوافق مع رؤية وفلسفة النظام، وفي أحاديث وكلمات وخطب "القذافي" التي ألقاها في المناسبات الدينية ما يشير بوضوح إلى عدم الاكتراث بمشاعر الناس الدينية، فهو عندما يأتي على ذِكر الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ فهو يذكر الرسول باسمه فقط وبطريقة مجردة ودون أن يصلي عليه، وزيادة في نبش المشاعر؛ فإنه يذكر اسم الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ باللفظ العامي وليس بالعربية الفصحى، كما وأنه يحاول التمثل بالرسول وليس الاقتداء به ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويحب استقباله بنشيد طلع البدر علينا، ويبدوا في غاية السعادة والكبر حينما تقبَّل يداه في مشهد لا يخلوا من الخنوع من قبل النساء ورجال يكبرونه سناً، ولا أدري ما الذي أجبر أولئك على تقبيل يديه؛ هل هو حب الخوف أو جبن القهر؟! .

هوسُ العالمية

"أنا قائد أممي معي الملايين" هكذا كان يقول "القذافي" عن نفسه وهو لم يذخر جهداً لتأكيد ذلك في كل مرة صحبة إعلام رديف ينفخ في أفكاره وأوهامه.

فهو قائد القيادة الإسلامية العالمية؛ وهي منظمة على مستوى الدول الإسلامية عدد أعضائها يتجاوز المئات تم تجنيدهم وتجميعهم بشتى المُغريات والحوافز والتشجيع للعمل الإسلامي الموحد، ومكونه من شخصيات معظمها دينية تحضر بين حين وآخر إلى طرابلس للاجتماع والمبايعة، وتَلَقي الدروس المكررة بالتنسيق مع بعض الأجهزة والهيئات التابعة للنظام وخاصة جمعية الدعوة الإسلامية التي استُغلت سياسياً، والتي كانت تحت رئاسة شخصية واحدة حيناً من الدهر؛ كما هو الحال بالنسبة لشخصيات النظام الأخرى التي تبادلت المناصب والوزارات واحتكرتها لنفسها لسنوات طويلة جداً، وكأن ليبيا عقمت عن إنجاب غيرهم.

وفي شكل آخر من أشكال هذا الهوس يتم التواصل مع الهنود الحمر الأمريكيين السكان الأصليين لقارة أمريكا ويستقبل زعماءهم ويحرّضهم على ما يرى أنه الأصلح لهم وللعالم والإنسانية وينصّب نفسه مدافعاً عنهم.

ويستقبل زعماء المسلمين السود في أمريكا ويتحاور معهم ويتعامل معهم معاملة الزعماء والرؤساء، ويحاول استمالتهم لفكره وتوجهاته، وأشبهه كمن يحاول زراعة المسامير في كل مكان لدقها في الزمان والمكان المناسبين عند الحاجة ويتذكرهم بجوائزه القيمة وسخاء عطائه، أما مصاريف تلك المراسم من نقل وإقامة فهي أشياء معتادة وعادية جداً، وبكل بساطة تتوجه إحدى طائرات الإيرباص التابعة للخطوط الليبية لإحضار أو العودة بأية شخصية من هؤلاء مهما كانت بساطتها.

ومن الهنود الحمر وسود أمريكا إلى أمريكا اللاتينية التي وجد فيها مرتعاً خصباً جداً لتبني شخصيات عدَّة لدعمها ضد الإمبريالية والاستعمار الجديد، ولخلق معسكر يكون سنداً وحليفاً للاتحاد الإفريقي لمواجهة الحلف الأطلسي، وما إلى ذلك من سراب وترَّهات.

أما إفريقيا فقد ظل ولعشرات السنين يجرجر ليبيا والليبيين في أدغالها وبين وحوشها وتماسيحها التي التهمت العديد منهم شحماً ولحماً وعظماً ولم يبق لأهاليهم إلا الصبر والدعاء، لقد وصفه أحد رؤساء إفريقيا بابن إفريقيا البار، من خلال سعيه وبشكل مُلفت ومُلح إلى تأسيس الاتحاد الإفريقي حتى نُعت في الاعلام بأنه مؤسس الاتحاد الإفريقي الذي هو مجرد اسم جديد لمنظمة الوحدة الإفريقية، والمفارقة أن "القذافي" كان أحد أهم الشخصيات الإفريقية الداعية للوحدة والتوافق بين الدول الأفريقية دون أن تجد أزمة أفريقية واحدة لا يكون طرفاً فيها.

والحال ذاته كان ينطبق عليه في جريه وراء الوحدة العربية أو تأسيس الإتحاد العربي الذي تركه ورائه قبل توجههِ إلى أفريقيا بعد أن توجس منه معظم الرؤساء العرب الذين تباحثوا معه وأبدو عدم وثوقهم به وخاصة مصر.

ولا شك أن الإندفاع وسوء التقدير كان لهما الدور الكبير في بلورة الشخصية التي كان يتمتع بها لدى الآخرين.

وهو من يحاول بإستمرار كسب السباق بقدم واحد دون أن يكلف نفسه بالنظر إلى قدميه لإكتشاف ذلك أو أن يسمح لأحد بلفت نظره إليه.

وبالعودة إلى إفريقيا قام بتأسيس مجموعة دول الساحل والصحراء (س ص) وهي تضم مجموعة دول إفريقية صحراوية فقيرة غير مستقرة ومتخلفة تعيش متطفلة على المساعدات الدولية والقروض وعلى الفتات الذي يقدمه لها.

وفي كل مرة يكرِّم واحدةً منها بزيارته التي يحشد لها المئات من الحراس والعتاد والتموين والهدايا والسيارات ومولدات الكهرباء التي تحمَّل وتُشحن في الطائرات، والتي قد يصل عددها إلى خمس طائرات لإعداد الساحة لوصوله ولأحاديثه أو خطبة أو إمامته لهم في الصلاة، وعند عودته إلى ليبيا يأبى كرمه أن يعود بأي شيء منها.

وآخر ما ألَّم به من هوس هو اعتلاء أعلى المناصب؛ ولو كان ذلك خيالياً أو تقليدياً؛ بأن لقب نفسه ملك ملوك إفريقيا، وذلك من خلال تجميعه لعدد 200 شخصية تقريباً من الملوك والزعماء التقليدين

لشيوخ ووجهاء قبائل إفريقية عديدة ممن يُدْعَون بملوك إفريقيا التقليدين في مؤتمر لهم بطرابلس؛ حيث قاموا بتنصيبه ملكاً عليهم بتاريخ 2008/8/29 في منظر مُضحك بظهوره في لباس إفريقي مزركش مليئ بالألوان، ووضع أحدهم التاج فوق رأسه ممسكاً بعصى ذهبية طويلة كالعكاز.

والليبيين تعودوا رؤيته في ملابس لا تمتُّ لهم بصلة خاصة في المؤتمرات الدولية، وهي ملابس تمثل اللباس التقليدي لقبائل إفريقية، ونعلم أنه قد غرق في إفريقيا منذ زمن إرضاءً لنزعاته الغريبه للقيادة والعظمة، وطال هذا الأمر حتى ملابسه التي يرصِّعها أحياناً بصور لمناضلين أفارقة.

وأضحى يُقدَّم في المناسبات الدولية والاجتماعات بكل ألقابه السابقة بالإضافة إلى لقبه الجديد ملك ملوك إفريقيا مما أثار نوعاً من السخرية والاستهزاء الحذر من قبل زعماء دول حضروا تلك المناسبات أو المؤتمرات، وصرنا ـ نحن الليبيين ـ نشعر بنوع من السخط، وكأن إحساساً يتملكنا بأن الشعوب تنظر إلينا من خلاله دون أن نكون راضون عن ذلك، فالشعب الليبي شعب طيّب وحضاري، ولكنها مشيئة الله.

وأضاف بأولئك الملوك التقليدين حلقة جديدة من حلقاته المفرغة لاستنزاف المزيد من ثروة الليبيين لإرضاء هوس العالمية لديه.

صروح علمية في زمن الديكتاتورية

1- المدرَّج الأخضر

المدرّج الأخضر بكلية التربية جامعة طرابلس لم يكن أخضر وإنما سمي بهذا الإسم ربما لكثرة تكرار هذه الكلمة فيه حتى أضحى للناس أن لونه أخضر على الرغم من أن لونه في النفوس أسود، حسناً دعنا من هذا؛ فلنقل إن الإيمان بالفاتح والحرص على الإلمام بالفقه الثوري والحصول على صك الغفران لنيل الرضى من غير الله جعل هذا المدرج أخضر حتى النخاع؛ لمَ لا والقائد الذي أتى بالكتاب الأخضر والفكر الأخضر ما فتئ يلقي فيه كلماته وخطبه التي تحولت إلى محاضرات ودروس في النظرية العالمية الثالثة، سُجلت على أشرطة وكاسيتات ووزعت على نطاق واسع يستمع لها الثوريون في بيوتهم وسياراتهم، وفيهم من حفظها عن ظهر قلب ـ سبحان الله ـ بنفس ما تم تداوله من أشرطة للدروس الدينية للمشايخ المعروفين بين الشباب الإسلاميين، وبهذا تحول هذا المدرج الأخضر إلى صرح علمي يتخرج منه أعضاء اللجان الثورية من شتى المناطق والمؤسسات التعليمية وغيرهم أيضاً، وذلك بتلقي سلسلة من المحاضرات والدروس ومناقشة المحاضرات التي ألقاها "القذافي" وعقد حلقات النقاش حولها، وتقديم التقارير والأبحاث من قِبل المنتسبين الذين يخضعون إلى دورات منظمة، وتم تخريج دفعات عديدة من المدرج الأخضر، ومُنحت لهم شهادات

التخرج والإفادات التي تخوِّلهم إتمام إجراءاتهم للدراسة بالخارج أو تقلُّد منصبٍ مَّا، أو غير ذلك .

وكانت أشهر تلك المحاضرات معنونة تحت اسم "العالم يتقلب ولم يتغير"وأُخرى بعنوان "الفراغ ومناطق الضغط المنخفض" وغير ذلك مما له علاقة بالشأن السياسي.

2- مركز دراسات وأبحاث الكتاب الأخضر

هو مركز يهتم بعقد الندوات والمؤتمرات الخاصة بالكتاب الأخضر المحلية منها والدولية، ويدعو لها البُحاث والمفكرين السياسيين للمشاركة بأبحاثهم في تناول أطروحات الكتاب الأخضر بأجزائه الثلاثة؛ الركن السياسي، والركن الاقتصادي والركن الاجتماعي، وكذلك المشاركة في المعارض المحلية والدولية للكتاب، وتنظيم معارض خاصة به في شتى بقاع العالم.ويقوم المركز أيضاً بترجمة الكتاب الأخضر إلى لغات عدة تجاوزت الأربعون لغة وطباعة عشرات الآلاف منه وتوزيعها في مناطق عدة من العالم بالإضافة إلى شروح الكتاب الأخضر التي ينطبق عليها ما ينطبق على الكتاب نفسه من اهتمام بالترجمة والطباعة والنشر في العالم كله، ويُهدى للمسافرين العرب والأجانب، وخاصة حين العودة لبلادهم لنشره من خلالهم، ولا يفوتني القول إنه يوزَّع دون مقابل - مجاناً- وعندما تنظم المعارض الدولية للكتاب الأخضر تؤجَّر أفخم الصالات لذلك، ويرافق إقامة تلك المعارض وفدٌ كبيرٌ يشكَّل من قِبل مكتب الاتصال باللجان الثورية والمركز، وأخيراً فإن هذا المركز منوط به رسم الخطط الاستراتيجية،

ووضع المقترحات والحلول للوصول إلى الأهداف التي يدعو إليها الكتاب الأخضر محلياً ودولياً .

ودون أدنى تعليق مني؛ فقد تم افتتاح أكاديمية تمنح الشهادات العليا تحت اسم أكاديمية الفكر الجماهيري التي تمنح الشهادات العليا في مجال الفكر الجماهيري والنظرية العالمية الثالثة.

ثقافة ضد المدينة

تستطيع أن تقرأ وبكل وضوح المكونات الدقيقة للتركيبة التي تمتع بها "القذافي" والتي تجعل منه شخصية قادرة على استفزاز العقلاء والعبث بالنواميس؛ ذلك أنه يجعلك كمن يسقيك العسل حتى تلعن العسل، وهي سياسة دقيقة لا يؤمن بها ويمارسها إلا قلة.

إن المكابرة والمفاخرة بالبادية والخيمة والصحراء هي محل تقدير أبناء المدن قبل غيرهم وفي ذات الوقت هم على يقين أن مدنهم لن يشوهها أحد وأن الاحجار التي ستقذف على واجهات محلاتها الزجاجية ربما سترتد رطباً فهي لا تحقد على أحد ولا ذنب لها ولا تمنح العذر للأعين التي لم تلحظ صور نخيلها البادية على تلك الواجهات.

وهي تغتسل من ماء بحرها المحيط بها بين حين وأخر لتنفض عنها غبار الجاهلية.

وحتماً إن اعتلى سدة القيادة أحد أبنائها لن يقول أنا ابن المدينة أنا الحضري لأنه يترفع عن ذكر ذلك وهو يخاطب شعبة، وهي أحاسيسٍ لا يمكن امتلاكها بسهولة.

إن مدينة عريقة مثل طرابلس لا يمكن النظر إليها من خلال حسناواتها، سواء كنَّ منها أو ممن أقمن فيها، ولكنه إعلام العشائر

والقبيلة ممن يكتبون بأقلام خضراء، الذين حاولوا التطاول على المدينة دون مراعاة لمشاعر أهلها من خلال بعض الكتابات.

هذه المدن التي تمتد جذورها إلى آلاف السنين، والتي إن لم تجد مأوى يأويك فيها ستجد أحد أقواسها يضمك بين دراعيه، وإن لم تجد أحداً يطعمك ستجد أسواقها العامرة تطعمك دونما عناء، ولا مكان فيها للخلاء، وفي المدينة ليس هناك غريب والكل سواسية وهذا شيء جميل يشعرك بالأمان والحريّة حتى إن الكثير من زوارها يشعرون بالراحة فيها أكثر مما هم في مناطقهم.

وطرابلس القديمة التي يزيد عمرها عن الألف سنة مدينة تعاقبت عليها الحضارات، وامتد سلطانها إلى الشرق والغرب، وقارعت أعتى الإمبراطوريات، فكانت لها الكلمة في حوض البحر الأبيض المتوسط، هذه المدينة التي ضمت مختلف الأديان والأجناس المتنوعة من معظم دول البحر المتوسط، عاشت في سلام، وكانت مثالاً للتعايش بين الأديان والأعراق، وهي مازالت كذلك، وستبقى حتى وإن تغيّرت الوجوه، أو أن الزمن أدار ظهره قليلاً عليها؛ فهي دائماً تنتصر في النهاية لأنها تحتوي كل آت إليها ولا يمكن احتواؤها أبداً.

وقد مرَّ عليها طغاة كثر، وهي من أكثر المدن الليبية على مدى التاريخ انتفاضاً ضدهم.

وأستطيع تسميتها بالمدينة الصابرة التي تنتفض حينما لا يتوقع الآخرون، وقد فاق صبرها الحدود حينما ظلت تواجه المصير بإرث الجدود، تعلم أبناؤها قراءة قصص تحكي عن كسر القيود.

هذه المدينة؛ وهنا أعني الجزء القديم منها ذات الهوية الليبية بمبانيها وآثارها، والتي حاول النظام هدمها ومحوها لولا تدخل المنظمات الدولية، كانت بحاجة إلى ثمن طائرة مقاتلة واحدة لصيانتها وترميمها والحفاظ عليها، ولكنه الزمن الذي افتقد فيه أصحاب القرار روح الانتماء إليها ، وفي وقتٍ مَّا كنتُ في جولة بها أتنقل بين شوارعها وأزقتها وأسواقها، وأنظر إلى جوامعها وكنائسها ومعابدها وفنادقها القديمة المهدَّمة، ومنازلها الطرابلسية القديمة الجميلة التي تكاد تنطق بمأساتها وبما تعانيه من ألم حتى بلغ بها الحد أنها كلمتني فعلاً ولم أجد لها جواباً سوى دموع أرهقتنيٍ، ونظرات لها لا أدري إن كانت أحزنتني أم أَسرتني . وأغمض عينيَّ لألقي بنظري على زواياها لأجدها قد مُلئت بالأجانب والأغراب، وأغرق في بحر التيه والغثيان ولا أفيق إلا على ركلة من أحد الأفارقة السود الذين ملئوها وأسارع إلى وضع يدي على أنفي لإتقاء العدوى والروائح الكريهة، وانسحب بكل هدوء خارجها حائراً بين العودة إليها مرة أخرى أم أنها الزيارة الأخيرة.

❁ ❁ ❁

أوهام خارج الواقع

1- الجمهرة

أقرب تفسير لمعنى هذه الكلمة ـ وهو اجتهاد مني ـ هو أن تحل جماعة محل جماعة أخرى تُمارس عمل مًّا، أو بشكل آخر عمل مًّا قد تتناوب جماعات على أدائه، وبذا فإن هذا العمل يُعتبر مدرجاً ضمن أعمال الجمهرة، وهذه الفكرة أطلقها "القذافي" وقام بشرحها، وقوبلت بالتأكيد رغم غموضها من حيث الأهداف وكلما زاد غموض الطرح وزادت تعقيداته أو تفاصيله كلما زاد الحديث حوله، وقد عُقدت جلسات كثيرة بعضها ضم جامعيين وأصحاب شهادات عليا لمناقشة موضوع الجمهرة، شأنها في ذلك شأن كل المقترحات الأخرى المشابهة؛ حتى تشعر أن هذه الجلسات والاجتماعات لها أول وليس لها آخر، والتي يديرها أعضاء اللجان الثورية، وهم يضيعون الكثير من الوقت فيها كما هو الحال في معظم الدول المتخلفة، وتم البدء في تطبيق الفكرة باستقطاع يوم دراسي من الطلبة وتحولهم إلى أحد المصانع لتعبئة سلعة معيَّنة بدلاً من العمال، أو تحول طلبة كلية للعمل بالميناء، وهذه أمثلة للعديد من التطبيقات الأخرى غير المدروسة وعديمة الجدوى، والتي أربكت الجهات، وأعطت مردوداً سلبياً لعدم الكفاءة، وهي مقبولة فقط كنوع من العمل التطوعي المعروف كغرس الأشجار أو حملات النظافة أو حتى تفريغ بضائع أو ما شابه؛ وبقدر

محدود لا يؤثر على الدراسة أو العمل المستهدف، عدا ذلك يصبح العمل بها أشبه بالعبث، وهو ما يثير التساؤل، خاصة إذا ما علمنا أن مؤسسات تعليمية بالكامل ككلية القانون أو الحقوق بجامعة بنغازي تم نقلها بالكامل إلى مدينة طبرق، وهي مدينة صغيرة شرق البلاد لمدة سنة دراسية، وما صاحب ذلك من مشاكل بدايةً من مقر الدراسة غير المناسب إلى إقامة الطلبة والأساتذة التي لم تكن مناسبة أيضاً، وقيام نسبة كبيرة من الطلبة بإيقاف قيدهم في تلك السنة، وخاصة الطالبات وبقاء مقر الكلية الأصلي في بنغازي بمدرجاته وقاعاته المجهزة خاوياً ومقفلاً ما يدعو إلى الغرابة والدهشة، ويأتي هذا في نطاق تطبيق مبدأ الجمهرة، والذي يعني بوجه آخر - وكما فُسِر - الانتقال الكامل للمؤسسة من مكانها إلى مكان آخر مهما بعد تُمارس فيه نفس المهام، أما المعنى أو القصد الحقيقي من ذلك فهو في إقرار ما يوفر القاعدة لتنفيذ أية رؤية أو قرار بالنقل لأية مؤسسة مؤقتاً أو عند الحاجة ولتقطيع أوصال بعض المؤسسات كالجامعة عند اللزوم، وأيضاً قفل الباب أمام أية جماعة تعتقد أن عملاً مَّا منوط بها فقط، أو تفكر بالضغط على النظام من خلاله بالإضراب أو السلبية أو التخريب.

2- الحي الجماهيري

لابد من بناء سياسة داخلية حكيمة للقطاعات كافةً تكون مستقرة وواضحة ومبنية على قدر القبول بها أو الاستطاعة، وكذلك يتم وضع خطوطها الدنيا والقصوى بناءً على دراسة الإمكانات وعادات وثقافة المجتمع، ويمكن تطوير تلك السياسة مع تطور المجتمع أو مع ما

يحدث من تغيرات على مرِّ الزمن، أما السياسة المبنية على أحلامٍ بدائية، وتؤسس على ما يبدو كأنه خواطر وأماني بسيطة لا تتماشى مع العصر، وتخلق نوعاً من الإرباك؛ فهي مرفوضة، وتدفع الناس إلى التذمر وعدم الرضى بل والمقاومة لتلك السياسة ولو بالسلبية.

ومع جملة المتغيرات التي تطرأ على تسيير القطاعات المختلفة في ليبيا بين الحين والآخرِ حيث تخرج على الساحة السياسية الداخلية أفكار يقودها رأس النظام قد تنسف ما قبلها وتحتاج إلى بناءٍ جديدٍ يبدأ من الصفر أحياناً، وهذه المرة الفكرة تتعلق بالحياة العامة أو اليومية للمواطن وأسرته واحتياجاته، وهي فكرة الحي الجماهيري؛ حيث تتحول المناطق أو الأحياء ذات الحدود الإدارية إلى ما سُمي الحي الجماهيري الذي هو بطبيعة الحال تقطنه مجموعة من السكان منهم الطبيب والمعلم والفني وغير ذلك؛ فالمعلم داخل الحي يحتاج إلى طبيب لكي يعالج له أطفاله والطبيب بحاجة إلى المعلم لكي يعلم له أولاده وهكذا، فإن الشرائح المهنية أو الخدمية كافةً في حاجة إلى بعضها البعض لذا فإنه من الممكن أن تتكامل هذه الشرائح القاطنة في ذلك الحي لخدمة بعضها البعض؛ ليصبح بالتالي ذلك الحي حياً جماهيرياً يعتمد على نفسه في شتى خدماته، وليس هذا فقط؛ بل أيضاً من الناحية الأمنية؛ حيث يتناوب الناس ـ سواء أكانوا شرطة أم لا ـ على حراسة الحي، وذلك بأن يستقطع كل منهم جزءاً من وقته لحراسة الحي ولضبط الأمن به .

وهكذا تم طرح هذه الفكرة بكل بساطة دون أي عناء أو إجهاد فكري، وهي ـ على بساطتها ـ قزمت طبيعة المجتمعات ككل في أحياء قزمية مع الاختلاف البسيط من الناحية الأمنية من حيث الاحترافية والتخصص، ولو تأملنا قليلاً لوجدنا أنه يتماشى مع ما كان معمول به قديماً زمن القبيلة التي تأخذ شكل انتماء عرقي وجغرافي معاً وتدافع عن نفسها، أما في عصرنا هذا فالمدينة بأحيائها المتعددة والمتداخلة في خدماتها وموظفيها كيف لها بناء أحياء قزمية كأنها تتمتع بما يشبه الحكم الذاتي، إنه طرح رجعي جاء من شخص يدَّعى الثورية ويعيش أوهاماً خارج الواقع أطلق صراعاً مدنياً بهذه الأحياء، فمدرسة الحي يدرِّس بها مدرس الحي، ولساكن الحي الأولوية بالاستفادة مما يفيد بالحي، ولم يعد القانون هو الفيصل بل الانتماء للحي وتجاوز نظام الحي الجماهيري هذا نظام البلدية والفرع البلدي.

3- الراهبات

في إحدى خطبه ذكر "القذافي" ضاحكاً أنه تناهى إلى سمعه أن الشعب يقول "إن معمر يحلم ليلاً ليطبق صباحاً" وهذا القول صحيح ويردد من حين لآخر، وها هو نام وآفاق هذه المرة لطرح فكرةٍ عجيبةٍ أخرى هي فكرة الراهبات، ولا أذكر المناسبة التي طرحها فيها، والتي ربما تكون مناسبةً دينيةً؛ لأنه طرح فكرته قائلاً إن ديننا الإسلامي يرفض الرهبنة، فلا رهبانية في الإسلام، وذكر أن الراهبات في المجتمع المسيحي يهبن أنفسهن لخدمة الكنيسة والعمل الإنساني، ولا يتزوجن، وعبّر عن إعجابه بهذا المسلك الذي تسلكه الراهبات، وعلق قائلاً:" إننا

أولى منهم لتبنِّي مثل هذه الأفكار" واقترح أن تكون لنا فتيات راهبات يهبن أنفسهن لخدمة الثورة ومبادئها، وجعل من نفسه وثورته كأنهما الرب والكنيسة، فلا يتزوجن، ولا تكون لهن حياة خاصة، وهن فداء لمبادئ الثورة السمحاء، أسماهن الراهبات الثوريات، وقد لاقت الفكرة قبولاً إعلامياً ثورياً وعملياً فقد تطوع عدد من الفتيات والنساء ممن ينتمين إلى اللجان الثورية وقمن بارتداء زيٍّ خاصٍ بهن عبارة عن جلباب وغطاء رأس وأصبحن راهبات ثوريات .

4- التأريخ وأسماء الشهور

منذ سنة 1969 تغير التاريخ في أحداثه ويومياته، وبعد حين من الزمن شمل التغير التأريخ أيضاً بشهوره وسنواته.

ونحن في ليبيا منذ أمد طويل نؤرخ بأسماء للشهور هي: يناير فبراير، مارس، إبريل، مايو، يونيو، يوليو، أغسطس، سبتمبر أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر، عن السنة الميلادية، بالإضافة إلى الشهور العربية عن السنة الهجرية: محرم، صفر، ربيع الأول ربيع الآخر، جماد الأول، جماد الآخر، رجب، شعبان، رمضان شوال، ذو القعدة، ذو الحجة.

إلا أن "معمر" تدخَّل في أسماء أشهر السنة الميلادية واضعاً أسماء جديدة لها؛ بعضها مستوحىً من اللهجة العامية الليبية والبعض الآخر منها سمي على شخصيات أو ثورات أو مواسم وغير ذلك مثل شهر ناصر بدلاً من شهر يوليو (7) ويعني به "جمال عبد الناصر" رئيس مصر السابق، وشهر الفاتح بدلاً من شهر سبتمبر (9) ويعني الفاتح الثورة التي قادها هو في سبتمبر 1969.

وشهر هانيبال بدلاً من أغسطس (8) وهو اسم لشخصية تاريخية وهي بالترتيب كالآتي.

أي النار – النوار – الربيع – الطير – الماء – الصيف – ناصر – هانيبال – الفاتح – التمور – الحرث - الكانون.

وهكذا صار علينا حفظ هذه الأسماء الجديدة والتعامل بها مما سبب إرباكاً؛ لأننا الدولة الوحيدة في العالم التي تستخدم هذه الأسماء لأشهر السنة الميلادية، واعتمد الناس على أرقامها في أكثر التعاملات وخاصة الخارجية منها.

أما التغيير الأكثر إثاره فهوا إلغاء السنة الهجرية، ففي حديث لـ"معمر" في إحدى المناسبات للاحتفال بالسنة الهجرية تحدث قائلاً: "إن هناك أحداثاً كبرى في الإسلام أهم من الهجرة؛ كميلاد الرسول – سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم – وإن الهجرة ليست بذلك الحدث الكبير حتى نؤرخ به، واسترشد بالمسيحين الذين يؤرخون بميلاد المسيح – عيسى عليه السلام – وبكل بساطة ألغى السنة الهجرية التي بدأت منذ أكثر من ألف وأربعمائة سنة مضت، إنه من وجهة نظر معارضيه يحارب كل شيء حتى الهوية والثرات؛ فالتأريخ بالسنة الهجرية جزء من هويتنا العربية والإسلامية وتراثنا، حدث هذا وسط تكميم للأفواه، ودونما تعليق وبدأ العمل بالتأريخ الجديد في ليبيا الذي يؤرخ بميلاد الرسول – صلى الله عليه وسلم – وجرياً على سبيل العادة، وكما هو الحال في شتى القطاعات فلم يمرَّ وقت طويل حتى تم تغيير التأريخ مرة أخرى، وهذه المرة تم تغيره من ميلاد الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى وفاة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وبما يشبه نفس الإيعاز من القائد المُلَهم

الذي أكد أن وفاة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ حدث عظيم وجلل، وعلينا تغيير التأريخ مرَّة أخرى من ميلاد الرسول إلى وفاة الرسول، وقد نسي الناس التأريخ السنوي الهجري، ولا هم يعلمون بالتأريخ السنوي لوفاة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ونحن الآن في شهر رجب 1379 من وفاة الرسول الموافق شهر الصيف (يونيو 6) 2011 ميلادية.

5- أقفاص الدجاج

في جلسة لمؤثر الشعب العام تابعتُها مباشرةً على التلفزيون شدَّني كثيراً المنظر الغريب الذي رأيته؛ وهو قفص للدواجن مستطيل بأربعة قوائم متوسط الحجم يُعرض على أعضاء المؤتمر، ويتناقشون حوله من حيث الحجم المناسب والسعة وبعد نقاش مستفيض وشكلي في ذات الوقت تم اتخاذ قرار بتوزيع تلك الأقفاص على المواطنين وخصم ثمنه من مرتباتهم هكذا وبمنتهى الديمقراطية يقرر المجتمعون بالقاعة بيع أقفاص الدواجن لمئات الآلاف من الموظفين في ليبيا دون أدنى استشارة لهم، وبدقة أكثر فإن هذا القرار صدر بناء على توصيات وتوجيهات القائد التي رأى فيها أن الليبيين لكي يحققوا الاكتفاء الذاتي من البيض ولحوم الدواجن عليهم اقتناء هذا القفص وتربية الدجاج في بيوتهم، ومن المؤكد أن هذا القرار كان تاريخياً بالنسبة للشركة المتعاقد معها لتصنيع هذا القفص، كما أشار القائد في توجيهاته تلك أيضاً إلى ضرورة شراء كل عائلة ليبية معزة لتوفير الحليب.

وما زلت أذكر حديث والدي الذي أشار فيه إلى أن راتبه هذا الشهر سيتقاضاه منقوصاً لأنه هو وزملاءه بالعمل سيسلمونهم الأقفاص، وبدا متأثراً من ذلك.

وأذكر أيضاً يوم أن أحضر والدي ذلك القفص الذي لم نكن بحاجة إليه لامتلاكنا قطعة أرض صغيرة بجانب البيت يوجد بها قفص تقليدي مليئ بطيور الدجاج، ولكن ماذا نفعل بالقفص الذي فرض علينا والذي ظل ملقىً لسنوات إلى أن اعتلاه الصدى؟! وأتساءل عن العائلات التي لا تملك إلا بيتاً من أربعة جدران أو سكان العمارات ـ وهم أكثرية ـ أتساءل كيف تعاملوا مع الوضع؟ وأين ذهبوا بأقفاصهم؟ وأخيراً أتساءل كيف لنا الخروج كليبيين من هذا القفص.

6- بيّاعو الكلام

المقصود هنا بائعي الجرائد، فعلى الرغم من ندرتهم في العاصمة الليبية طرابلس وعموم ليبيا قياساً بدول العالم الأخرى إلا أن "القذافي" تطرَّق لهم ووصفهم ببائعي الكلام، ولم يكونوا هم المقصودين بكلامه بالضبط، بل المقصود هو مَن وراء الجريدة وأيضاً الجريدة في حدِّ ذاتها؛ والجريدة أداة من أدوات التعبير عن الرأي، وهو يكرهها حتى وإن لم تبدِ رأياً أو أنها تبدي رأياً محاطاً بشتى أنواع الدروع الواقية، أو أنها تحولت إلى ناقل للأخبار لا أكثر ولا أقل، وهو الحال الذي كانت عليه الجرائد اليومية المحدودة جداً في ليبيا .

إن هؤلاء ـ والكلام للقذافي ـ يمارسون مهنةً تافهةً جداً، إنهم يبيعون الكلام، ويجب أن يتوقفوا عن ذلك، وعليهم البحث عن أي عمل آخر على أن يتم توزيع الجرائد بطريقة أخرى سهلة جداً؛ وذلك بأن يتم توزيع مجموعة من الدواليب الحديدية أو الخشبية كل منها مكوَّن من رف بسيط وصندوق صغير توضع فيه النقود على أهم الميادين والطرق الرئيسة، ويتم وضع الجرائد يومياً في تلك الدواليب لتبيع نفسها بنفسها،

بأن يأتي الزبون الراغب في شراء الجريدة ليتناول جريدته ويضع ثمنها في الصندوق ويذهب في حاله، وقد علق أحد الأشخاص الذين صادفتهم على ذلك قائلاً ما هذا الذي أسمعه هل ظنَّ نفسه أنه يتعامل مع ملائكة.

وفعلاً بدأت التجربة؛ فلا شيء يُرد على "القذافي" أبداً، وبدأ اللصوص الصغار والمتدربين في التعامل مع نقاط التوزيع هذه بأخذ الجرائد دون ثمن، أو بأخذ الجرائد كلها مرة واحدة، أو بأخذ الجرائد والنقود معاً، وهكذا، وما هي إلا فترة من الزمن لم تدم طويلاً حتى خوت تلك الدواليب من الجرائد وظلت أطلالاً إلى أن تم تجميعها ورميها ربما في مزبلة التاريخ، والسؤال هنا ألم يفكر واضع هذه الفكرة فيما آلت إليه ؟! وهل فعلاً ظنَّ نفسه أنه يتعامل مع ملائكة ؟! والجواب كلا؛ إنه يعلم تمام العلم بما سيؤول إليه مصير تلك الفكرة، ولكنه آثر ممارسة ما أسميه بالرومنسية السياسية المبطَّنة التي تمارس عن سبق إصرار وترصُّد، والتي تهدف إلى تحقيق الأهداف دون الاكتراث بالنتائج، ولإضفاء روح النزاهة والمثالية من جهة أخرى على الفاعل، والهدف تحقق وأقتصر توزعيها على بعض الاكشاك النادرة وأصبحت تُطبع لتوزع على الجهات العامة للدولة.

وهذه السياسة مارسها "القذافي" بشكل واسع ودقيق في قضايا أخرى كثيرة.

❁❁❁

17 فبراير

بالعودة الى السطور الأولى في كتابي هذا فإن يوم الغضب قد بدأ قبل أوانه المحدد بيومين في الخامس عشر من فبراير 2011.

نعم في تلك الليلة فوجئت وأنا في بيتي ومع عائلتي بالخبر على قناة الجزيرة القطرية وورد الخبر بأن مجموعة من الليبيين خرجوا بمظاهرة للمطالبة بإطلاق سراح محامي ضحايا سجن أبو سليم الذين تمت تصفيتهم داخل السجن بتاريخ 1996/6/29م. بعد أن تمردوا مطالبين بعدة مطالب تحفظ لهم الحق في معاملتهم كآدميين على الأقل، وجرى ذلك بعد أن استولوا على سلاح أحد الحراس أو بعضهم، وتمكنوا من فتح الزنزانات وخرجوا مطالبين بتلك الحقوق، وبعد مفاوضتهم من قِبل بعض رؤوس النظام ربما تعرضوا إلى خدعة على الأرجح بالرجوع إلى زنزاناتهم وتم قتلهم أو أنه تمت مواجهتهم بالسلاح مباشرةً وتمت تصفيتهم، ولك أن تتخيل طريقة دفنهم كما تشاء فكل الطقوس الثورية في التصفية الجسدية قد تطبق على هؤلاء بدفنهم داخل المعسكر أو خارجه في مقبرة جماعية دونما أية مراعاة لآدميتهم حتى وهم أموات.

وأذكر أنه في ذلك اليوم سُمع دوي رصاص هائل داخل السجن وانتشرت المدرعات والدبابات حول السجن وعلى امتداد طريق المطار إلى باب العزيزية وحتى غابة النصر وباب بن غشير.

أعود وأقول إن ذلك الخبر شدَّني بقوة وأشعل في نفسي حماسة وعنفواناً، وأدركتُ أن الشرارة الأولى ليوم 17 فبراير قد بدأت الآن ومن بنغازي تلك المدينة التي ضحّت بأعز أبنائها في سبيلِ الحرية وفي سبيل الإفلات من قبضة نظام تعمد الإساءة لهذه المدينة إلى حدٍّ حرمانها من التنمية العادلة بل إن السلع الأساسية الاستهلاكية كانت تورد إليها بطريقة مدروسة من قبل النظام.

نعم، وأذكر أني في تلك اللحظة بقدر ما فرحت بالخبر لم أتمالك مشاعري وكدت أجهش بالبكاء في أكثر من مرة، وعز علي أولئك الأبطال الذين خرجوا في مواجهة النظام القمعي الذي لم يفاجئني في طريقة تصديه الوحشية لهم لأني أعلم حقيقته المأساوية.

إلا أن أول ما تبادر إلى ذهني هو ألا تنطفئ هذه الشمعة وتمنَّيتُ أن يحل الغد الآن لأعلم ما الذي سيجري، ولأطمئن على حلمي الذي انتظرته طويلاً.

وفي الغد الأربعاء 16 فبراير استمرتْ المظاهرات، وبدأ العد التنازلي للنظام مع كل ساعة تمرُّ في الشرق الليبي الذي بدأ في شدِّ الرحال إلى فضاء الحرية والديمقراطية والحياة بكبرياء وآن لهم الاستعداد لدفع فاتورة الحرية مهما كانت قيمتها.

إن القهر كان شديداً، والشعور بالظلم كان أشد وأكثر من هذا وذاك هو السؤال الغريب الكبير؛ لماذا حدث هذا ؟! ومن أين تأتي هذه الأفكار الغريبة ؟ ولماذا هذا القدر الكبير من الإجرام والوحشية؟.

كل هذا شكَّل دافعاً لكل ليبي من الشرق إلى الغرب للتضحية وبصدور عارية في مواجهة آلة القمع والقتل في سبيل الخلاص ومن أجل ليبيا، نعم إنه الحلم الذي خرج من المستحيل، والذي ذكرني بخاطرة قلتها قبل هذا الحدث بسنوات كنت أعني بها بالضبط هذا الذي حدث فعلاً.

النهـــر ينبـــع لا مصـــدر لـــه ولا بـــه مـــاء
يســـقي الجـــداول لا نبـــت فيهـــا ولا ثـــراء
هـــات لـــي منـــه غرفـــة مـــلء يـــديك هـــواء
فـــالحلم حلمـــي وإن بـــدى لـــكَ هـــراء

ويبدو أن المناطق الغربية في اليومين الأولين لم تتحرك كما ينبغي، وهذا ما أثار مشاعري، وبدأت أخطط لفعل أي شيء ولو بصفة فردية كالكتابة في الشوارع أو توزيع مناشير تحرض على التحرك للحاق بركب الشرق، والحمد لله لم يطل الانتظار حتى التحق الغرب بالشرق، وتحول الغليان إلى بركان.

ابنيَ البكر لم يكمل عامه الثامن عشر هو أول من دعائي إلى رؤية صفحة الفيس بوك في الأيام القليلة الماضية والتي وردت فيها الدعوة إلى يوم الغضب في السابع عشر من فبراير، وقرأت معه ما في الصفحة، وشرحت له عن العَلم الموجود بها ، ذكرت له أنه عَلم الاستقلال، وقرأنا معاً أنه العلم الذي يجب أن نحبه واستمعنا سوياً للنشيد الذي ينشد باسم ليبيا، واهتزت مشاعري ولاحظت أن ابني يتقد حماسةً في

انتظار يوم 17 فبراير؛ لذا فإنني لم أفكر لحظة واحدة في حرمانه من المشاركة فيه بل إنه ألح على أنه لابد من الخروج للمشاركة في الثورة.

ولا غرابة في حماسته هذه، فهو على درجة من الفطنة والذكاء اللذين تعززا بفعل مشاهداته على الرغم من صغر سنه.

فعندما كان في الروضة التي يدرس بها وكان يحبها كثيراً وفجأة أُقفلت الروضة من قبل النظام.

ذهبت به إلى الروضة في ذلك اليوم فلم أجد أحداً، وعندما سألت أحد الجيران ذكر لي أن الأمن قد حضر وقبض على إدارة الروضة، بل إنه حتى مقاعد الدراسة لم يُبقَ عليها.

عدتُ بعدها وحاولتُ الحصول على ملف ابني الصغير لأسجله في روضة أخرى، ولكن هيهات؛ فكل الملفات نقلها الأمن أيضاً. حتى ملف ابني الصغير أضحى لدى الأمن، ولم أندهش لذلك ولكن اعتبرتُ ذلك أول ملاحقة لابني من قبل النظام ولو بطريقة غير مباشرة.

فحتى أطفال الروضة لم يسلموا منه، وبطريقة مَّا أوصلت له الفكرة عن أسباب قفل الروضة دون أن أعي مدى إلمامه بفهمها في ذلك الحين، إن هذا الجيل تربَّى على إفساح الحريات، وهو بحاجة إلى قدر كبير من الحرية لدرجة إن استراتيجية التربية ومفهومها تغيرت في العقود الأخيرة مواكبة للتطور العلمي المذهل الذي يسَّر الحصول على المعلومة في كل أنحاء الدنيا وسهَّل التواصل بين الأفراد وتبادل المعلومات، فأصبح لديه القدرة للحديث والرد والمحاورة والنقاش،

وامتلك الجرأة وتحرر من القهر الفكري والكبت؛ لذا فإنه أفضل بكثير من الأجيال التي سبقته والتي كانت تعيش تحت مظلة سجناء الرأي.

أعود وأقول إنني لم أشأ حرمانه من الخروج للتظاهر أسوة بشباب كُثر مثله مع شديد خوفي عليه، وكان عليَّ الاختيار بين تركه يخرج لوحده أو الخروج معه لنكونا سوياً وأكون بجانبه واخترت الثانية، وخرجنا سوياً لننظم إلى بعض الجموع الهادرة وهي تصول وتجول في الشوارع والميادين مترجلين أو بسياراتهم في شتى مناطق طرابلس كتاجوراء وسوق الجمعة وزاوية الدهماني وفشلوم وميزران والهضبة وقرقارش مرددةً الهتافات بإسقاط النظام.

وما شدَّني هو أول هتاف ننخرط فيه مع مجموعة متظاهرة كان يقول "بالروح بالدم نفديك يا بنغازي" نهتف به ونحن في قلب طرابلس؛ لأن قلوبنا كانت مليئة بالحزن والغيض مما حل بأبناء بنغازي أصحاب المبادرة الأولى من قتل وتنكيل من قِبل الكتائب الأمنية لنظام القذافي، وكان هذا أول خروج لنا، وإذا كانت هناك أيام يؤرخ فيها للمدن فإن أيام 19،20 فبراير 2011 كانت بلا شك أيام تاريخية لهذه المدينة؛ حيث خرجت المظاهرات، وتم حرق مراكز الشرطة والمثابات الثورية ومقار المؤتمرات الشعبية، ووصل فيها المتظاهرون إلى ميدان الشهداء، واستشهد عدد كبير منهم، كذلك أخص بالذكر يوم الجمعة 2011/2/25 التي سميت جمعة الحسم، اليوم الذي سقط فيه العشرات من الشهداء عزَّل مدنيين وبصدور عارية واجهوا الرصاص رصاص الجبناء الذين تلقوا أوامرهم من "معمر القذافي" شخصياً بالقتل.

كانت السيارات التي يقودها رجال الأمن من الكتائب الأمنية والحرس الثوري والحرس الشعبي تملؤ كل شوارع طرابلس وتحاصر كل المساجد أثناء صلاة الجمعة، وهي من نفذ عمليات القنص ورمي الرصاص على المتظاهرين وقتلهم نهاراً أو ليلاً أو عقب صلاة الجمعة، ويتساءل الليبيون الشرفاء كيف لهؤلاء قتل الناس العزَّل وهم أبناء بلدهم بهده الطريقة؟! وما هو الإغراء وغسيل الدماغ الدي تعرضوا له؟! أليس هناك من رادع خُلقي أو ديني ؟ أيطيعون عبداً مثلهم ويعصون الله الذي حرَّم قتل النفس إلا بالحق ويدفعون بأنهم عبيد مأمورين.

قد قالها لي أحد الأمنيين حرفياً "أنا عبد مأمور" إنه يعترف بأنه عبدٌ، ولم يسأل نفسه لمن؟ إنهم حتى لم يقرؤوا القانون العسكري بدقة لأنهم يُخدعون من خلاله لأنه لا يقرُّ القتل إلا للعدو ولحماية المواطن.

أتنهد وأذكّر نفسي بالجهل؛ العدو الأول للإنسان الذي جعل من هؤلاء أعداء لإخوتهم ولأنفسهم أمام الله في الآخرة.

وعمليات القتل تتم بطريقة مباشرةٍ؛ أي دون اللجوء إلى الإنذار أو القنابل المسيلة للدموع، كذلك تتم في أي مكان أيٍّ كان هؤلاء المتظاهرون، فهم في أحيان كثيرة بعيدين عن أية مرافق حيوية أو أمنية، ولا يشكلون تهديداً لأحد، ويتم قتلهم فقط لأنهم تكلموا وعبَّروا عن آرائهم، وهذه التفاصيل التي ذكرتها في التعامل مع المتظاهرين أردت منها توضيح ذلك للتاريخ وللأجيال القادمة كي تعي حقيقة هذا النظام.

إن أفراد الشرطة من الدعم المركزي وغيرهم يشاركون في عمليات الانتشار في الشوارع والتقاطعات الحيوية، وهم نسبياً أقل شراسة من

الآخرين، ويبدؤون في إطلاق الرصاص بالهواء ثم ما تلبث أن تتجه فوهات بنادقهم إلى المتظاهرين لتقتنص بعضهم.

وماهي إلا أيام لم تدم طويلاً حتى أضحت طرابلس وبعد المذابح التي تعرض لها أهلها تحت وطأة حصار وانتشار لقوى أمنية لم تشهده في تاريخها الحديث؛ حصار من البحر إلى البحر فالدبابات والمدرعات والسيارات العسكرية المزودة بالرشاشات والمدافع والجنود ينتشرون على طول الطريق الرابط بين منطقة غوط الرمان بتاجوراء شرق طرابلس وقصر بن غشير، ومن ثم طريق المطار وطريق الزهراء إلى كوبري 27 على طريق جنزور الزاوية غرب طرابلس.

الشرق الليبي الآن بمدنه كافةً متحرر من طبرق حتى إجدابيا ولم يحدث به أيُّ دمار يذكر أو ذي بال، وتركزت المعارك بين كرٍّ وفرٍّ خاصةً بين رأس لا نوف وبن جواد، وعينُ الثوار على سرت لفك الحصار عن مصراتة، والتقدم نحو طرابلس، ولكن قوةَ كتائب القذافي الجوية ليست في صالح الثوار، وخلال الأيام الماضية، ونحن اليوم في العاشر من مارس 2011 ظلت تاجوراء وطرابلس وبعض المدن الأخرى في الغرب تحت الحصار وغياب السلاح، أما مصراتة والزاوية والزنتان هذه المدن ما زالت بؤراً تشتعل ولكنها لا تمتلك الأسلحة الكافية للدفاع عن نفسها ولمقاتلة كتائب القذافي والقوة غير متكافئة على الإطلاق خاصة في الزاوية.

ومصراتة محاصرة من ثلاث جهات، ولولا أنها تمكنت من الحصول على بعض السلاح بالاستيلاء عليه من الكتائب أحياناً وربما بواسطة

الجنود والضباط المجهولين من خلال أوامر التقدم والانسحاب السريع وترك بعض الأسلحة بالميادين لمَا ظلت صامدة حتى الآن.

إن ثورة 17 فبراير بدأت بمظاهرات سلمية وشباب يتوق إلى الحرية وُجِه بقوة قميعةٍ لا مهادنة فيها، ضحى وواجه السلاح وقُتل منه من قُتل، واستولى على السلاح بيديه ليدافع به عن نفسه ويحرر مدنه في الشرق ليكمل المسيرة نحو الغرب لفك الحصار عن طرابلس، ومن ثم اقتحام باب العزيزية معقل القذافي.

واليوم الخميس 10 مارس 2011 تمكن المجلس الانتقالي الذي تم تأسيسه في بنغازي ليضم 31 عضواً من أنحاء ليبيا كافةً برئاسة "مصطفى عبد الجليل" من الحصول على اعتراف فرنسا بعد اجتماع بين ممثل الشؤون الخارجية بالمجلس السيد "العيساوي" والرئيس الفرنسي "ساركوزي".

وهو أول اعتراف خارجي، كما وأن برلمان الاتحاد الأوربي أعلن اعترافه بالمجلس الانتقالي، وصدر بيان فرنسي بريطاني بضرورة رحيل "معمر" ومعسكره عن ليبيا.

في هذا الأوان أصبحت هناك بوادر تدخُّل خارجي لصالح الثوار لضرب القوات الجوية لنظام القذافي وفرض حظر جوي على ليبيا يمكّن الثوار من التقدم غرباً وهو إجراء من شأنه تعديل الكفة لصالح الثوار لأنهم لا يمتلكون نفس قوة العتاد العسكري المتاح للقذافي وأبنائه؛ فهي حقاً حرب بين القذافي والشعب الليبي.

وهو منذ زمن طويل أنهى الجيش الليبي الذي يخافه وجرَّده من السلاح وأبقى فقط على كتائب أمنية وعسكرية مدربة جيداً وعلى رأس كل منها أحد أبنائه بعد أن أغدق عليها بكل المزايا وربّاها على الطاعة والولاء، بالإضافة إلى أن معظم منتسبيها أو جلهم من مناطق محددة تدين بالولاء له وآخرين ذوي أصول غير ليبية من مناطق حدودية أو ذوي جنسيات مزدوجة.

وهاهو الآن يحارب بهم شعبه ولسان حاله يقول إما أن أحكمكم أو أقتلكم كما قالها ممثل ليبيا في الأمم المتحدة المستقيل، ومهدداً بأنه سيأتي بالملايين من الخارج ليطهر بهم ليبيا متوهماً بأنه قائد أممي، وأنه يستطيع الزحف بالملايين من الصحراء إلى الصحراء ليطهر بهم ليبيا لا مكّنه الله من ذلك.

ويقصد هنا الأفارقة جنوب ليبيا في النيجر ومالي وتشاد ودول أخرى عديدة؛ لأنه كان على علاقة وطيدة بهم، وزياراته متعددة لهذه الدول الصحراوية، وأمَّهم في الصلاة في مناسبات دينية في حشود كبيرة منهم، وكان يكرمهم بسخاء على حساب ثروة الشعب الليبي وأمواله، وهذه المنطقة هي فقط جزء من مناطق أخرى في إفريقيا كان يدعمها بالمال والسلاح ويرسل بأبناء ليبيا إليها ليقحمهم في معارك بها إذا لزم الأمر كما حدث في اوغندا؛ وهي معارك في غالبها قبلية من أجل السلطة، وها هو الآن يهدد بهم للزحف على ليبيا، ووصف الثوار بالجرذان وطلب ملاحقتهم زنقة زنقة داراً داراً فرداً فرداً في تهديد مخيف لكل عائلة ليبية وكل بيت ليبي، وقال "من أنتم" مفاخراً بنفسه، وأردف قائلاً

"نحن أجدر بليبيا منكم" وكأنها حق مكتسب له، ووسط هذه الأجواء شبّه أحد النقاد وضع ليبيا الآن بالكرة التي يتقادفها العالم بين الجامعة العربية والأمم المتحدة والاتحاد الأوربي والاتحاد الإفريقي، وهو بلا شك على حساب الليبيين الذين يُقتلون من قبل كتائب القذافي؛ ففي هذا الوقت يبدوا الوضع في الزاوية سيء للغاية، فالثوار وسط الزاوية يتسلحون بأسلحة خفيفة، بل إن بعضها بنادق صيد وفؤوس.

والقصف الذي استهدف المدينة كبيرٌ، ولم يستثن حتى الجوامع والتلفزيون الرسمي يعلن أن قوات القذافي اقتحمت المدينة وسيطرت على ميدانها، وفعلاً حدث هذا وسقط الكثير من الشهداء، وتم هدم الجامع الذي كان يتحصن فيه الثوار بالميدان وليس هذا فقط؛ بل تم نبش قبور الشهداء الذين دفنوا بالميدان بجرفهم بالجرافات في منظر مؤسف، وهذا اليوم كان يوماً أسود على الثوار لم يزدهم إلا تصميماً على نزع حريتنا من العدم.

الاتحاد الأوروبي يطلب غطاءً عربياً وأُممياً لأي تدخل عسكري بليبيا أو حتى لفرض حظر جوي، وهو الذي اعتبر المجلس الانتقالي في ليبيا محاوراً شرعياً، وهذه العبارة تختلف عن كلمة ممثل شرعي، و"سيف الإسلام" ابن "معمر القذافي" قال اليوم لليبيين في الشرق إننا قادمون، وإنه آن الأوان للزحف عليهم والمعارك في رأس لا نوف وسط ليبيا ليست في صالح الثوار والقصف من قبل قوات القذافي الجوية والبحرية ازداد قوةً، كما أن "سيف الاسلام" تحدث عن موقفه تجاه بعض الدول العربية وقال "طز فيكم وطز في إذاعتكم وطز في

جامعتكم" وهي التي ستعقد اجتماعاً طارئاً لها في القاهرة على مستوى وزراء الخارجية للنظر في الوضع في ليبيا وإمكانية فرض حظر جوي عليها.

وليس من الواضح حتى الآن القرار الذي سيصدر عنها سواء بخصوص الحظر الجوي أو الاعتراف بالمجلس الوطني الانتقالي وطريقة التعامل معه؛ وذلك في ظل بعض الخلافات التي ستؤثر على القرار، خاصة من قبل الجزائر وسورية واليمن، هذه الدول ربما تبدو أنها تعترض على قرار الحظر أو الاعتراف بالمجلس، أما موقف لبنان والأردن فهو موقف متباين والموقف الإيجابي والأقوى جاء من قبل دول مجلس التعاون بالخليج العربي، وهي التي أقرت بعدم شرعية نظام القذافي حتى قبل حضور هذا الاجتماع.

وتأتي أهمية هذا الاجتماع في أنه سيكون المرجعية التي ستستند عليها قرارات أخرى من قبل الاتحاد الأوربي وأمريكا والأمم المتحدة، والحقيقة إن العالم كله مهتم بالوضع في ليبيا، ومعظمه يرغب في رحيل هذا النظام لما كان لهذا النظام من مشاكل خاصةً على المستوى الإفريقي والعربي؛ فهو نظام مشاكس وغير مستقر في علاقته مع الخارج، كما هو في الداخل لا يعرف للاستقرار معنىً على الاطلاق، ويحيا معه المواطن حياة التائه بين الكرِّ والفرِّ دون أن يتذوق حلاوة الاستقرار، ويأتي هذا بالرغم من كل محاولات هذا النظام لاسترضاء أمريكا ودول الاتحاد الأوربي في السنوات الأخيرة وبشتى الطرق؛

والتي كان من بينها دفع الأموال الطائلة كتعويضات، وفتح ليبيا للشركات التابعة لها.

وما هي إلا ساعات حتى حلَّت اللحظات التي قال فيها جل الليبين "الحمد لله الحمد لله" فها هو السيد عمرو موسى الأمين العام لجامعة الدول العربية ـ ولم يبق له الكثير في هذا المنصب لأنه سيتركه ليتقدم لترشيح نفسه لرئاسه جمهورية مصر العربية ـ ها هو ـ وعلى يديه كما يقولون يتخذ مجلس الجامعة العربية قرارات جريئه بخصوص الوضع في ليبيا وفي وقت دقيق يمرُّ به الشعب الليبي ـ ففي مساء اليوم 2011/3/12 تقرر دعوة مجلس الأمن الدولي لفرض حظر جوي على ليبيا، وقرار الاتصال بالمجلس الوطني الانتقالي الليبي؛ مما يعني الاعتراف به، وفي منطوق القرار سحب الشرعية من نظام "معمر القذافي" واتخذت هذه القرارات بإجماع كل الدول العربية عدا تحفظ جزئي لدولة أو اثنتين؛ أغلب الظن أنهما الجزائر وسوريا فالأمين العام للجامعة لم يُفصح عنهما خلال المؤتمر الصحفي.

ويأتي هذا التطور السياسي لصالح الثوار في ظل هجمات عنيفة تتعرض لها مدينة مصراتة من قِبل كتائب القذافي التي تُواجَه بمقاومة شديدة من قبل ثوار مصراتة وأحرارها، فبالأمس خرج الآلاف متحديين الكتائب والحصار مرددين "يا مصراتة لا ما تخافي طز طز في القذافي".

واليوم أيضاً، وفي مشهد مؤلم تخرج جماهير بنغازي حاملةً على أكتافها جثمان الشهيد "علي حسن الجابر" مصور قناة الجزيرة الذي استشهد في كمين نُصب لطاقم الجزيرة في بنغازي، واختلط الدم

القطري بالدم الليبي، قطر التي كان أميرها أول من وقف مع ثورة 17 فبراير، ولن ينسى له ذلك أبداً.

وفي الوقت الذي كانت تتوالى فيه الاجتماعات الدولية كاجتماع وزراء خارجية الدول الثماني الصناعية الخاصة بالشأن الليبي الذين لم ينجحوا في اتخاد قرارٍ؛ وتمت إحالة الموضوع إلى مجلس الأمن، ومع بدء اجتماع مجلس الأمن لفرض حظر جوي على ليبيا كانت المعارك على أشدها في بن جواد والبريقة ورأس لانوف وزوارة في الغرب التي تعرّضت إلى قصف شديد ومنع الإسعاف من دخولها ودخلتها قوات القذافي، وهي المدينة الثانية في الغرب بعد الزاوية التي تسقط في يد النظام الذي قام بحملة اعتقالات كبيرة ووضع الكثير في الزنزانات في وضع صحي مزرٍ للغاية وتم قصف إجدابيا بالطائرات ومن البوارج البحرية على السواحل، ودخلتها قوات القذافي ومعارك ضاربة في البوابة الشرقية للمدينة.

وفي هذا الأوان تمكن الثواربالشرق الليبي من الحصول على عدد قليل من الطائرات ربما ثلاثٍ قاموا بإصلاحهم وتجهيزهم شاركوا بهم في قصف قوات القذافي في شرق إجدابيا، وقصف بارجتين في البحر، وأسر ناقلة محملة بالنزين.

وقال سيف الإسلام في منتصف مارس 2011 إن كل شيء سينتهي خلال 48 ساعة، ونحن ـ والكلام له ـ على مشارف مدينة بنغازي، وإن مشروع قرار الحظر الجوي فات أوانه وأشاع التلفزيون الرسمي أن مصراتة قد سقطت، ويقومون بتطهيرها؛ بينما الثوار كذَّبوا ذلك،

وتتعرض بنغازي لقصف جوي خاصه في منطقة مطار بنينة وأبو عطني، وأفرغت طائرة حمولتها خارج المدينة وهبطت في مطار بنينة بعد أن رفض الطيار قصف المدينة، ويأتي هذا في إطار التمهيد لاجتياح المدينة من قِبل قوات القذافي التي تتجمع على مشارفها حسبما أعلن التلفزيون الرسمي، وهو أمر مزعج للغاية.

وفي يوم 2011/3/17 وعند الساعة التاسعة ليلاً وجه القذافي كلمة إلى مدينة بنغازي، وهو تاريخ مقصود؛ لأنه تاريخ انطلاق الثورة ضدَّه في بنغازي، وصف فيها الثوار بالزنادقة أصحاب اللحى والخونة والمغرَّر بهم الآخرين والجنود والضباط الذين انضموا إلى الثوار بالمغلوبين على أمرهم وحضّهم جميعاً على إلقاء السلاح في الشارع والعودة إلى بيوتهم، وقال من دخل بيته دون سلاح فهو آمن، ومن أراد الهرب فليهرب، ونعتهم بنعوت غير مقبولة، وفي هذا الحين عمّ الرعب المدنيين في بنغازي، وخرجت العائلات بالنساء والأطفال تجاه مدن الشرق الأخرى.

وخاطب أهل بنغازي قائلاً بنغازي حبيبتي، وكيف نقتل بعضنا البعض، وطائراتنا تضرب بعضها، ولا بد من عودة الهدوء والأفراح إلى بنغازي، وأمر أتباعه داخل المدينة بالتحرك في تلك الليلة عندما قال أنتم أخرجوا من الليلة، والهدف أصحاب اللحي والخونة، وليس معهم رحمة ولا شفقة، وهو لم يخرج عن أسلوبه المعتاد في التعامل مع الليبيين؛ حيث يستخفُّ بعقولهم وكأنه يخاطب أناساً غيرهم ليسوا على دراية به ولا هم عاشوا في ظل نظامه القاهر لأي صوت غير صوته، أو

أنهم لم يتعرضوا لأية مجازر أقربُها مازالت تفوح منها رائحة الدم قام بها الأمن الداخلي في بنغازي منذ أيام عند بداية الثورة باعتقال 26 شخصاً من الشباب والشيب قتلوا جميعاً تحت التعذيب، ولم ينجو منهم أحد إلا واحد فقط حيث تم رميهم على شاطئ البحر بعد تعذيبهم وقتلهم، وهو كثيراً ما يستخدم هذا الأسلوب المحتوي على الخطاب المزدوج للداخل والخارج في آن واحد، إنه يستخدم جميع الأسلحة ضد شعبه، ويكيل الاتهامات بالجملة على الثوار فقط لأنهم قالوا له كفى بعد أن ظل يحكمهم اثنتين وأربعين سنة؛ حقاً ما أغرب هذا الرجل الذي لديه الاستعداد لفعل أي شيء في سبيل بقائه على سدة السلطة في ليبيا..!!

والليبيين الآن في انتظار قرار مجلس الأمن الدولي بشأن ليبيا الذي سيتم التصويت عليه بعد حوالي ساعتين، ووسط هذه الأجواء وتهديد بنغازي قلعة الشرق، وحصار الزنتان بالدبابات والصواريخ أشعر بطول الوقت، ومشاعر الناس مضطربة للغاية خوفاً من أن يفشل مجلس الأمن في اتخاد قرار بخصوص الحظر الجوي أو التدخل بضربات جوية تعين الثوار على دحر قوات "القذافي".

إن هذه الثورة فرحةٌ أشعر أنها ستهرب منَّا، وأتمنى من الله أن يتمها علينا وينعم علينا بالحرية، إنني لا أتصور أنني سأحيا تحت حكم معمر مجدداً، أو أنني سأحضر احتفالات الفاتح القادمة في 2011/9/1. وأدعو الله أن يكون القرار في صالح هذا الشعب المكافح الطيب، وهناك عاملان مهمان يخدمان الثوار برزا هذا اليوم؛ الأول أن الاتحاد

الأوروبي اقتنع أن عودة "القذافي" للحكم ربما سيعود معها إلى دعم الإرهاب وإثارة القلاقل في المنطقة بعد ما وصلت إليه العلاقة بينهم وبينه.

والعامل الثاني هو تهديد "القذافي" باستهداف الملاحة بالبحر المتوسط إذا تدخلت القوى الغربية في ليبيا، وكأنه يقول لهم اتركوني أفعل ما أريد بالشعب الليبي حتى لو أرتكب ضدهم أبشع المذابح لأبقى على رأس هذه البلاد لأحكم وأتصرف في ثرواتها كما أشاء، وأبقى قائداً أممياً أو أنني سأتهمكم بالاستعمار الجديد القادم إلى ليبيا إذا تدخلتم لدعم الثوار، فهذا أظهر أنه يشكل تهديداً واضحاً للمجتمع الدولي الإقليمي، هكذا وصلت رسالته إلى العالم، وهذا عامل داعم ومهم للثوار؛ خاصة وأن هاذين العاملين يأتيان قبل صدور القرار.

❁ ❁ ❁

التدخل الدولي

كما هو الحال عند صدور قرار الجامعة العربية قال جل الليبين مرة أخرة الحمد لله عقب صدور قرار مجلس الأمن بفرض حظر جوي فوق ليبيا بتفاصيله التي لا تستثني قصف القواعد ومخازن الأسلحة والقوات وما إلى ذلك والمسألة الآن أصبحت قضية وقت فقط وقد صوّت لصالح القرار عشر دول، ولم يعارضه أحد وامتنعت عن التصويت الصين وروسيا وألمانيا والهند والبرازيل.

وأوردت الأنباء أن القصف على قوات "القذافي" سيكون جاهزاً خلال ساعات من فرنسا وبريطانيا انطلاقاً من إيطاليا، والساعة الآن الحادية عشرة صباحاً بتوقيت ليبيا يوم 2011/3/18.

كما أن دول أخرى ستشارك في فرض الحظر الجوي مثل النرويج والدنمارك وقطر، وفي هذا التوقيت اشتد الهجوم على مصراتة من جهتي الغرب والجنوب الغربي بالدبابات والمدافع الثقيلة وتَقصف أمامها كل شيء لتتمكن من التمركز داخل المدينة وهي تسابق الزمن لتتحصن بالأحياء السكنية حتى لا تظل في أماكنها خارج المدينة مما يعرضها للقصف المتوقع خلال ساعات، ومازال أحرار مصراتة يقاومونها بأسلحتهم الخفيفة والمتوسطة، وفي الشرق بدأت قوات "القذافي" في التقدم بسرعة نحو بنغازي، وهي على بعد حوالي 30 كيلو متراً منها وإذا وصلوها فإنه من المؤكد أن مذبحة كبرى ستحدث لأهل

بنغازي كما حدث في إجدابيا التي خرج منها معظم سكانها باتجاه طبرق هرباً من المجازر ودولياً خرج رئيس الولايات المتحدة الأمريكية "أوباما" وأنذر "القذافي" وحذره من دخول بنغازي، وأن يخرِج قواته من الزاوية ومصراتة والزنتان وإلا فإنه سيواجه تدخلاً عسكرياً.

كذلك حذرت فرنسا من دخول بنغازي، ولكن الأمر في غاية الخطورة، فهو على مشارف بنغازي، وعامل الزمن مهم جداً وفرنسا وأمريكا مازالتا تحذران والساعة الآن 11 ليلاً كتائب "القذافي" تقصف شارع جمال عبد الناصر ببنغازي وبعضها يدخل الضواحي الغربية من المدينة وتحاول اقتحامها من ناحية البحر جنوب المدينة، وإذا ما دخلت هذه القوات حتماً ستحلُّ كارثة؛ لأن قوات النظام الآن تحارب حرب انتقام على الرغم من أن الأمل في ثوار بنغازي في التصدي لهذا العدوان كبير على الرغم من تفاوت القوة الواضح لصالح الكتائب.

والمجتمع الدولي ما زال حتى الآن لم يتحرك، والليبيون في الكثير من المدن وليس في بنغازي فقط على أحرِّ من الجمر في انتظار الغارات لسحق هذا الطاغية وقواته وإنقاذ بنغازي والبلاد كلها.

وشخصياً بدأتُ أدخل في دوامة من الشكوك تجاه بعض التصريحات السابقة من قبل الثوار، ربما أنهم بالغوا قليلاً في قدرتهم، لأني لم أرَ حتى الآن جيشاً في الشرق، أيعقل أن "معمر" أفرغ الشرق بالكامل من الجيش ومن العتاد العسكري وخاصة الثقيل منه، إنه مخطط رهيب، إن كل ما رأيته ثوار معظمهم في لباس مدني وسيارات مدنية يحملون أسلحة خفيفة وبعضها القليل متوسط، و"القذافي" يحاول دخول بنغازي

للتحصن بالمدنيين حتى يصِّعب المهمة على القوات الدولية في القصف، وعندها يمارس مهمته في تعقُّب الثوار وتصفيتهم.

هل يعي العالم هذا أم لا؟! وأتصور إنه من المفزع عودة "القذافي" للحكم إن هذا الرجل ماكر سياسيا للغاية، وأشعر أن هناك أشياء مُريبة بعد هذا التسلسل في تقدم الأحداث.

ولم تكن هناك مقاومة قادرة على رد قوات "القذافي" القادمة سوى الثوار والطلعات الجوية التي قام بها بعض الضباط الشجعان من قاعدة بنية الجوية لعرقلة تقدم الرتل الطويل القادم مما أدى إلى استشهاد البعض منهم.

وفي التاسع عشر من مارس 2011 وعند حوالي الساعة 6:30 مساءً قامت الطائرات الفرنسية المقاتلة بأول عمليات القصف على مشارف بنغازي الغربية لتدمير أرتال "القذافي" التي بلغ طولها حوالي الخمسين كيلو متراً كانت متجهة لاقتحام بنغازي.

وهكذا أنقذ الرئيس الفرنسي "ساركوزي" بنغازي من مذبحة كادت تودي بحياة الكثيرين – وفي ليلة العشرين من مارس 2011م قصفت لأول مرة مواقع داخل مدينة طرابلس العاصمة وعلت نيران المضادات الأرضية سماءها، وفي تلك الليلة ألقى "القذافي" كلمة عبر الإذاعة قال فيها إن هذا عدوان صليبي واستعمار جديد، وإنه يعتزم فتح المخازن لتسليح الليبيين، وقال إنه سيخوض معركة طويلة مع هذا الاستعمار، وإن نفسه طويل واعتبرها فرصة ليخوض معهم هذه المعركة.

وقالت فرنسا عقب الغارات الأولى لها على لسان رئيسها إن الغارات ستتواصل حتى يتوقف "القذافي" عن اعتداءاته ضد المدنيين ويسحب قواته من المدن المحاصرة.

ومع استمرار القصف وانضمام دول أخرى لفرنسا في عمليات القصف تم تدمير الرتل المخيف الذي كان متجهاً لبنغازي وجرت معارك على مشارف المدينة مع الثوار وشوهدت البدلات العسكرية لجنود "القذافي" مرمية في الطرقات.

واستمر القصف المدفعي والعدوان من قبل كتائب "القذافي" على كل من مصراتة والزنتان وما صاحب ذلك من انقطاع الكهرباء والماء، وتم أسر مجموعة من ضباط وجنود "القذافي" في مدينة الزنتان اعترف بعضهم أن بعض من يقاتلون مع "القذافي" مرتزقة أفارقه من مالي وتشاد.

وفي مصراتة استطاعت قوات "القذافي" دخول شارع طرابلس تحت حماية القناصة من أعلى المباني، وتقدم ثوار بنغازي إلى البوابة الشرقية لمدينة إجدبيا.

البارحة شاهدت على التلفزيون لأول مرة شخصية ليست جديدة على الرأي العام الليبي إنه "خليفة حفتر" قائد القوات الليبية التي اجتاحت تشاد في بداية الثمانينيات من القرن الماضي، والذي انتهت أعماله العسكرية فيها عند سقوط القلعة الليبية في تشاد والمسماة وادي الدوم، وقد أوضح في كلامه أن "القذافي" لم يُبق على الجيش الليبي، وبدأ في تصفيته منذ عشرين سنة، ولا يوجد جيش بالمعنى الحقيقي في

الشرق، وينتظرون دعماً بالسلاح خلال أيام أو أسابيع، ومع استمرار غارات التحالف على طرابلس وسرت ومصراتة وسبها واشتداد المعارك في إجدابيا تمكن الثوار من إحراز تقدم والدخول إلى مدينة إجدابيا وتم قتل العديد من القناصة الذين كانوا يستهدفون المواطنين من على أسطح المباني، وتقدموا باتجاه البريقة، وتم تحرير إجدابيا وكان هذا في 2011/3/26، وفي الأيام التي تلت ذلك تمت السيطرة على البريقة، ووصل الثوار إلى العقيلة، ويأتي هذا بمساعدة قوات التحالف التي قصفت قوات "القذافي" بين إجدابيا وسرت.

فيما منعت سفن حربية تابعة للقذافي سفينة إغاثة دولية قادمة من أوروبا لأهالي مصراتة المدنيين وعادت من حيث أتت.

وأهالي مصراتة يحكون عن فضائع تعرضوا لها ولم يتوقعوها من جيرانهم ممن استطاع "القذافي" وأعلامه شراء نفوسهم وتغييبهم عن الوعي؛ حتى إنه لم يبق فيهم ولو القليل من الخلق ومخافة الله سبحانه وتعالى، وهم على قلتهم ـ وأقصد هنا من ارتكبوا الفواحش كالاغتصاب ـ إلا أنهم تركوا شرخاً في النسيج الاجتماعي بين مصراتة وجيرانها وأدعو الله سبحانه وتعالى أن يساعد الجميع على العودة إلى سابق عهدهم من ألفة وحب وأُخوَّة.

طرابلس الكئيبة

هذه الأيام طرابلس تبدو كئيبة، وبنظرة بسيطة إلى شواطئها تدرك ذلك، وفي الصباح الباكر المدينة خالية إلا من شيئين طابور الخبز الذي يبدأ عند الفجر ولا ينتهي حتى آخر النهار وطابور البنزين الذي يبدأ قبل الفجر بساعات؛ أي أن هناك من ينام في سيارته أمام محطة البنزين، ولا ينتهي حتى نهاية البنزين من المحطة ويظل مستمراً على أمل ورود كمية أخرى من الوقود للمحطة، وامتد الطابور كيلومترات، وفاق عدد السيارات المصطفة المئتين، أما المحلات التجارية فإن معظمها مقفل، ومن يفتح من هذه المحلات وخاصة محلات المواد الغذائية تفتح متأخرة قبل منتصف النهار بقليل وتقفل عند العصر أو بعده بقليل والبعض القليل يستمر حتى المغرب.

والأسعار في ازدياد مستمر وبسرعة، وبعض محلات الجملة أقفلت لأن البضائع لديهم نفدت أو نقلت إلى مكان آخر خوفاً عليها، والدينار الليبي تدنت قيمته وقارب سعر الدولار الثلاث دينارات بعد أن كان سعره بالمصارف قبل 17 فبراير يتراوح بين دينار وربع أو أكثر من ذلك بقروش.

والغريب وبالرغم من تصاعد النقاش والإدانة محلياً ودولياً لقضية المرتزقة الذين يستعملهم "القذافي" في قتل الليبيين والذين هدد بهم بالزحف على ليبيا وصدور الناس المليئة حقداً على هؤلاء إلا أنهم ما

زالوا كُثر في طرابلس الصابرة، فأينما ذهبت تجد أمامك سود البشرة الأفارقة، بل إن هناك وجوهاً جديدةً حضرت حديثاً لم نعهدها سابقاً حسب مشاهداتي، وهي لا تبدو أنها تنتمي إلى فئة العمال بشكلهم السابق وملابسهم، وفي المقابل هناك المئات من هؤلاء الأفارقة شاهدتهم يتزاحمون أمام سفاراتهم وينامون أمامها في انتظار ترحيلهم، وكأني بهم قسم يرحل وقسم يحلُّ من جديد، والمدارس متوقفة سواء أكانت بالمرحلة الابتدائية أم الإعدادية والثانوية، وكذلك الجامعة، الكل لا يذهب إلى الدراسة على الرغم من أن النظام أكد رسمياً أن الدراسة مستمرة، وأصر المسؤولين عن التعليم على بقاء مواعيد الامتحانات كما هي في ضغط واضح على الطلبة الذين يمارسون دورهم في المقاومة بالعصيان المدني غير المعلن مما آثار التساؤلات فيما سيمتحنون وهم لم يذهبوا إلى الدراسة منذ منتصف فبراير ، ولا من حديث بين الناس سوى متابعة أخبار الحرب بين الثوار وكتائب "القذافي" والحذر الشديد فيما بينهم لأن الجو مشحون للغاية، والحقيقة إنه لا مجال للتحرك المدني في مظاهرات لا في الأيام القليلة الماضية ولا هذه الأيام التي أعقبت ثورة 17 فبراير لأن الأوضاع تغيَّرت بعد أن تحولت إلى مواجهات عسكرية، وطغى العمل السري للثوار في طرابلس وغيرها من مدن الغرب الليبي، وأصبح الخروج في مظاهرات بمثابة الوقوف مع الغريب، وسيعاملون بقوة ساحقة هذه المرة كما هدد "معمر" بذلك، بالإضافة إلى الحصار المحكم المستمر والاعتقالات الكبيرة، والعنصر المهم كذلك هو عدم حصول المجموعات المتكونة في طرابلس من

الثوار على السلاح الكافي ولم تنضم أيٍّ من الكتائب أو ما شابه ذلك إلى ثوار طرابلس لوجودهم خارج المدينة التي هي في الأصل محاصرة ومنذ سنوات طويلة، وليس الآن بثلاث كتائب غرباً وشرقاً وجنوباً تتحصن بقلاع غير عادية وتتبع أبناء القذافي.

ولم يكن هناك أي دعم بالسلاح إلا القليل مما يهرب من خلال بعض العسكريين غير المنضوين تحت كتائب القذافي الأمنية أو العسكرية.

وأستطيع تسمية هذه الأيام التي تعيشها طرابلس الصابرة بأيام التحدي بين الموالين للقذافي من اللجان الثورية والحرس الشعبي ومئات أخرى مستفيدة أو مغرر بها وبين أحرارها الشرفاء من أبناء هذه المدينة العريقة الذين يقفون في تحدٍ أمام كل الاعتقالات والتعذيب الذي يمارس بالسجون؛ حيث الجميع يرتعد وليس المسجونين فقط، وهناك صراع على أشده بين الإرادات كما هو بين الرايات، بين راية الاستقلال وعلم القذافي الأخضر الذي يستفزون به شباب الثورة في المدارس والشوارع وفي سيارات الموالين للنظام، كما أن تواجد المسلحين بأعداد كبيرة يروعون الناس بأسلحتهم التي وزعها عليهم "القذافي" وهم ينتشرون الآن في أنحاء المدينة كافةً.

ولا تتفاجأ وأنت متوقف بإشارة المرور الحمراء بسيارة بجانبك تحمل سلاحاً ظاهراً لك مع صوت عالٍ لشريط كاسيت لأحد خطابات "معمر القذافي" التي يتوعد فيها الثوار أو هتاف في صورة استفزاز واستعراض رخيص تشعر أنه يطولك.

وفي المدارس حدثت مشاكل كثيرة نتيجة الاستفزاز الذي تعرض له الطلبة والمدرسين والمدرسات من قبل أعوان القذافي واللجان الثورية.

وعلى سبيل المثال لا الحصر والجميل أيضاً نضال الطلبة وهم في الإعدادية والثانوية، ومن أبرز ملامح هذا النضال السلمي ضد الطاغية ما قامت به بعض المدارس التي رفضت تحية علم النظام، وتعالت صيحات إن هذا العلم ليس علمنا، بل إنه وأثناء عزف النشيد الوطني للنظام الذي يردده الطلبة كل صباح تختلط الأصوات بين نشيد النظام ونشيد الاستقلال وسط تحدٍ شجاع من الطلبة، وفي وجود أذناب النظام وتهديدهم بالعقاب وبالسجن وتعرضهم للضرب الشديد في طابور الصباح، إنها ملحمة نضال من أجل الحرية على الصعد كافةً وبشتى الوسائل، حدث هذا في مدارس طرابلس، وسطر أبناؤها الصغار أسطراً ستظل خالدة في تاريخ ثورة 17 فبراير، واقتحم الحرس الثوري والشعبي وأفراد اللجان الثورية بعض هذه المدارس التي وردت تقارير عنها بوجود طلبة معارضين، وتم تحذير الطلبة والمدرسيين من أية أفعال مضادة للنظام أو إظهار دعمهم للثوار وبعض المدرسات الفضليات نصحن بعض الطلبة بعدم الحضور للمدرسة، وقالوا لهم إن ذلك سيكون أفضل لهم لأن الوضع متوتر بالمدرسة، وإنهن على علم ببعض التحديات التي أحياناً لا يعيها الطلبة الصغار.

وفي هذا الأوان أصبحت الأوضاع تدخل في مرحلة الرتابة، وازداد الوضع الأمني توثراً في طرابلس بزيادة عدد المسلحين الذين يجوبون المدينة بسياراتهم الفارهة، وأيضاً مترجلين مسلحين بالبنادق

والمسدسات بزي مدني يمشون بين الناس، والملاحظ أن كل مجموعة مسلحة سواء كانت في سيارات أو عند كل نقطة تفتيش على الطريق يوجد بينها عدد من سود البشرة بطريقة ملفتة للنظر فيما يبدوا أنهم مرتزقة وليسوا ليبيين، كما أنني أثناء قيادتي لسيارتي بالطريق وبجانب إحدى الغابات بضواحي طرابلس شاهدت مجموعة كبيرة من الأفارقة يرتدون الزي العسكري ويجلسون تحت بعض الأشجار وأمامهم سيارة باص كبيرة يبدوا أنهم كانوا فيها قبل إنزالهم بهذا المكان، وأثناء مروري تقدمت أمامي نحوهم سيارة تيوتا عسكرية ليبية وتوقفت عندهم وهي محملة بوجبات طعام جاهز وكمية من الماء المعبأ بقوارير بلاستيك، وحال توقفها هرعوا إليها مسرعين في تزاحم شديد يدل على أنهم جوعى.

ومن جهة أخرى هناك مجموعات مرتزقة آخرين يجوبون شوارع طرابلس بسيارات فارهة من أحدث الموديلات مدنية مزودة بأجهزة اتصال يركبها ثلاثة أو أربعة أفارقة يقودها أحدهم ومسلحين يمرقون بنظرهم إلى المارة والسيارات الأخرى بنظره فيها شيء من التحدي والكبر؛ جلبهم "القذافي" من بعض الدول الإفريقية التي ساهم في تنصيب حكامها من خلال انقلابات دعمها بالمال والرجال، وهم الآن يردون له الجميل. وهم يجوبون الشوارع في منظر مشمئز ومستفز لليبيين في عاصمتهم، وشخصياً لم أتوقع أن أرى هذا في يوم من الأيام وكنت في غاية التذمر.

جدال دولي ومبادرات

بنهاية شهر مارس 2011 سيطر الثوار على مدينة النوفلية التي تبعد حوالي 30 كيلو متراً شرق سرت، ويبدو أن هناك تنسيقاً بين الثوار والتحالف، ويبدون أكثر تنظيماً من السابق، وقوات التحالف تقصف لأول مرة سرت، والطائرات الكندية تعود عدّة مرات محملة بصواريخها إلى قواعدها دون تنفيذ مهامها لفك الحصار عن مصراتة لتواجد قوات القذافي بالقرب من المدنيين.

كما أن اجتماع لندن بدأ في الانعقاد بحضور أربعين دولة ومنظمة، وبحضور المجلس الوطني الانتقالي لدراسة الشأن الليبي، وكانت قطر قد اعترفت بالمجلس الوطني ممثلاً وحيداً للشعب الليبي، وهي أول دولة عربية تعترف بالمجلس.

وقالت قطر على لسان رئيس وزرائها إن التخلص من هذا النظام الدموي أصبح قريباً، ونأمل أن يغادر "القذافي" ليبيا حقناً للدماء.

وأكدت "كلينتون" وزيرة خارجية أمريكا على استمرار العمل وضرورة إدعان نظام القذافي للقرار 1973 وعلى هامش هذا الاجتماع التقت بممثلي المجلس الوطني الانتقالي الذين تقدموا بوثيقة تشمل رؤية المجلس المستقبلية لمرحلة ما بعد القذافي، وخاصة فيما يتعلق بالديمقراطية والوحدة الوطنية، والهجرة إلى أوروبا، وتنظيم انتخابات برلمانية ورئاسية، وتزامن هذا الاجتماع مع خروج وزير خارجية القذافي

ومغادرته ليبيا عن طريق تونس ووصوله إلى بريطانيا وإعلان انشقاقه، وحتى الآن مازالت فرنسا وأمريكا وبريطانيا لم يقرروا تسليح الثوار أو المعارضة كما يصفونهم، ولكنهم لم يستبعدوا ذلك؛ لأنه من الواضح حسب المشهد الأخير للأحداث فإن المعارضة لو لم يتم تسليحها فإنها لن تتمكن من إلحاق الهزيمة بكتائب القذافي، والناتو سيكون في موقف محرج أمام العالم وأمام مسؤولياته، وخاصة في ظل تراجع الثوار المستمر إلى مواقعهم السابقة، ومقتل نحو 240 منهم خلال النصف الثاني من شهر مارس في مدينة مصراتة وحدها، وكأن "القذافي" يخاطبهم قائلاً ملكتم الجو ولكنني أتقدم على الأرض وهو ليس على استعداد لضرب المعارضة فقط، بل إن لديه الاستعداد للتضحية بمن يقاتلون معه الآن في سبيل بقائه حتى لو أتى بشعب جديد على الأرض الليبية، وهذا واضح عندما يقول سنحارب حتى لو حاربنا العالم كله أو أنهم حاربونا بالأسلحة النووية، وهذا يعني بشكل آخر أنه لا يهمه حتى لو دخل بجيشه في عملية انتحارية في سبيل هدفه الأناني والغريب.

مع بداية شهر إبريل 2011 تواصلت عمليات القصف لمدينة مصراتة من قبل الكتائب في محاولة للسيطرة على الميناء، وهي تعاني من نقص شديد في الأدوية، وشاهدنا والعالم استشهاد الطبيب الشاب أحمد الغرياني الذي كان يعالج جرحى الثوار، وبدا لنا في الصورة ملقى على الأرض وهو جريح تقدم إليه عسكريان من كتائب القذافي وطلبا منه الانقلاب على ظهره وقال له أحدهم ما اسمك قل يعيش الفاتح قل "يعيش معمر" فانقلب وهو يردد الله أكبر لا إله إلا الله فأطلق النار عليه

وقتله ولاذا بالفرار في منظر سيذكره الليبيون كثيراً ولن تنساه أجيال، وتوالت النكبات بقصف قوات التحالف لسيارات الثوار خطأ واستشهد منهم حوالي ثلاثة عشر شهيداً، وبرزت مشاهد معاملة الأسرى الثوار من الشرق من قبل الكتائب وهي مشاهد تثير المشاعر الإنسانية، ومن كان يصدق وصول الليبيين إلى هذا الحد من سوء المعاملة فيما بينهم.

واتخذ الشكل العام للأحداث في هذه الأيام شكلاً هلامياً، ويبدو أن الحسم بعيد المنال أو أنه سيتأخر، وبرزت أخبار عن تواطؤ أو صفقات دولية، وأمريكا سحبت بعض طائراتها وبوارجها.

وتراجع الثوار إلى شرق البريقة، وتم قصف حقول النفط جنوب إجدابيا من قبل الكتائب واندلعت الحرائق فيها.

واليوم الثلاثاء 2011/4/5 عقد اللواء"عبد الفتاح يونس" رئيس أركان جيش التحرير مؤتمراً صحفياً قال فيه إن حلف الناتو لم يقدم لنا العون المطلوب، وهو بطيء، وقال إننا نبلغهم بتحركات قوات القذافي واتجاهها ولكن الاستجابة تأتي بعد ساعات طويلة تتجاوز الثماني ساعات، وتأخذ هذه المعلومات طريقاً طويلاً لتصل إلى الطيار وتكون عندها قوات القذافي دخلت المدينة وحققت الأهداف وانتهى الأمر، واتهم الناتو بأنهم لو أرادوا فك الحصار عن مصراتة لفعلوا ذلك منذ أيام لأنه لا يوجد مدنيين بجانب الكتائب، وهم ـ أي الناتو ـ يتحججون بوجود مدنيين ولا يقصفون، وطلب من المجلس الوطني الانتقالي مراسلة مجلس الأمن بخصوص هذا الأمر لأن ما يجري في مصراتة إبادة بمعنى الكلمة، ورداً على هذا المؤتمر نفى الحلف أي تباطؤ في

الضربات الجوية، وقال إن وتيرتها تزداد يوماً بعد يوم، بينما فرنسا اعترفت أن هناك مشاكل في القصف لأن الكتائب تلجأ إلى استخدام المدنيين كدروع بشرية.

ومن خلال توالي الأحداث في ليبيا صدرت من تركيا مبادة أسمتها مبادرة خارطة الطريق بخصوص الوضع في ليبيا تستند على ثلاث أسس.

1- إيقاف إطلاق النار.

2- انسحاب قوات القذافي من المدن

3- إجراء عملية ديمقراطية تلبي مطالب الشعب الليبي.

وتُعد هذه المبادرة موقفاً متطوراً نوعاً ما لتركيا تجاه الثورة الليبية، ورد عليها "علي العيساوي" المكلف بالشأن الخارجي بالمكتب التنفيذي التابع للمجلس الوطني الانتقالي بأن مطلب الشعب الأول هو تنحي القذافي وأبناؤه.

وتركيا في الحقيقة ترمي بشباكها في الصحراء لتصطاد السمك لأنها لا تعرف "معمر القذافي" كما يعرفه الليبيون، ولا تعرف مقدار المعاناة التي عاشها الشعب تحت حكمه، ولا يمكن بأي حال من الأحوال قبوله من جديد، كما وأنه على استعداد لارتكاب الجرائم دون أن يندى له جبين، إنه في أحد احاديثه عن المواجهات مع بعض المعارضين في الجامعة ذكر بأن أعوانه (مزطوهم في الجامعة) وهذه الكلمة تعني بالليبي كمن يدوس على حبة طماطم بقدمه أذكر هذا وأستغرب ما

العمل لإيصال صورة هذا الرجل لتركيا التي تتكلم عن حل سلمي دون تنحي هذا الرجل؟!

عائلات كثيرة تغادر إجدابيا وأخرى تغادر الجبل الغربي باتجاه تونس بنسائها وأطفالها، انظروا إلى حجم المعاناة، وهو مصمم على عدم ترك ليبيا والليبيين حتى يلحق بهم أكبر أدى، ووصلت أعداد كبيرة من الجرحى من مصراتة إلى بنغازي على متن قوارب الصيد.

وأيضاً وصول إحدى السفينتين القطريتين إلى ميناء مصراتة لنقل الجرحى إلى مصر واليونان، وسفينة إغاثة للصليب الأحمر لعلاج الجرحى، حيث إن الوضع الإنساني مأساوي جداً.

اليوم الاثنين الحادي عشر من إبريل 2011 كان يوم المبادرة الإفريقية؛ مبادرة الاتحاد الإفريقي الذي وصل وفد منه من رؤساء جنوب إفريقيا ومالي وموريتانيا وأوغندا، وطبعاً قابل العقيد القذافي في خيمته بمعسكر القيادة باب العزيزية بطرابلس وبعد مباحثات معه خرج معهم أمام الخيمة وأشار لمجموعة من أتباعه وقال لهم هؤلاء هم دفاعي الجوي وأعلن قبوله بالمبادرة الإفريقية وهو دون شك يراوغ، والمجلس الوطني رفض المبادرة لأنها لا تلبي مطلب رحيل القذافي، أما دولياً فقد جاء الرد عليها واضحاً وخاصةً على لسان وزير خارجية بريطانيا الذي قال إن قرار مجلس الأمن واضح ويعني إيقاف قصف المدن والكف عن قتل المدنيين، وإن أي إجراء لا بد أن يأخذ في الاعتبار رأي ممثل المعارضة الليبية وأي شيء غير ذلك يعتبر خيانة للشعب الليبي.

كما أن وزير خارجية فرنسا ردَّ على المبادرة الإفريقية بقوله: إن دور الناتو في حماية المدنيين ليس كافياً مما يعني أن هناك تفكير يتجاوز القصف الجوي ربما إلى مساعدة الثوار في القضاء على النظام بطرق أخرى كدعمهم بالسلاح أو التدخل بدواعي إنسانية على الأرض.

وفي إطار المبادرات والاجتماعات الدولية يأتي اجتماع مجموعة الاتصال حول ليبيا بقطر في الثالث عشر من إبريل 2011 الذي أكد على ضرورة تنحي القذافي، وأن المجلس الوطني الانتقالي هو المحاور الشرعي باسم الشعب الليبي واتفق الحاضرون وهم أكثر من عشرين دولة على دعم الثوار مادياً وتسليحهم، وأطلق هذا الاجتماع آلية مؤقته لتمويل المجلس الوطني، وفي هذا الإطار قامت لندن بدعم الثوار بأجهزة اتصال.

وفي اجتماع بالصين لدول (بريكس) وهي الهند والصين وروسيا والبرازيل وجنوب إفريقيا، وهي مجموعة من خمس دول دوات اقتصاد نامٍ متطور نددت باستمرار الغارات من قبل التحالف على ليبيا، وهي دول ذات مصلحة كبيرة في التعامل مع ليبيا القذافي، ولم يستوعبوا الهوة بين القذافي والشعب الليبي ولا أدري كيف يفكرون في حماية المدنيين دون استخدام القوة ضد القذافي ؟! أو كيفية تفعيل الحضر الجوي دون قصف ؟! مع علمهم بأن كتائب القذافي هي المبادِرة بقتل الشعب ولم تستجب لطلب العالم بالتوقف عن ذلك ومستمرة فيه.

إلا إذا أرادوها مذابح في شتى المدن الليبية أو أن ينهي المشكلة بالشكل الذي يريد، ومن تم يستقر له الوضع، ويستمر في حكم ليبيا،

ويحتفظوا هم بمصالحهم، هذا بالضبط ما يريدونه من خلال موقفهم، وخاصة روسيا التي ما زالت حتى الآن تقودها شخصيات بشوائب ستالينية

وتوافق هذا الموقف مع ما عبَّر عنه أحد ساسة الصحافة العربية في لندن وموقفه المُخجل الذي تجاوز به الموقف الروسي تجاه الثوار حيث وصفهم بأنهم ثوار الناتو.

وفي منتصف إبريل؛ وبالتحديد في 2011/4/14 خرج "القذافي" في جولة بسيارة مفتوحة من سقفها في جولة في شوارع طرابلس الخالية إلا من بعض الناس الذين لم يكترثوا لمروره أمامهم ووراءه طابور سيارات عبروا ميدان الشهداء وظهر من أعلى سقف السيارة مستدعياً بعض الناس وأتباعه بيديه للالتفاف حول السيارة في مشهد يبدوا تمثيلياً لإظهار صورة القائد الذي ما يزال يصول في ميدان الشهداء والناس من حوله ثم انطلق مع من معه من سيارات خلفه وأخرى أمامه تمشط له الطريق المتفق عليه في منظر رئيس يتحدى بخروجه ويجول في المدينة كما يريد أن يظهر للعالم، وهي تصرفات تعدُّ معتادة ومتوقعة لأنه إنسان مغامر غير حضاري، ولا تهمه الدولة أو الشعب بقدر ما يهمه شخصه وعنفوانه الذي عاش من أجله.

وها هو سيف الاسلام يرمي ببعض التصريحات فقد قال: لا شيء اسمه الزنتان أو مصراتة، هؤلاء تجار مخدرات، وقال لن نرفع الراية البيضاء حتى لو قصَفَنا الناتو 40 عاماً، والراية الخضراء هي التي ستنتصر.

وفي الثلاثين من إبريل 2011 ورَدَ على لسان "معمر" في كلمة ألقاها عبر الإذاعة أنْ لا أحد يجبره على الخروج من بلده، ولا أحد يمنعه من حمل بندقيته للدفاع عن بلاده، وأنه قام بالثورة في الفاتح 1969 وسلَّم السلطة للشعب، وأنه على استعداد لإيقاف إطلاق النار ولكن المتطرفين لا يلتزمون بذلك، وأضاف: إن الحرب المفتوحة الآن مع إيطاليا، والليبيون قد ينقلون الحرب إلى الأراضي الإيطالية، وقال: إن انهيار النظام سيزيد من الهجرة إلى أوروبا، ويفتح باب التطرف، وكأنه يحذر ويغري في نفس الوقت الأوروبيين للوقوف معه.

وفي ذات اليوم أو الذي يليه قَتل نجل القذافي "سيف العرب" وزوجته وثلاثة أطفال في غارة للتحالف على منزله في طرابلس، وأُعلن الخبر في الساعة الواحدة ليلاً بالتلفزيون الليبي الرسمي، وانطلقت احتفالات في بنغازي بمقتل "سيف العرب" وهتافات بروح الشهيد في باب العزيزية بطرابلس.

وللسيطرة على المنافذ البرية خاصةً مع تونس وهي الأهم لقربها الشديد من طرابلس والمناطق الغربية وسهولة التعامل من خلالها مع الطرف التونسي الذي قدَّم الكثير للثورة الليبية وأحسن استقبال الليبيين على أراضيه، وقدم لهم اللازم والممكن سوء أكان ذلك شعبياً أم رسمياً، أقول للسيطرة عليها دارت معارك عدّة مرات حولها بين كرٍّ وفرٍّ، وأخيرا تمكن الثوار في الجبل الغربي من السيطرة على معبر وازن عند الحدود التونسية المؤدي إلى منفذ ذهيبة بتونس.

وفي مصراتة كتائب القذافي تمنع الفلاحين من نقل منتجاتهم من مزارعهم جنوب الطريق الساحلي إلى مدينة مصراتة، وتقوم بقتل الحيوانات من أبقار وأغنام، وتجرف المزارع وتستهدف مخازن الأغذية ومصنع الحليب وجميع مصادر الدعم والتمويل للثوار والمقاومين.

مصراتة صمود تاريخي، والثوار في المناطق الأخرى المحررة يرسلون المقاتلين للمدينة، وعدد الضحايا تجاوز الألف قتيل وثلاثة آلاف جريح منذ بداية المعارك، ونحن الآن في منتصف شهر إبريل.

واستشعر "القذافي" أن قواته تتراجع، وأن المعارك ليست في صالحه، وأعلن أنه سينسحب من مصراتة؛ وهو ما زال موجوداً بكامل قواته بمناطق الغيران والدافنية وشرق مصراتة.

وفي طرابلس الملاحقات والاعتقالات ما زالت مستمرة وخاصة مناطق تاجوراء وسوق الجمعة وفشلوم، والشوارع والمدارس تغلق، وملاحقات كبيرة للمدرسات والمدرسيين والطلبة، ورفع رايات الاستقلال بتحدٍ كبيرٍ ما زال مستمراً وهتافات وخروج الموالبين للقذافي ضد مناطق تاجوراء وسوق الجمعة، وإشارات في الإذاعة ضدهما، وتحريض من التلفزيون الرسمي للقذافي لإثارة الفتنة بين هاتين المنطقتين من جهة ومناطق محسوبة على النظام من جهة أخرى وصل إلى درجة أن أحد إعلاميي النظام المخضرمين أشار في التلفزيون إلى أنه أوقف مجموعات من المؤكد أنها مسلحة كانت ترغب في اقتحام منطقة سوق الجمعة في تهديد مبطَّن بأنه من الممكن فعل ذلك. على الرغم من أنه لا توجد منطقة في طرابلس أو ليبيا كلها تخلو من الثوار

والشهداء الذين ضحوا بدمائهم في سبيل الخلاص من الظلم والديكتاتورية.

وازداد طابور البنزين طولاً حتى امتد إلى أكثر من 3 كيلو مترات ولأكثر من 400 سيارة، وازداد عدد المسلحين التابعين للقذافي زيادةً كبيرةً في طرابلس وهم يقترفون العديد من الجرائم البسيطة منها كالضرب والسب، والأخرى كالقتل دون أي رادع وفي جو من العناد والغطرسة وانعدام القانون يفعلون ما يشاؤون دون حسيب أو رقيب، فبالأمس القريب تم قتل شخصيين في محطة وقود دخلتها سيارتان من كتائب القذافي ترغب في ملء البنزين لسياراتهم وتعبئة الحاويات البلاستكية سعة العشرين لتراً المحملة بها، وعندما وجدت المحطة مزدحمة قاموا بكسر زجاج السيارات القريبة من مكان التعبئة، وحال تدخل أصحاب المحطة بنهيهم عن ذلك وإفساح الطريق لهم للتعبئة قاموا برمي الرصاص عليهم وغادروا المحطة والكل يتفرج، وهذه الحوادث تكررت كثيراً سواء في محطات الوقود أو أثناء المشاجرات أو التفتيش؛ لأن عناصر الكتائب شباب متهور سكران؛ وقد يفعلون أي شيء.

بنهاية إبريل وفي الثلاثين منه اجتمع ملتقى عام ضم قبائل طوق غرب وجنوب طرابلس، قالوا إنهم التقوا لوضع خطة استراتيجية للدفاع عن أرضهم ضد الأطلسي، وحضر الاجتماع عدد من القبائل الليبية الأخرى، ورفعوا في هذا الملتقى لافتات كُتب عليها "الله ومعمر وليبيا وبس" ولعل هذه المقولة هي من صلب هذه الاستراتيجية، فهم يدينون

بالولاء له كرمز لا يجوز المساس به ودونه الموت، وهم - على أية حال - ممن ولّاهم النظام أعياناً لهذه القبائل، ويواكبون المرحلة، ولا أجزم أنهم يمثلون قبائلهم، فالاستعمار والأنظمة الديكتاتورية دائماً ما يوظفون القبائل لأغراضهم وبما يخدم مصالحهم في محاولة لإظهار ولاء القبائل لهم خاصةً في المجتمعات القبلية مثل المجتمع الليبي.

كما نُظم بالأمس مهرجان خطابي التقى فيه بعض الكتّاب والأدباء والفنانين تأيداً لمعمر "الخط الأحمر" كما يصفونه، وهم أقل حتى من أن يخط أسماؤهم قلمي في هذا الأوان، وأخجل من التعليق على مهرجانهم هذا لأنهم لم يخجلوا من وصف أنفسهم بالكتّاب أو الأدباء والفنانين.

وتلى مؤتمر قبائل طوق طرابلس مؤتمر آخر في السابع من مايو 2011 تحت مسمى مؤتمر قبائل ليبيا، وهو الأول من نوعه وقد خطط له ودفع به نظام القذافي كجزء من المناورات السياسية له، وأصدر هذا المؤتمر بياناً بالعفو العام عن كل من تورط في حمل السلاح، وأكد سعيه لإيجاد حل يحقن الدماء وسوف يقبل نظام القذافي بأية حلول يضعها أو يتوصل لها مع المعارضة، وله حق الاتصال مع الأطراف كافةً حتى الخارجية الداعمة للمعارضة أو الثوار.

ويتناقل البسطاء أن هذا المؤتمر جيد، وهم عقلاء البلد، ويمثل قبائلهم، ولكن الحقيقة إن هذا المؤتمر لن يُثمر شيئاً لأنه لم يوضح موقف هذه القبائل من تنحي القذافي؛ وهو الأمر الأساس الذي تطالب به المعارضة، وهو أيضاً الأمر نفسه الذي تعتبره هذه القبائل - وبدقة أكثر

هذا المؤتمر ـ خطاً أحمر. لذا فإن حواراتهم ستذهب جفاءً، وهم ببساطة ثم استغلالهم من قِبل النظام لكسب الوقت وكورقة يدفع بها أمام العالم وأمام بسطاء الداخل لا أكثر ولا أقل.

والحقيقة إن من نظموا وشاركوا في هذا المؤتمر هم كأسلافهم في المؤتمر السابق لم يخرجوا في يوم من الأيام عن المنهج الأيديولوجي الذي لقَّنهم إياه من يحاولون اليوم إنقاذه.

وهو الذي قال بعد هذا المؤتمر بأيام في كلمة صوتية رداً على قصف معسكر باب العزيزية إنه في مكان لا يمكن الوصول إليه إنه في قلوب الملايين على حدِّ وصفه، ومن المؤكد أنه يقصد هؤلاء وغيرهم الموالون له.

وعلى نفس الوثيرة عزف أحد الأزلام الكبار للنظام؛ أمين اللجنة الشعبية العامة أو رئيس الوزراء في مؤتمر صحفي قائلاً: إن النظام الليبي على استعداد للتفاوض مع أيٍّ كان، وعلى استعداد لوقف إطلاق النار متى ما تم الاتفاق على ذلك، ومن ضمن ما ذكره أن القذافي خارج الأمور التنفيذية منذ 1977؛ أي ليس له أية مسؤولية منذ ذلك التاريخ ، وهو بكلامه هذا يكذب على العالم والشعب الليبي.

وعند سؤاله عن الجهات التي يمكن التفاوض معها قال: مع القيادات الشعبية بالمناطق الشرقية، أو المجلس وذكر المجلس باحتشام، ووصفه أحد المحللين المعارضين بالبائس.

❁ ❁ ❁

استفاقة تركية روسية وزيارات دولية

رئيس وزراء تركيا أوردوغان يدعو القذافي إلى التنحي عن الحكم ويقول: إن الحل العسكري لا يحل الأزمة في ليبيا، فعلى القذافي الرحيل والانحناء لإرادة الشعب، ويعدُّ هذا استفاقةً متأخرةً لتركيا بعد أكثر من ثلاثة أشهر على الثورة الليبية وأوردوغان أخيراً يأس من "معمر" وأضاع وقت التحالف والليبيين في عرقلته للجهود السابقة.

ولكن؛ ومنذ هذا التاريخ بدأ الدور الإيجابي التركي بالنسبة لثورة السابع عشر من فبراير، وأضحى هناك إحساس بأن الجليد بدأ يذوب في العلاقات بين تركيا والمجلس الوطني.

وعقب هذا التطور صرّح وزير خارجية تركيا قائلاً في مؤتمر مع "مصطفى عبد الجليل" رئيس المجلس الوطني إن تركيا تعتبر المجلس الوطني ممثلاً شرعياً للشعب الليبي، ويعدُّ هذا تقدماً كبيراً، وهو موقف مشابه للاتحاد الأوروبي.

وأعربت تركيا عن استعدادها للمشاركة في بناء ليبيا.

تلى هذا الموقف التركي الجديد تصريح الرئيس الروسي بعد اجتماع دول الثماني الصناعية الذي قال فيه: من الأفضل للقذافي التنحي وروسيا لن توفر ملجأً له.

ونائب وزير الخارجية الروسي يزور بنغازي ويصرح أن "القذافي" فقد شرعيته منذ أن أطلق الرصاص على شعبه، وتعد هذه استفاقه

متأخرة جداً، وكما نقول نحن "صحَّ النوم" ولكنهم الروس هكذا يتفاعلون مع الأحداث ببطء شديد، وحسب المشهد الميداني أمامهم، وبعد ربطه بالقضايا العالمية كافةً مع الأطراف الدولية الفاعلة في العالم، وعلي أية حال فقد رحبت واشنطن وفرنسا على لسان_رئيسها "ساركوزي" وكذلك المجلس الوطني بالمبادرة الروسية.

وشهدت هذه الأيام وصول رئيس جمهورية جنوب إفريقيا للتوسط في حل الأزمة الليبية وإمكانية تنحي "القذافي" بعد أن أدرك أن لا حل إلا بتنحية، وكان في استقباله رفيق "معمر القذافي" وعضو القيادة "مصطفى الخروبي" وأيضاً بعض من مناصري النظام يحملون الأعلام الخضراء ويهتفون للقذافي ولبقائه، وأنه لن يتنحى ولا بديل عنه وما إلى ذلك، وبعد مقابلته للقذافي صرَّح الرئيس الجنوب إفريقي بقوله: إن القذافي يريد هدنةً لتنفيذ وقف إطلاق النار وللحل السياسي، وقال أيضاً إنه أصبح يخشى عل القذافي شخصياً، وإنه يرفض مغادرة البلاد وكانت هذه الزيارة هي النداء الأخير لرحيل القذافي.

أما عن الدول العربية؛ فها هو الأردن تعترف بالمجلس الوطني الانتقالي ممثلاً شرعياً ووحيداً للشعب الليبي، وهي ثاني دولة عربية بعد قطر تعترف بالمجلس.

أما الجزائر المتهمة بدعم "القذافي" خلال أحداث الثورة فقد روى أكثر من شاهد أن الطائرات الجزائرية شوهدت وهي تهبط في مطار طرابلس، فقد صرح وزير خارجيتها بأنه يتهم المغرب بتلفيق تهم للجزائر بدعم "القذافي" بالمرتزقة والسلاح كما أوحت بذلك اتصالات

مغربية أمريكية، وقال أيضاً إن الوضع في ليبيا قدَّم دعماً للإرهابيين بتسريب السلاح لهم، وهو محق في ذلك فالأحداث في ليبيا مضطربة جداً، والسلاح منتشر، والأطماع في الكسب فيه أكثر.

وها هو مسؤول الخارجية بالمكتب التنفيذي التابع للمجلس الانتقالي يقابل سفير الصين في قطر بعد أن أعلنت الصين أنها على استعداد لإجراء حوار مع المجلس والاتصال به، وتبع هذا اللقاء زيارة مسؤول صيني كبير إلى بنغازي واجتماعه مع رئيس المجلس وتصريحه بأن المجلس محاور قوي وشرعي وقام بزيارة بعض الاستثمارات الصينية في بنغازي.

وأيضاً وزير خارجية بريطانيا "وليام هج" يصل إلى بنغازي ويزور ساحة الحرية أمام المحكمة.

ورئيس السنغال "عبد الله واد" يصل في زيارة مميزة كأول رئيس إفريقي يزور بنغازي ويجتمع مع رئيس المجلس ويقول بشجاعة للقذافي عليك أن توقف القتال من جانب واحد عندها سأطلب من التحالف وقف القصف، وعليك أن لا تحلم بالعودة للحكم في ليبيا وسأساعدك في التنحي.

وعلى مستوى العلاقات الدولية مع المجلس فهي تزداد كل يوم والاعترافات والاتصالات والرغبة في فتح حوار معه لا تكفُّ بفضل الزيارات التي لم تتوقف لكل من "محمود جبريل" و"مصطفى عبد الجليل" للدول النافذة مثل لندن وباريس وواشنطن وإسطنبول، ومجهودات أعضائه وأعضاء المكتب التنفيذي، وأيضاً الدور الفاعل

لأقطاب المعارضة في الخارج الذين عملوا جميعاً كجبهة واحدة، ولهذا كان لها الدور الكبير لكسب المعركة السياسية، وحشد الدعم اللازم للثورة والثوار وأثمر عن سلسلة من الاعترافات؛ فها هي إسبانيا وأستراليا والإمارات وألمانيا وكندا وبنما والنمسا والصين والدنمارك وبولندا كل هذه الدول تعترف بالمجلس وتعتبره الممثل الوحيد للشعب الليبي وفي وقت متقارب.

في شهر يونيو 2011 وواشنطن تعتبر المجلس المحاور الشرعي، وليبيريا تقطع علاقاتها مع نظام القذافي، وإسبانيا تطرد السفير الليبي لديها.

لجنة الوساطة المكونة من 5 دول أعضاء في الاتحاد الإفريقي تجتمع في جنوب إفريقيا قامت بالاتصال بالمجلس وعرضت عليه بياناً ذكرت فيه أن "القذافي" وافق على عدم الاشتراك في الحوار مع المعارضة لإيجاد حل سياسي في ليبيا؛ بمعني أنه سيكون خارج الحل السياسي بخصوص ليبيا مع بقائه فيها ويبدو أن هذا النوع من الخداع السياسي لم ينطل على المجلس وكأنه يقول أنا باقٍ ولن أتفاوض معكم.

وقادة الاتحاد الإفريقي المجتمعون في غينيا الاستوائية لم يصلوا إلى حل توافقي فيما بينهم بخصوص الشأن الليبي؛ مما يدل على الانقسام الحاد حوله، وفي دلالة واضحة على الأداء المميز لوفد المجلس الوطني من خلال اجتماعاته الجانبية مع الوفود الأخرى حيث يبدو الوفد الرسمي لنظام القذافي برئاسة وزير الخارجية كالبائس يشعر

بالدونية وغياب ذلك الظهور المكابر، وكذلك الطلة المزركشة للقذافي في مثل هذه المؤتمرات، القذافي الذي بنى مجده الذي كان يدعمه بالدولار ويُعمي به أعين معظم الرؤساء الأفارقة، وأخفق القادة في التوصل إلى موقف واحد تجاه الحل في ليبيا.

كما اجتمعت مجموعة الاتصال حول ليبيا في روما بتاريخ 2011/5/5 وأقرت دعم المجلس الانتقالي وإنشاء صندوق بالخصوص ووضع آلية له، وصرح بعضٌ ممن حضروا الاجتماع أن 40% من قوات القذافي دُمرت، وأكدوا على وحدة ليبيا، ولم يأت أحدٌ على ذكر موضوع تسليح الثوار، وهذا لا يعني بالضرورة أنه غير موجود وخاصة في ظل الهدوء الذي ساد في الفترة الماضية وخاصةً في المنطقة الشرقية.

وبعد هذا الاجتماع، وفي إطار لملمة الخيوط الدولية، فما كادت تمرُّ عشرة أيام حتى تقدم "لويس مورينو أوكامبو" بطلب من قضاة محكمة الجنايات الدولية لإصدار مذكرة اعتقال لـ (معمر القذافي وسيف الإسلام وعبد الله السنوسي) رئيس المخابرات بعد ثبوت أدلة على ارتكابهم جرائم ضد الإنسانية.

❁❁❁

عودة إلى طرابلس

بعيداً عن الاجتماعات والسياسيين؛ وبالعودة إلى وصف الأجواء والمعارك الموازية التي يخوضها المدنيون في طرابلس وغيرها من المدن؛ فطرابلس الآن تعاني من نقص في المواد الغذائية والمياه وقفل معظم المحلات التجارية وهجرة العمالة وعودتها إلى بلدانها مما كان له الأثر الكبير والواضح على الحياة العامة من الخبز إلى الحلاقة أو المزارع وتربية الدواجن وإنتاج البيض والخضروات، وحتى الوجبات السريعة والمطاعم وتحولت إلى مدينة أشباح.

والتزم الناس بيوتهم في معظم الأوقات، والتحرك فيها مقتصراً على تلبية الاحتياجات، مع استثناء الثوار الذين كانوا يخرجون ليلاً أو نهاراً لتوزيع المناشير وتعليق أعلام الاستقلال والكتابة على الجدران، ودفع هؤلاء الثوار الثمن الباهض من تعذيب وقتل على أيدي كتائب القذافي، وكان للواشين المتطوعين واللجان الثورية الدور المؤثر في الكثير من الاعتقالات التي تمَّت.

إن بعض المدارس افتتحت صباحاً لتجد علم الاستقلال بدل العلم الأخضر معلقاً في السارية، وتجد جدرانها معرضاً لثورة السابع عشر من فبراير.

ومع ظهور أنباء عن حصول بعض الثوار على السلاح في طرابلس أصبحت هناك بوادر انتفاضة مسلحة فيها، فازدادت الاعتقالات،

وأصبح الخروج فيها ليلاً صعباً جداً، فقد تتعرض للإيقاف والاستجواب عن سبب خروجك، وتُسأل عن رأيك في الأوضاع، وتتعرض للإهانة والتوبيخ.

ومشاهد اعتقال لشباب رُبطت أيديهم خلفهم ومنبطحين على الأرض عند البوابات والحواجز التي تنشئها الدوريات الثابتة أو المتحركة وهم يستفزون المارة ويفتشون هواتفهم النقالة ويدققون في الهوية أو أيه أوراق أخرى، ويسألك أسئلة لا علاقة لك بها ويلح على الإجابة ؛ مررتُ على إحداها استفزني السأءل للغاية، وكان يعلق هيكلاً عظمياً لإنسان على صدره ونظارة سوداء وخواتم الفضة تملؤ يداه.

وسيارات الحرس الشعبي نوع تندرا تملؤ المناطق كافةً في شكل دوريات مستمرة، وبالأمس فرقت كتائب القذافي جنازة شهداء سوق الجمعة من عائلة قدورة الذين استهدفوا عناصر من كتائب القذافي بأسلحتهم وجرح أحدهم، وفي الصباح تمكنت الكتائب من الوصول إلى بيتهم وقامت بتصفيتهم فيه وأمام عائلاتهم.

ونحن في يوم الثلاثاء 2011/6/7 تعرضت طرابلس إلى قصف نهاري مكثف لأول مرة بهذه الكثافة منذ بدايته في مارس الماضي، ومع تصاعد هذا القصف تزداد أيضاً حركة الثوار بها وخاصة مناطق سوق الجمعة تاجوراء؛ فقد حدثت عدة اشتباكات بينهم وبين الكتائب وإطلاق النار يُسمع ليلاً في هذه المناطق ورفع علم الاستقلال في العديد من الأماكن على المباني والكباري واتُّبعت طرق معينة في عملية التنفيد؛ منها وضع علم الاستقلال في الفريزر (المجمِّد) بعد لفه

كالأنبوب بحيث لا تتضح معالمه ويبدو كالعصا عند إخراجه من المجمِّد ومن ثم وبسرعة تعلق تلك العصى بأحد الأماكن وعندما تشرق عليها الشمس يذوب الثلج وينفتح العلم ويرفرف في منظر يثير الذهول هذه الأيام والمتأمل يرى أن الشمس أبت إلا أن تشارك الثوار نضالهم، وهي تعلم أن الظلم والظلام لن يحجباها عن الشروق.

كما يُبث نشيد الاستقلال من خلال إذاعات الجوامع بطريقة فنية باستخدام كاسيتات وأجهزة تسجيل مما يفاجئ الأجهزة الأمنية للكتائب.

ووزعت أعداد كبيرة من المناشير التي تحرض على الثورة وهو عمل أشبه بالقتال على الجبهة أو يفوق، والظريف فيها أن الأطفال شاركوا فيها بكتاباتهم ورسومهم على قصاصات ورق صغيرة يرمون بها في الشوارع.

وليعلم إخواننا في الشرق أو في المدن المحررة أن هذه الأعمال الجهادية لم تكن سهلة على الإطلاق بالنظر إلى القبضة الأمنية الكبيرة التي تكاد تطال كل شارع وحتى كل زنقة في طرابلس. كما أن الثقة معدومة بين الناس؛ فلا تعلم من أين يأتيك الواشي أو القناص.

كان كل الثوار في طرابلس يخوضون حرباً لا أبالغ إذا قلت إنها تبدأ من النظرات المتبادلة مع الآخرين وهي الشيفرة التي تحدد بها عنوانك مع الثورة والحرية وأمل اليوم الموعود أم مع الطغيان والجهل والدكتاتورية.

وفي هذا الشهر وهو شهر يونيو 2011 ظهر "القذافي" عدّة مرات في كلمات صوتية أو على شاشة التلفزيون الليبي الرسمي في أول كلمة صوتية له قال إنه باقٍ في طرابلس حياً أو ميتاً وأننا لا نفكر في النصر، وما يهمنا هو أداء الواجب سواء انتصرنا أو انتحرن، وقال: أدعوكم إلى مليونية ـ ربع مليون ـ نصف مليون يتوجهون إلى الشرق والغرب ودون سلاح لتجريد العصابات من سلاحهم أمام العالم.

وهذا ربما سعياً منه لمخطط جديد أو ليضع الثوار في مواجهة مدنيين أو لاتخاذهم دروعاً بشرية.

وظهر على التلفزيون وهو يلعب الشطرنج مع رئيس الاتحاد الدولي للعبة، لعبة الموت.

وفي تصريح مفاجئ لسيف القذافي قال إنه على استعداد لإجراء انتخابات خلال ثلاثة أشهر تحت إشراف دولي، والمجلس يرفض ذلك، وواشنطن والتحالف بقيادة الناتو تعهدا باستمرار المهمة.

وفي حديث آخر لـ"القذافي" عبر كلمة صوتية أخرى توعد فيها بهزيمة العدوان الصليبي وقال: طز في الموت، وسنستفزهم حتى يضربوننا بالسلاح الذري.

وقال أيضاً: أعصابكم لا تتحمل مشاهدة الإذاعة الليبية يا خونة. وقال افتحوا الإذاعة الليبية يا كلاب ياخونة، وخاطب أتباعه قائلاً استعدوا لتحرير ليبيا شبراً شبراً.

وهو لم يخرج عن الخط المعتاد لحديثه في كلماته المتعددة التي يخاطب بها أتباعه المحتشدين في بعض المناطق والمدن كل مرَّة، ومن

المهم هنا إلقاء نظرة على هؤلاء المحتشدين من حيث النوعية وردود الأفعال والآراء التي يحملونها.

إنهم في الغالب ممن ينتمون إلى شريحة المغيَّبين وأصحاب اللاوعي، وممن تعرضوا لعملية غسيل دماغ مدروسة وفتاكة ويعتمدون في مواقفهم على أفكار ساذجة مغلوطة، وأقصى ما ترقى إليه أفكارهم أنهم يتقاضون مرتبات، أو أن هذا قائدهم وتعودوا عليه، وأن من تعرفه أفضل من غيره المجهول وأغلبهم يصدق الدعاية الإعلامية الكاذبة التي يبثها النظام عن الثوار والأفعال المُشينة التي يصورها لهم، وأنهم أحضروا الناتو الأجنبي لضرب بلادهم، ويأتي هذا نتيجة التجهيل الذي مارسه نظام القذافي على مدى سنوات طويلة والذي أعمى بصيرتهم ولم يعودوا يدركوا حقيقة الأمور، وإن القذافي هو السبب الحقيقي لدخول الناتو لأنه رفض الاستجابة لمطالب الشعب بتنحيه وتخليه عن قبضته، وهو على استعداد لقتلهم، وإن اللجوء إلى المجتمع الدولي والأمم المتحدة كان الملجأ الوحيد للمساعدة على إنقاذ الشعب وإنقاذ الآلاف من الموت المحقق، والقذافي كان يدرك ذلك ولكنه غير مستعد للتنازل عن أهدافه حتى لو تدخل مجلس الأمن وبالتالي الناتو، إذن هو المسؤول الأول عن ذلك، ومسؤول أيضاً عن آلاف القتلى الآن من الطرفين، الطرف الذي يدافع عن نفسه والذي خرج في مظاهرات سلمية وهدفهم الحرية والتخلص من نظام ظالم، والطرف الآخر المعتدي الذي هاجمهم بكل وحشية ولا هدف له سوى بقاء معمر؛ والفارق كبير بينهما.

وليس هذا فقط بل إن الطرف الذي يقاتل مع معمر جزءٌ كبيرٌ منهم مدفوعون إلى ذلك دفعاً، وهم تحت سلطة الأمر العسكري ويرتعدون من مجرد الكلام أو الحديث أو حتى الإشارة إلى عدم الرضى عن دورهم، و"معمر" لا يهمه من مات من الطرفين وقد أحكم وسيطر على تسيير العمليات في الاتجاه الذي يريد بالدعم الإعلامي والمالي والوعود والإغراءات والقبضة الأمنية المشددة من قبل النخبة الموالية له والجرعات الكبيرة من التنويم المغنطيسي السياسي، فهو لم يحاصر المدن فقط بل إن قواته محاصرة بالنخبة الذين يقفون وراء الخطوط لتصفية كل من يتهاون مع الثوار أو يحاول الفرار.

لقد دفع بأطفال لم يتخرجوا بعد من الثانوية العسكرية إلى الخطوط الأمامية للقتال ضد الثوار كرهاً من ثانوياتهم إلى الجبهة وتحت الحراسة، وللأسف مات العديد منهم تحت قصف الناتو، وبالعودة إلى المشاركين في هذه الحشود الذين أوضحت بعض أفكارهم وآراءهم المخجلة؛ فإن باقي المشاركين هم من جهات عديدة صدرت لهم الأوامر بالمشاركة وهم منظمون ويتبعون التعليمات التي تصدر عن مكتب الاتصال باللجان الثورية والقيادات الشعبية، وخروج "القذافي" في العديد من المرات هذا الشهر للحديث هو محاولة لإثبات الذات، وأنه مازال موجوداً؛ محاولاً إلقاء آخر جزرة بيده للغرب ولو في قالب تهديدي فارغ لعلها تصيب الهدف، فهو من النوع الذي لا ييأس ويتمسك ولو بقشة نظراً لجموحه الكبير للسطلة والزعامة، ويأتي هذا بعد شعوره بأن عصاه بدأت تتأكل بفعل تضحيات الثوار وشجاعتهم،

وحديثه عن الانتخابات ودعوته للغرب لمشاهدة التلفزيون الليبي لرؤية الآلاف ممن يؤيدونه لعلهم يدركون أنهم على خطأ، ودعوته لضرورة محاورة الليبيين عن طريق القبائل والمؤتمرات الشعبية، وأنه شخصياً لن يتدخل في ذلك، ودعوته المتكررة للمشاركين بالمسيرات إلى التوجه دون سلاح إلى مصراتة والجبل الغربي لتحريرهما كما يقول كلاماً يائساً لا أكثر ولا أقل، أما واقعياً فإن الأمور على الأرض تسوء أكثر ففي العاصمة طرابلس محطات البنزين تسيِّرها قوات من الكتائب والشرطة والمرور وسط فوضى عارمة وحوادث قتل نتيجة المناوشات والزحام والأولوية والبلطجة التي يظهرها بعض الأفراد.

وفي جوٍّ من المهانة من قبل أفراد من الشرطة والكتائب تشعر معه بالخذلان، وفي صراعك مع ذلك قد تلجأ إلى الأسف لما يحدث أمامك لتصد به قدراً ولو قليلاً من الإذلال الذي سيتملكك بمجرد مشاهدتك للعسكري أو الشرطي وهو يشير إليك بالعصا التي يمسكها بيده ليأمرك بالتقدم بسيارتك أو التوقف وأنت المواطن المحترم، ناهيك عن الشتائم والكلام البديئ الذي يتناها إلى أسماعك.

ومن جهة أخرى فإن أولئك الأفراد من الكتائب وغيرهم أصبحوا يستقلون سيارات مرسيديس حديثة وفاخرة يركبها عادة ثلاثة أفراد أو أربعة بزي عسكري صاعقة مسلحين وموزعين على الميادين والتقاطعات في معظم أنحاء طرابلس.

وأعداد ذوي البشرة السوداء في ازدياد، وهم يتكلمون بلهجات إفريقية قريبة إلى العربية، وهم على أية حال ليسوا من الساحل الشمالي

الليبي، ولا هم من أهل فزان الأصليين، والأقرب أنهم تشاديون توارق أو من النيجر يتجولون في طرابلس، ومن المؤكد أن ليبيا آن لها أن تزيح عنها أولئك الأغراب ومن جلبهم. واليوم الخميس، وبأمر من القذافي شخصياً تم تعميم منشور على الجوامع كافةً بأداء صلاة الجمعة ليوم الغد في ميدان الشهداء أو الساحة الخضراء حسب مسمى النظام بدلاً من المساجد، وقد عُمم هذا المنشور من قِبل مكاتب الأوقاف وعُلِّق على أبواب المساجد كافةً، وأفتى الشيخ الصادق الغرياني بصلاة الظهر في المنازل بدلاً من صلاة الجمعة في الساحة، ولا يجوز الذهاب للصلاة بالميدان أو الساحة لأنه فيها ضرر عام.

وفي اليوم التالي الجمعة 2011/7/8 اليوم المحدد لصلاة الجمعة في ميدان الشهداء ذهبتُ إلى الصلاة في المسجد المجاور ولم أعر أي اهتمام للصلاة في الميدان ولا من هو خطيبها أو عما تحدث لأني تشرَّبت من النظام ما يكفي لأعلم تمام القين موضوع الخطبة دون أي إجهاد في التفكير، وآثرت الكتابة عن خطبة الجمعة بالمسجد الذي أديت فيه الصلاة.

لقد تغيَّب الخطيب المعتاد للمسجد، ولا أدري لماذا؟! ولا أرغب في اتهامه بالذهاب للصلاة في الساحة لأن الذهاب للصلاة فيها اليوم يعُد تهمةً ووصمة عار وخذلان على جبين من قام بذلك.

وتقدم بدلاً منه أحد الجيران ليؤم المصلين بالمسجد، وكدت أدعوه المجاهد وليس الشيخ أو الإمام لأنه اتخذ موقفاً شجاعاً وألقى خطبة الجمعة بكل ثبات وعزيمة، وتحدث فيها عن المقاومة والجهر بالحق

والصبر والجهاد، وذكّرني بأستاذي عبد الباسط في حصة الدين سنة 1976 عندما حدثنا أن أعظم الجهاد عند الله كلمة حق في وجه سلطان جائر في أحداث 7 إبريل في ذلك الأوان، وها هو الشيخ المجاهد يكررها الآن ويقول من على المنبر وفي هذا التوقيت إن أعظم الجهاد عند الله كلمة حق في وجه سلطان جائر.

والمفارقة التي هي كالفرق بين الحق والباطل أن أتباع القذافي ممن باعوا ضمائرهم يقيمون صلاة الجمعة في ميدان الشهداء (الساحة الخضراء) بمنتهى الرياء والنفاق، يلبسون الأخضر، ويحملون صور معبودهم البشري، يصلون للباطل للقتل للإجرام، ولن أنسى ذلك المنافق الذي وضع أمامه صورة معمر الكبيرة موضع السجادة وصلى عليها راكعاً وساجداً.

إن الحياة في طرابلس أضحت معاناةً، فالوضع الغذائي في خطر ويعتمد اعتمادًا أساسياً على تونس، والأسعار الآن ثلاثة أضعاف ما كانت عليه، وإذا ما تم قفل طريق تونس طرابلس ربما ستُضرب في عشرة.

إن مَن أمِن العقوبة أساء الأدب؛ هذا ما ينطبق على الناس في طرابلس الآن؛ فلا وجود للدولة في جانبها الأمني ودورها في حماية المواطن وفرض الأمن.

فالأمن غائب في كل مكان سواءٌ في الشوارع أو الميادين والأسواق، بل حتى البيوت غير آمنة، وأصبحت العائلات مهددة ومشاهد العنف والشجار والسب والشتائم وحتى القتل تطال أي مواطن، وأصبح

الوضع كما نقول (نفسك نفسك) وحتى النساء والبنات لم يُحترمن ويُتعرضن للسب والتحرش من قبل شباب غاية في انعدام الأخلاق دونما رادع أو تدخل من أحد للخوف من ردَّة الفعل، وتبدوا المدينة وخاصةً في وسطها في حالة فوضى أمنية، والتزام البيت للعائلات هو أفضل الحلول، وهذا المثل نضعه أمام الموالين للقذافي وللنظام لعلهم يستفيقون من نومهم، فالثوار لم يصلوا طرابلس بعدُ، وهي ما زالت تحت سطوة القذافي، فهل عجز هذا النظام الذي يحارب الثوار في العديد من الجبهات ويصرف الملايين لمواجهتهم عسكرياً وإعلامياً على حماية المدنيين وضمان أمن السكان في طرابلس.

ومع اقتراب نهاية يوليو (7) 2011 وشهر رمضان المبارك على الأبواب أشعر أن الناس ترغب وتأمل في إنهاء نظام القذافي خلال شهر رمضان، ويتحدثون عن بداية هذا الشهر ويقولون إنهم سيصومون في التاريخ الذي يحدده المجلس الوطني، ويقولون سنصوم مع بنغازي ومصراتة والجبل الغربي.

فمشاعر الناس هنا في طرابلس جياشة ومُرهفة إلى كل ما يشدُّهم إلى استمرار الثورة والتعلُّق بها، وأنا شخصياً لا أرغب في نسيان أحداث الأيام الأولى للثورة، وهي الأيام من 17 فبراير وحتى نهاية الشهر تقريباً التي كنا نشعر فيها بالعار والخزي من تواجدنا في بيوتنا أمام زوجاتنا وبناتنا وإخواتنا وعدم الخروج إلى المظاهرات القاتلة، وكم هي لحظات رائعة أن تلحظ وترى الدفع للخروج من قبل الأم لأبنائها وزوجها؛ مع شعورك وأنت تهم بالخروج أن حب ليبيا ودافع

التحدي اجتمعا في لحظة غريبة عبَّرت عنها المشاعر الشجاعة للأم وهي تدفعك للخروج وفي داخل عينيها دعوات تطال السماء للعودة بسلام.

طوبى لكِ ليبيا، كم ملكتِ من حبٍّ في قلوب أبنائك فها هم الثوار يتقدمون منذ حوالي خمسة أشهر من انطلاق الثورة على كل الجبهات، وطال الزمن أم قصر سيسقط "القذافي" وسيسقط نظامه،ولكن أرى أن الأهم الآن هو ما بعد القذافي؛ فالمؤشرات لا تنبئ بالخير، وهناك خوف على الثورة من القبلية وبعض التوجهات الحزبية والخلافات في الآراء، وهو ما يبدو لي منذ الآن والحقيقة البادية أن السبب في ذلك يرجع إلى أننا لا نتقن لغة الحوار، ولا نحترم الرأي الآخر؛ مما يعني أننا بكل بساطة مصابون بشيء لا يمكن قبوله، بل يتوجب علينا محاربته، وهذا ـ سواءٌ علمنا أم لم نعلم ـ أحد الأمراض التي زرعها القذافي في المجتمع الليبي ، ومن أولوياتنا التي يجب أن نقوم بها بعد الثورة هي القضاء على هذا المرض بالتوعية والدعوة إلى الخير والإصلاح بالحسنى ونبذ الفرقة، والصبر على بعضنا البعض حتى تنطلق سفينة الديمقراطية والحرية بأمن وسلام إلى ما شاء الله.

ومن جديد شهد هذا الشهر كماً آخر من الكلمات الصوتية والتلفزيونية من "القذافي" وابنه "سيف الإسلام" ففي تصريح لـ"سيف" قال إن أبي لم يغادر ليبيا، ولن يكون هناك حلٌّ بدونه وإن غارات الناتو لن تنجح في الإطاحة بوالده، وأضاف قائلاً: إننا مستعدون للانتخابات وللديمقراطية.

وفي كلمة أخرى بقاعة فندق كورنتيا بطرابلس الابن أيضاً تحدث إلى مجموعة من مدينة تاورغاء حضروا إلى طرابلس لمقابلته قائلاً لهم إن من خرج للقتال هم خوارج وليسوا مسلمين وهم مثل الذين قتلوا سيدنا "علي" ومنهم مجموعات أخرجناهم وأنقذناهم من حبل المشنقة ومن السجن المؤبد.

وقال: إن هناك أقساماً من الشعب الليبي، وإن القسم الذي وقف ضدنا وهم الأغنياء والتجار والوجهاء والمشائخ والمسؤولون السابقون حاربونا وسنحاسبهم بعد أن نعود.

وقال أيضاً: إن أرواحاً كثيرة ضاعت، وأنا كل يوم في عزاء وكرر: دماءٌ كثيرةٌ أزهقت من أجل ليبيا القذافي دون أن يعلم بأنه وضع يده على الجرح لأن من ثار ضد القذافي هو في الحقيقة ثار ضد مبدأ الرمز والفردية ثار من أجل ليبيا لليبين ولنخلصها من الفرد وألمح بلغة الهمس والإشارة إلى ما يقال عن تاورغاء، وهي المدينة السمراء المجاورة لمدينة مصراتة.

وهاهو "سيف" مرة أخرى وفي كلمة وسط مجموعة من النازحين من المناطق الشرقية تحدث عن المعارضة واصفا اياهم بأنهم خوارج ومضيفا أنهم هم من أخرجوكم من دياركم وبيوتكم ووجب قتلهم، وهم قلة يقومون بأعمال إعدام وقطع رؤوس وأيدي، وقرأ عليهم منشوراً قال إنه وُزع في بنغازي يتكلم عن الغرابة (سكان الغرب الليبي) وأنهم من بداية منطقة بن جواد (وسط الشمال) وينعتهم - أي هذا المنشور- بأوصاف غير لائقة مما يثير الفتنة ويؤجج الفرقة بين الشرق

والغرب و يغذى نعرات الكره في النفوس الضعيفة، وما كان له أن يقرأه لأنه إن صح فإنه بالتأكيد لا يعبِّر عن أهل الشرق، وقال أيضاً نحن لن نتوقف عن القتال حتى لو توقف الناتو، ونحن لن نتوقف حتى لو كان تفنى ليبيا كلها ...!!!

واستدرك قائلاً في مشهد قريب إلى التراجع لن نتوقف حتى تعودوا إلى بيوتكم ومزارعكم وحتى تحرير ليبيا، وهو كلام ينم على سوء تقدير وتدبدب في المسلك السياسي.

هذا عن الابن؛ أما الأب فقد تحدَّث هذا الشهر في خمس مناسبات أو أكثر منها واحدة موجَّهة إلى الشعب المصري، وأردف فيها الدموع على "حسني مبارك" وقال إنه فقير ومتواضع ويحبكم ويشحت مني لكم ...!!!

أما المناسبات الأخرى فكانت في:

2011/7/8 بكلمة صوتية موجهة إلى مسيرة في سبها.

2011/7/15 بكلمة صوتية موجهة إلى مسيرة في زليطن.

2011/7/21 بكلمة صوتية موجهة إلى مسيرة في سرت.

2011/7/27 بكلمة صوتية موجهة إلى مسيرة في أبو سليم طرابلس وكلمات أخرى إلى العجلات والزاوية التي بدا واضحاً أن من خاطبهم فيها ليسوا منها.

وملخص هذه الكلمات معظمها بسيط ومكرر، تحدث لمسيرة سبها مهدداً أوروبا وقال: ـ نحن الليبيين ـ سنتحول إلى انتحاريين وننقل الحرب إلى أوروبا ، وإننا سنعطيهم فرصة، وإن نظامه لن يسقط، ويدعو

الحلف الأطلسي إلى إيقاف ضرباته، ومدح فيها سبها التي انطلقت منها ثورة الفاتح في غرة سبتمبر (9) 1969، وكرر كلمة الجماهير، وقال نحن لا نتنازل ونحب الموت وقال موجهاً كلامه لأوروبا يجب أن تستباح بيوتهم ونساؤهم كما تستباح هنا دون الإشارة إلى الطرف الذي يستبيح البيوت والنساء هنا، وفي زليتن قال إن اعتراف الغرب بالمجلس سندوسه بأقدامنا، وأن لا أحد يمثل الليبيين، وفي سرت وهي المدينة الأقرب إلى مصراتة من ناحية الشرق قال كلمة مثيرة يُستشف منها الكثير؛ قال لهم ليس من المعقول أن لا تستطيعوا تطهير مصراتة، اجمعوا بعضكم مع العقلاء منكم وازحفوا على مصراتة، ضحوا بباقي أعماركم وموتوا من أجل مصراتة، وقال هل ستحيون دائماً ؟!

ومن الغريب أنه فضَّل تدمير ليبيا وقتل الليبيين على التضحية بكرسيه طالباً منهم التضحية بباقي أعمارهم لأجله، إن دعوته لهم بالموت من أجل مصراتة وتطهيرها ممن يقول إنهم أعداء وعملاء ينطوي عن استهتاره بحياة البشر أياً كانت الطريقة التي سيموتون بها، وتساؤله بالقول "مش معقول لا تستطيعوا تطهير مصراتة" دليل على أنه في حالة صدمة وذهول مما تلقاه من أبناء مصراتة الثوار، وإلى أبو سليم بطرابلس تحدث عن التحدي والزحف والصليبين، ولم تخرج كلمته عن المعتاد ويُستدل منها على إفلاسه وقرب نهايته.

وليبيا الآن تتخبط بين الدكتاتورية والفوضى وانعدام الأخلاق والذي لا يعلمه الكثيرون أن الديكتاتورية أنواع؛ منها ما تأتي على شكل قوانين وإجراءات تكرَّس ويتقبلها الناس عنوة ومن تم يتعودون عليها وعلى

رموزها أصحاب الحق المطلق في أية إضافات أو تعديل على تلك القوانين.

وهناك أنواع أخرى من الدكتاتورية تعتبر النوع السالف الذكر فيه الكثير من الحقوق للناس لا يمكن التنازل عنها وإعطائها لهم لذا فإنهم يعتمدون في ديكتاتوريتهم على حصر كل شيء في شخص الرمز القائد وأدوار أخرى مكملة لأعوانه وعائلته دون التكلف حتى بوضع قوانين أساسية لنظام الحكم والاكتفاء بإجراءات معيَّنة لتسيير أمور الناس كحد أدنى لحياتهم قد نطلق عليها اسم قوانين، ويحيا الناس في ظل هذا النوع من الدكتاتورية في تخبط وتتنازعهم الرغبة في الانتقام من بعضهم البعض كردَّة فعل تجاه حياتهم البائسة والفساد المستشري فيها.

وهذا هو الوضع الليبي الحالي، لذا فإن ثورة 17 فبراير ليست من أجل الحرية والديمقراطية فقط؛ بل لإعادة بناء مجتمع سليم.

والأنظمة الديكتاتورية تتحدث عن نفسها فقط؛ ما علينا سوى بعض التركيز وشيء من التحليل البسيط، فهي تعتمد في علاقات الأفراد المنضويين تحتها على مبدأ التسيد؛ أي أن كل سيد له سيد وتتدرج هذه العلاقة إلى أن تصل إلى مستوى المعتقد الراسخ في عقيدتهم الدكتاتورية، وهو السيد الرمز القائد الذي لا يُرد له شيء، وهذا ما بدا واضحاً جداً من خلال الحديث الذي توجه به أحد الإعلامين المخضرمين التابعين للنظام من خلال التلفزيون الرسمي للقذافي مخاطباً بعض المسؤولين في النظام مهدداً إياهم بمن هم أعلى منهم في إشارة إلى عدم استجابتهم بالشكل المطلوب لدعواته، وهدد أخيراً

باللجوء إلى القائد الأسد الذي يندحر في عرينة كل السادة، ومدح معمر القذافي ووصفه بالكبير الذي ليس هناك من هو أكبر منه إلا الله متناسياً الرسول العظيم سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ سيد الخلق.

وما يدعو للدهشة والحيرة أن الكثير من عامة الناس السدج والبسطاء يصدقون أن الناتو قام بقصف مصنع الألبان ومدرسة قرآنية أو مستوصف صحي، في حين أن الواقع يؤكد أن نظام القذافي لم يتورع عن ارتكاب حماقات من أجل بقائه بما في ذلك اتخاذ هذه المقرات والأماكن كمواقع عسكرية ومخازن ومقر لقياداته.

لقد استطاع النظام وضع خطة لمعركة أستطيع تسميتها معركة شراء النفوس وسيراً وراء الثقافة المتدنية التي تدفع نحو المصالح الشخصية الضيقة، فقد أقر النظام حملةً في هذه الظروف القاسية أغرق من خلالها الجمعيات الاستهلاكية بالبضائع حتى تلك التي لم توفرها الجمعيات سابقاً، وليس هذا فقط ؛ بل وبأسعار تصل إلى نصف ثمنها السابق، مصدرها التجار، ولم يقتصر بيع هذه المواد على الجمعيات فقط، بل تعداه إلى بيعها في الأسواق الخاصة المعروفة بأسعار مغرية تصل إلى نصف الثمن كما هو في الجمعيات، ويأتي هذا باتفاق واضح بين النظام وبعض التجار الذين لم يتضرروا وتقاضوا الفارق في السعر من الدولة أو النظام وكذلك الحال بالنسبة لمحلات الدواجن.

وتعد هذه الخطة من الخطط التي استخدم فيها النظام المال وهو أحد الأسلحة التي تمتلكها الدولة الآن لاستعمالها في شراء ولاء الناس وجعلهم سنداً له لدعمهم كي يُكتب له البقاء، وبعدها لكل حادث

حديث؛ وكأني به يلقي بكل أسلحته في هذه المعركة، فهذا دليل على خوفه واضطرابه وهذا السلاح لم يستخدم في هذا المجال فقط بل أيضاً على مستوى فتح القروض للشباب، وكانت فرصة للكثير من الشباب للحصول على قروض، وأيضاً المنح المالية المجانية التي صُرفت لكل عائلة، وكانت على هيئة مبلغ مالي نقدي قدره 500 دينار ليبي تقاضتها العائلات فرِحةً بها وشاهدتُ أحد الأفراد الذين تقاضوا هذا المبلغ يخرج من المصرف (البنك) وهو يهز بالخمسمائة دينار ويقول ـ الفاتح ـ الكلمة التي يهتف بها أنصار النظام، وفي الوقت ذاته فإن الكثيرين لم يتقدموا للحصول عليها لعدم قناعتهم بذلك، وهذه الأمور للأسف تنطلي على المواطن العادي بحيث تكون ردَّة فعله بكل بساطة الفرح والابتهاج بل الثناء على النظام الذي وفَّر له كل هذا دون أن يعلم أنه يُشترى بماله.

❁ ❁ ❁

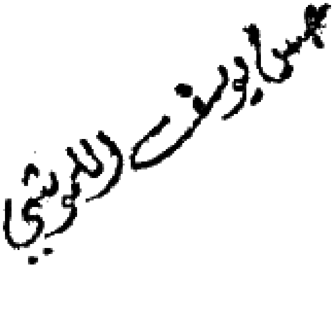

مقتل اللواء عبد الفتاح

وفي جانب آخر على مستوى الجبهات؛ فإن ثوار مصراتة على بعد 7 كيلو مترات من مركز مدينة زليطن غرب مصراتة، وفي كل يوم يسقط قتلى وجرحى كما هو الحال بفعل صواريخ جراد التي تطلق على مصراتة من كتائب القذافي.

وفي الشرق معارك على مشارف البريقة المدينة النفطية الواقعة وسط ليبيا وإلى الشرق من سرت بعد أن شنَّ الثوار هجوماً عليها بعد طول انتظار، وتمت السيطرة على منطقة الأربعين لمنع سقوط الصواريخ على إجدابيا، وانسحاب المعتصم بن القذافي إلى سرت، وكان هذا في منتصف شهر (يوليو 7-2011) وفي تصريح لرئيس أركان جيش التحرير الوطني اللواء "عبد الفتاح يونس" قال إنه لا يستبعد استخدام القذافي للغازات لحماية البريقة، وإنه قد يقوم بحفر خندق حولها مليئ بالوقود لحرقه عند اللزوم، وصرَّح الناطق باسم النظام قائلاً إن احتلال البريقة مستحيل إلا بالنووي، والحقيقة إن الألغام التي زرعتها كتائب القذافي في البريقة شكَّلت عائقاً كبيراً أمام تقدم الثوار؛ والتي بلغ عددها الآلاف على جانبي الطريق وداخل المنشآت النفطية.

وفي الخامس والعشرين من يونيو 2011 أكد اللواء "عبد الفتاح يونس" بالقول إننا سنحسم الوضع في البريقة قريباً وسندخلها والنصر

بات وشيكاً، وسنستمر إلى رأس لانوف (منطقة نفطية) وسرت والمدن الأخرى حتى نصل إلى طرابلس.

وشهدتْ هذه الفترة بيع العديد من الاستثمارات الليبية من فنادق وأراضٍ وشركات وغيرها لحاجة النظام للسيولة لملء جيوب النخبة من أنصاره وضمان سلامتهم وعائلاتهم دون أن تتخذ بعض الدول الموجود بها هذه الاستثمارات أي إجراء من أجل تجميد تلك الاستمارات والأصول رغم إلحاح المجلس الوطني علي ذلك.

وفي يوم الخميس 2011/7/28 جاء خبر مزعج للغاية ومؤثر ومثل ضربةٍ كبيرةٍ لثورة 17 فبراير إنه خبر مقتل اللواء "عبد الفتاح يونس" رئيس أركان جيش التحرير التابع للمجلس الوطني الانتقالي وقائد القوات الخاصة زمن معمر القذافي ولولا حكمة العقلاء ودافع الوطنية والولاء للثورة لكان تأثير مقتل "عبد الفتاح يونس" أشد مما كان، ولربما سبب إرباكاً للثورة، وحملت الأخبار أن "عبد الفتاح يونس" تم استدعاؤه من قبل المجلس الوطني أو جهة أخرى قضائية عسكرية للمثول أمامها للتحقيق معه في شأن عسكري له علاقة بالجبهة الشرقية في البريقة والمناطق الأخرى شرق سرت، وما تردد آنذاك من بطء وفتور بها ونقص في الذخيرة.

وبعد التحقيق معه ومغادرته مقر اللجنة القضائية التي حققت معه تم اغتياله من قبل مجموعة مسلحة وقُتل معه اثنان من مرافقيه، وتم إعلان الحداد لمدة ثلاثة أيام من قبل المجلس وهناك غموض كبير وتساؤل عن عملية الاغتيال من حيث الأسباب والمنفِّذ والجهة التي دعمت

العملية، وظهرت بعض الأخبار غير المؤكدة أن عملية اغتياله تمت لأسباب قديمة ذات علاقة بالمواجهات التي تمَّت مع الإسلاميين عندما كان "عبد الفتاح" قائداً للقوات الخاصة زمن "القذافي" ودفن اللواء "عبد الفتاح" ورفيقيه في جنازة مهيبة في مدينة بنغازي اليوم الجمعة 29/ 7 / 2011 ، وبرزت أخبار بأن اللجنة القضائية قد برأته وتم اغتياله أثناء توجهه إلى بيته، ووجدتْ جثته في وادي القطارة بعد ساعات، وتم تشكيل لجنة للتحقيق في اغتياله ورفيقيه، ونفى بعض أعضاء المجلس أن يكون للثوار علاقة باغتيال "عبد الفتاح" وتساءل رئيس المجلس الوطني قائلاً: لماذا لم يحموا المقبوض عليه في إشارة إلى من تم تكليفهم لجلبه للتحقيق، وكأني به اغتيل قبل وصوله للجنة، فكيف يتوافق تبرئته من اللجنة القضائية وخروجه منها مع كلمة المقبوض عليه؟! وإلا لقال لماذا لم يحموه حراسة مثلاً، وأكرر إن العملية يكتنفها الكثير من الغموض.

وفي طرابلس ووسط هذه الأجواء الحزينة والمؤثرة لمقتل اللواء "عبد الفتاح" ودفنه أذيع في فضائية ليبيا لكل الأحرار وباتصال مع مراسلهم في بنغازي خبراً يحذر من خطة أعدها نظام القذافي في طرابلس ليتم تنفيذها غداً السبت بخروج عناصر أمنية تابعة له في مظاهرة لإيهام الشباب بالخروج ضدَّ القذافي ومن ثم القبض عليهم أو القضاء عليهم، وقد أعدت هذه الخطة لإجهاض أية تحرك في طرابلس مستقبلاً، ولوضع الثوار في طرابلس في شكٍّ مستمر من المشاركة في مثل تلك الأحداث أو المظاهرات وتم تحذير شباب طرابلس منها،

وهي خطة بسلاح ذي حدين ولربما أفصح عنها واضعها، أي أن جزءاً من الخطة الإفصاح عنها ، ففي كل الأحوال يتحقق الغرض.

وعلى المستوى السياسي لرؤساء الدول؛ ها هو رئيس جمهورية جنوب إفريقيا في زيارة إلى روسيا لعرض المبادرة الإفريقية في الاجتماع المنعقد بين روسيا ومندوبي دول حلف الناتو التسع والعشرين للتشاور حول الشأن الليبي الذي ظلّ محل خلاف حتى الآن بين روسيا وحلف الأطلسي، وعقب هذا الاجتماع بحوالي عشرة أيام صرّح الموفد الروسي إلى القذافي بالقول إن "القذافي" أعد خطة انتحارية قد تدمر طرابلس إذا ما هاجمها الثوار أو دخلوها، وأظن أنها فرقعة إعلامية روسية.

فروسيا ما زالت على موقفها الضبابي، وهي مصنفة ضد ثورة 17 فبراير حتى الأن وترفض المشاركة في اجتماع مجموعة الاتصال الخاصة بالشأن الليبي في تركيا الذي تم التأكيد فيه على أن وقف إطلاق النار في ليبيا يجب أن يكون متبوعاً برحيل "القذافي" وهو أول اجتماع شاركت فيه أكثر من أربعين دولة في غياب روسيا والصين، وتقدم فيه المجلس الوطني الانتقالي في ليبيا بخارطة طريق تتضمن اتفاقاً وطنياً على الرؤية السياسية العامة للمجلس لفترة ما بعد "القذافي" والخطوات المأمولة في اتجاه الديمقراطية؛ من دستور وانتخابات وما إلى ذلك، وصدر بيان عن هذا الاجتماع أقر بأن المجلس الانتقالي الليبي يمثل سلطة حكومية شرعية، وهو الذي نال أيضاً اعتراف الولايات المتحدة الأمريكية ممثلاً شرعياً للشعب الليبي.

وفي كلمة للشيخ "عبد الله بن زايد" وزير خارجية دولة الإمارات المشاركة في هذا الاجتماع قال: لابد أن نذكِّر أنفسنا لماذا نحن هنا، وأردف قائلاً: نحن هنا لأن "القذافي" قرر قتل شعبه بالطائرات والمدفعية والصواريخ، وجلب المرتزقة لقتلهم ولابد من دعم الليبيين لحياة أفضل وللتمتع بخيرات بلادهم وتعهدت المجموعة بتقديم 200 مليون دولار للمجلس الوطني وتقرر أن يكون الاجتماع القادم للمجموعة في نيويورك، وعقب انتهاء اجتماع تركيا صرّح الرئيس الروسي مدفيدف قائلاً إن إمكانية الوصول إلى حل في ليبيا مزال ممكناً، ويقصد بالحل الحل الوسط وروسيا رفضت الاعتراف بالمجلس الوطني الانتقالي بل واعتبرت أن اعتراف أمريكا والغرب به انحياز لطرف معين في حرب أهلية !!

ونظام القذافي رحّب بالموقف الروسي واعتبره متزناً، ولا مانع لديه من تدخل روسي لحل النزاع في ليبيا، وفي هذا السياق وإثر زيارة وزير خارجية "القذافي" إلى روسيا صرَّح قائلاً إن قضية رحيل "القذافي" ليست مطروحة للنقاش.

وفي أول يوم رمضان الموافق الأول من أغسطس (8) 2011 الشيخ القرضاوي يدعو المسلمين للدعاء للشعب الليبي.

ونظام القذفي استضاف مؤتمراً لمشائخ أحضرهم من مناطق عدّة من الوطن العربي والإسلامي لتقديم النصح للشباب والحث على طاعة ولي الأمر وعدم الاستعانة بالناتو، مشائخ لا يفهمون في السياسة، وهم لا فرق بينهم وبين المرتزقة، فهم الآن يقاتلون معه بالكلمة، وقصف

الناتو ما زال مستمراً وبشدة مع بداية شهر رمضان، وفي ليلة لا تُنسى تم قصف معسكرات بشرق طرابلس ومن جانب آخر فمعارك الجدران ما زالت مستمرة، وهي جزء من الثورة ، وفي ازدياد كل يوم في شتى مناطق طرابلس، وتتفاوت نسبتها من منطقة إلى أخرى، تلك النسبة التي باتت واضحة لكل الليبيين وخاصة في طرابلس وضواحيها.

حتى إن عمليات الشطب والتغيير تتكرر أكثر من مرة واحدة في الجملة الواحدة، وهي معركة أَعتبرها شرسة، وقد جنَّد لها النظام فرق مكافحة للقبض على المشتبه بهم، وجنَّد أيضاً فرقاً من العمال الأفارقة الدين كانوا يطلون الجدران.

ونحن في الأسبوع الثاني من شهر أغسطس2011/8 وفي شرق مصراتة يتمكن ثوار مصراتة من السيطرة على مدينة تاورغاء ويحررونها من كتائب القذافي، وما صاحب ذلك من نزوح سكانها إلى الشرق حتى وصلوا بنغازي، ومنها انتقل جزء منهم إلى طرابلس، وفي الغرب تمكن الثوار من العودة إلى الزاوية للمرة الثالثة، وكما يقولون الثالثة ثابتة، فها هي الزاوية هذه المدينة المجاهدة تعود من جديد، واليوم كل الناس الذين قابلتهم فرحين للغاية بتقدم الثوار في الزاوية وتحريرها، كذلك تحرير الثوار لمدينة غريان، وكذلك أخبار إيجابية عن تحرك ثوار ترهونة.

والناس في طرابلس يتهيؤون نفسياً لاستقبال الثوار القادمين، منهم من هو خائف، ومنهم فرحون مع حذر مما قد يترتب عليه دخول الثوار إلى طرابلس واشتباكهم مع الكتائب من خطر على العائلات والأطفال.

كما أن الحديث كثر بين الناس عن الموالين واللجان الثورية وغيرهم من المغرر بهم وما إذا سيتم الانتقام منهم وتعرضهم للقصاص، والناس في الزاوية تناولوا إفطارهم خارج بيوتهم فرحيين بالثوار، وتم قفل طريق طرابلس تونس في 2011/8/13.

ومع بداية الأسبوع الثالث من شهر 2011/8 والأحداث أصبحت تتوالى بشكل كبير وكثيف، فهذا الأسبوع شهد وصول عدد كبير من العائلات إلى طرابلس من الجبل الغربي والعزيزية والزاوية وعمليات الفرار بالجملة للموالين ورموز النظام إلى خارج البلاد، وخاصة مصر وتونس؛ وأبرزهم وزير داخلية النظام الذي وصل وعائلته إلى القاهرة، وآمر كتيبة ترهونة الأمنية ورئيس مكتب الاتصال باللجان الثورية، ومدير الاستثمارات بالمكتب، ورئيس أكاديمية الدراسات العليا، وغيرهم كُثر من الموظفين العامين الذين تقلدوا وظائف سيادية وما شابهها في نظام القذافي.

"محمود جبريل" رئيس المكتب التنفيذي التابع للمجلس يقول إن بنغازي بدأت الثورة وطرابلس سوف تنهيها، وقال إن "القذافي" لن يتنحي وإن كتائبه ومن يقاتل معه تعرضوا لآلة إعلامية وحشية وهو مُحق في تحليله، وعلى مستوى عالٍ من المعلومة والخبرة.

أما "البغدادي" رئيس وزراء القذافي وقد أرخى لحيته يقول ـ وبعد التسريبات الهاتفية التي أوقعت به مع مجهول لجلب جثث أطفال من المستشفيات لوضعها بين أنقاض الدمار في المواقع التي يتم قصفها من قبل الناتو لإيهام العالم والليبيين بأنهم قتلوهم وفي مكالمة أخرى مع

المعتصم بن القذافي لتصفية عائلة "عبد الرحمن شلقم" وثالثة فيها تحريض لأفراد كتائب القذافي على الاغتصاب في مدينة زوارة.

والتي على إثرها ربما يصبح مطلوباً لدى المحاكم. أعود وأقول ها هو يظهر اليوم ليقول حان الوقت لوقف القتال دون الإشارة إلى تنحي "القذافي" لتقول له المعارضة والثوار إن المباراة قد انتهت، وإننا في الزمن المبدد، وما النصر إلى صبر ساعة.

والأحد ليلاً 2011/8/14 يوجه القذافي كلمة إلى مواليه من الساحة الخضراء (ميدان الشهداء) ويدعوهم للقتال ضد الخونة وضد الناتو، ويطالبهم بتطهير ليبيا، وتنظيم مسيرة مليونية والثوار على مرمى حجر من طرابلس، وقال ستنتهي الرجعية، وسيبقى الفاتح.

واليوم الجمعة 2011/8/19 شهد انشقاق أو هروب أو تهريب "عبد السلام جلود" ولجوئه إلى الزنتان، وسلَّم نفسه للثوار وخرج من طرابلس بمساعدتهم، وقد يغادر إلى أوروبا عن طريق تونس، وبعد هذا الحصار لقوات القذافي من الشرق والغرب صار هناك تواجد مكثف جداً للكتائب في طرابلس وخاصة في المناطق الساخنة مثل سوق الجمعة وتاجوراء وغيرها؛ حيث تواجدت الكتائب في جميع تقاطعات الطرق.

ومع اقتراب الثوار من الغرب بات واضحاً أن الزحف على طرابلس سيأتي من الغرب، وكذلك الحال بالنسبة إلى سرت للالتقاء بثوار الشرق، وهو مالم يكن متوقعاً، حيث كان التركيز الإعلامي وتصريحات الثوار على الزحف إلى طرابلس من الشرق، وهكذا يبدو

أن طرابلس ستتحرر على أيدي أبنائها الذين التفوا من تونس وعبر الجبل الغربي للعودة لتحريرها من الغرب مع باقي الثوار من المناطق الأخرى للغرب الليبي الذين هم أحد مكونات طرابلس السكانية، ومن هنا نستطيع القول إن هذه الثورة هي ثورة الشعب الليبي كافةً برجاله ونسائه وحتى أطفاله.

والشباب في طرابلس يتقد حماساً في انتظار الثوار، ويستعدون للتدريب متى أمكن ذلك، وشريحة كبيرة منهم تتراوح أعمارهم بين ست عشرة سنة وعشرين سنة يتحدثون عن الشهادة والموت دون خوف، وكلامهم يتركز على تحرير طرابلس مع توجيهات وتحفيز لأهلها ولثوارها للاستعداد لساعة الصفر.

وهي تنام وتصحو على العمليات النوعية ضدَّ الكتائب وتبدو كأنها برميل بارود قد ينفجر في أية لحظة، والناس استرخصوا الموت وهم يندفعون لها غير مبالين، لأنه ببساطة لحظة واحدة في حب ليبيا تساوي العمر كله.

ونحن في انتظار اليوم الموعود يوم فتح مكة العشرين من رمضان الموافق للعشرين من أغسطس.

واليوم الجمعة وأثناء خروجي من المسجد بعد أداء صلاة الجمعة تحدثتُ إلى أحد المصليين وقلتُ له بصوت عالٍ غداً يوم فتح مكة، ومن شدَّة خوفه أنه نهرني بملامحه، ووضع يده على فمه بمعنى اصمت لكي لا يسمعني أحد ذكرت هذا بتفاصيله لأبيِّن مدى خوف الناس في هذه الأيام.

والأنباء الواردة تقول إن لواء ثوار طرابلس هو من سيقوم عملياً بقيادة اقتحام طرابلس بعد أن أصبح ثمانون بالمئة من مدن زوارة رأس إجدير والزاوية في أيدي الثوار، ويجري تمشيط صبراتة وصرمان، وهي مدن غرب طرابلس ولا تبعد عنها كثيراً، ولم يتبق سوى بعض قوات الكتائب التابعة للقذافي بمنطقة جدايم والبعض الآخر بمعسكر اللواء اثنين وثلاثين التابع لخميس القذافي بمنطقة ورشفانة عند الكيلو متر سبعة وعشرين من طرابلس، ويجري التعامل معها من خلال قصف الناتو الذي بلغت عدد طلعاته حتى الآن حوالي 19000 تسعة عشر ألف طلعه منها سبعة آلاف 7000 ضربة تقريباً.

أما في شرق طرابلس فقد تم تحرير زليتن وثوارها يتجهون إلى عين كعام والخمس وثوار مصراتة ينجدونهم بسيارات الإسعاف والذخيرة والعتاد والرجال.

وعلى الرغم من مرور كل هذا الوقت على بدء ثورة 17 فبراير إلا أن الدول المجاورة مصر والجزائر وتونس لم يعترفوا بالمجلس الوطني الانتقالي، وموقف تونس ليس بغريب لأنها تتخذ موقفاً سياسياً تكتيكياً، وتدعم الشعب الليبي بالوقوف معه وقامت بتجميد أرصدة "القذافي" أما الغريب فهو موقف مصر حيث إنها لم تعترف بالمجلس، وربما الاعتراف لا يعني لها الكثير، وهي لم تغلق سفارات "القذافي" ولم تطرد الدبلوماسيين ولم تجمد الأرصدة على الرغم من علمها بتلاعب نظام القذافي بهذه الأرصدة واستخدامها في ضرب شعبه وتثبيت أركان

نظامه، وهي أموال الشعب الليبي، وهو موقف متذبذب في ظل قيادة المجلس العسكري وأحداث ثورة مصر.

أما استراتيجياً، ومن خلال الجامعة العربية التي يرأسها مصري وغيرها من المنظمات الدولية أو منظمات المجتمع المدني في مصر فإن الموقف المتضامن مع الشعب الليبي لا يحتاج إلى أي تعليق.

أما الجزائر فإن عدم اعترافها بالمجلس حتى الآن متوقع من الكثير لسياستها الخارجية الصارمة والحادة في بعض الأحيان.

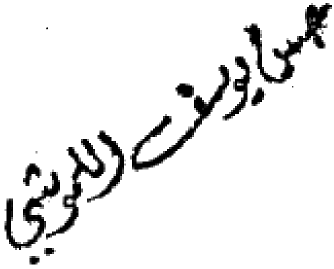

تحرير طرابلس ونهاية القذافي

وسط كل هذا الزحام وهذا الصخب السياسي ها هو موعد تحرير طرابلس يقترب، بل ويطل علينا في هذه الليلة المباركة التي انطلقت فيها ما أستطيع تسميته ثورة مدينة في العشرين من شهر أغسطس (2011/8) والتي بدأت تباشرها عند الساعة الثامنة مساء عند موعد الإفطار تماماً في هذا الشهر الكريم بإطلاق النار، والانتفاض في كل مناطق طرابلس من تاجوراء وسوق الجمعة وفشلوم والدهماني إلى المناطق الأخرى كافةً.

والتاريخ يسجل هذه اللحظات مباشرة؛ إطلاق للنار قصف تفجيرات قتال بين الثوار وكتائب القذافي في كل مكان والرصاص يسمع الآن في الشوارع والأزقة كافةً، النيران تشتعل في الشوارع والتكبير في المساجد عبر مكبرات الصوت ودعوات للشباب للخروج، ودعاء بالنصر للشباب والثوار وسماع للزغاريد، كل العائلات، لم تنم الليلة إنها ليلة تاريخية في طرابلس، جميع الطرق أُقفلت الرئيسة منها والفرعية، واستخدم في ذلك كل شيء من براميل وسيارات قديمة وحتى جدوع النخيل، والبوابات في كل مكان، ففي الشارع الواحد قد يصل عددها إلى عشرة، والكل يعمل، بل يكافح ودون أوامر من أحد وأحكمت كل منطقة أو كل حي على حيهم أو منطقتهم والأحداث كثيرة جداً ومتسارعة، منها مهاجمة منزل آمر الحرس الشعبي بتاجوراء، وأماكن ومنازل أخرى

لأقارب القذافي أو المحسوبين عليه، وشركة ليبيانا للهاتف الجوال ومبنى الإذاعة، ودارت معارك بالطريق السريع الذي قُفل من قبل الثوار بالخرسانات الموجودة بين الطريقين، وكان في مواجهة الثوار وعامة الناس الكتائب والمرتزقة وأفراد الشرطة التقليدية وقوات الدعم المركزي.

ودعا كل من "مصطفى عبد الجليل" رئيس المجلس الانتقالي ومحمود جبريل رئيس المكتب التنفيذي عبر كلمات بثتها قناة ليبيا الأحرار ثوار طرابلس إلى الصمود، وأن يضعوا أمامهم الهدف المنشود، وهو النصر والابتعاد عن الانتقام والمحافظة على الممتلكات.

التاريخ الليلة يتوقف إجلالاً وتقديراً لطرابلس وليزف معها أجمل التهاني والتبريكات بهذا الحب الكبير من أبنائها الذين يروونها بالدماء الزكية الآن في هذه اللحظات، والخزي والعار على من وقعوا تحت طائلة الكذب والزيف والتجهيل والتضليل رغم وضوح كل شيء، ولن يشفع لهم التاريخ.

واستمر إطلاق النار والتكبير حتى الساعات الأولى من الصباح وألقى "عبد السلام جلود" الموصوف في الإعلام بالرجل الثاني زمن القذافي كلمة عبر التلفزيون قال فيها إن البلاد تعرضت إلى التدمير المنظم، وإن العالم لن يقبل مع ثورة الاتصالات الهجمة الماغولية على بنغازي، وقال لليبيين والشباب قلتم أهلاً بالحرب وقبلتموها وقبلتم التحدي، إذا قالوا للحاسب الآلي هل سيخرج قراراً من مجلس الأمن

والجامعة العربية بهذا الشكل يقول لا ولكنها إرادة الله التي أرادت حماية بنغازي، شبابنا فاجأه بالاندفاع للمعركة، وهذا هو معدن شباب ليبيا.

ودعا المدن التي لم تنضم إلى الانضمام للثورة وقال: إنكم توليتم يوم الزحف، ويجب أن تطردكم نساؤكم، وقال أنا حريص عليكم ويامن أحبكم وأحببتموه كفى لم يبق معه أحد، معه "أحمد إبراهيم" بس (هو أحد أقارب معمر) "معمر" تحول إلى ظاهرة صوتية والنظام في حالة موت سريري، وقال مخاطباً بعض المدن لا تكتبوا العار على أنفسكم، وذكر سرت وترهونة والخمس وسبها وبراك وبني وليد وورشفانة أنتم في الدقائق الأخيرة للحاق بالزحف المقدس.

ودعا إلى الانتفاض مرة واحدة لكي تصعبوا عليه المهمة، قواته دُمرت؛ وهي بركة من الله أعتقد أنه سيسحق الثورة في بنغازي والجبل، ولكنها دُمرت قواته، وصار يبعث الشرطة والمتطوعين والجمارك والجوازات، وقال موجهاً كلامه إلى من يقاتل مع القذافي إنكم تقاتلون من أجل نظام منتهي، وإن التاريخ لن يرحمكم، ودعاهم إلى تسليم أسلحتهم والذهاب إلى بيوتهم، وأن ينضموا إلى الثوار، وقال إن الكتائب انتهت، ولا يوجد منها إلا قلّة، ودعا إلى الانتصار على الخوف لأن عدوكم الخوف، وإن القتال بين إرادتين وليس سلاحين، "معمر" دمَّر الاقتصاد والدين والأخلاق، والقيم مهمه في أية حركة، ودعا إلى الابتعاد عن الانتقام، وألا نقابل السيئة بالسيئة، وأن نترفع فوق آلامنا،

ولا ندمِّر، ونحافظ على الممتلكات، وقال مخاطباً قبائل القذاذفة أنتم قبائل شريفة، أنتم مقهورون مثل الليبيين، وبالتالي يجب أن تتبرؤوا من هذا الطاغية، وإذا استفاد منكم إحد مثلكم مثل باقي المناطق، الحلقة ضاقت عليه، وإذا كان في طرابلس فمن الصعب أن يخرج منها، إنه شخصية لا تستطيع تقييمها من ثائر إلى ملك الملوك، المسألة طويلة (انتهت كلمة جلود)

وتحدث "القذافي" في كلمة هاتفية قال فيها ازحفوا بالمليون أنهوا هذه المهزلة، وموتوا دفعة واحدة حتى دون سلاح ولا تموتوا بالتقسيط!!!

وعن الثوار قال إنهم يدخلوا مدينة ويقولوا حررناها ثم يخرجوا منها ويذهبوا إلى مدينة أخرى ويقولوا حررناها تماماً مثل الجردان، واتهم فرنسا بسرقة النفط، وهاجم التكبير في المساجد وفي اليوم التالي لليلة 20 / 8 ليلة فجر عروس البحر، وهي التسمية التي أُطلقت على عملية تحرير طرابلس، استمر إطلاق النار صباحاً بشكل مكثف، والعائلات تلتزم بيوتها، والاتصالات مقطوعة بينهم وبين أبنائهم الثوار، وليس لهم إلا الدعاء لهم بالنصر.

وماهي إلا ساعات حتى تمت السيطرة التامة على العديد من المناطق شرق العاصمة وغربها، ومحاصرة قاعدة معيتيقة الجوية بطرابلس، ولم يتبق سوى وسط المدينة وميدان الشهداء حيث تتواجد بعض الكتائب واللجان الثورية اختفت تدريجياً مع المساء، ووصول الثوار من الزاوية

إلى جسر 27 حيث مقر اللواء 32 التابع لخميس القذافي، وهم من شتى مدن الجبل ومعهم كتيبة ثوار طرابلس التي تدربت في الجبل، ومع حلول المساء دخلت هذه القوات إلى طرابلس عبر قرقارش إلى أن وصلوا إلى ميدان الشهداء، كما وصل ثوار من مصراتة عبر البر والبحر إلى تاجوراء شرق طرابلس.

وقد شاهد الناس علم الاستقلال يرفرف لأول مرة في طرابلس والتكبير بالجوامع مزال مستمراً، والليلة الموالية هي ليلة سقوط نظام القذافي، فسبها عاصمة الجنوب تنتفض، والقوات بين البريقة وسرت التابعة للقذافي تسعى للتفاوض بعد بلوغها أخبار سقوط النظام في طرابلس.

كل طرابلس تمت السيطرة عليها عدا معسكر القيادة باب العزيزية وبعض الجيوب في مناطق أبو سليم والهضبة الخضراء مازالت بها مقاومة، وهي مناطق تتميز بالكثافة السكانية ومستوى معيشة متدنٍ قياساً بالمناطق الأخرى في طرابلس، وتمثل طبقة الفقراء النسبة الأعلى فيها.

ومظاهرات كبيرة تعمُّ طرابلس هذه الليلة تهتف لليبيا حاملة أعلام الاستقلال، و"إذاعة القنفود" وهو الاسم المتداول عند الناس لهذه الإذاعة أو التلفزيون الرسمي للنظام مازالت تعمل من منطقة مَّا، واختفاء المذعين المخضرمين حمزة وشاكير وبرامجهم التي اشتهرت بالتضليل والخداع للناس، وكم هم كُثر من كانوا يتابعونها بغباء وجهل، واليوم الاثنين 22/ 2011/8 ظهر "سيف الإسلام القذافي" طليقاً في

طرابلس بعد أخبار اعتقاله ووجوده في مكان آمن، وبدأ توالي التصريحات والاعترافات لعدد من الزعماء والدول التي كانت تتوارى خلف الأحداث متخذةً مواقف متباينة كلٌ حسب مصالحه وسياسته الخاصة به.

وقد صرح الرئيس العراقي "نوري المالكي" قائلاً إن الثورة في ليبيا هي قضية شعب محروم ومظلوم ومغيَّب.

وأشاد ملك المغرب بالمجلس الانتقالي واعتراف المغرب وسوريا وعمان ومصر وفلسطين والبرازيل وسلوفينيا بالمجلس ورُفع علم الاستقلال على السفارات الليبية الموجودة بها.

وفي اليوم التالي الثلاثاء ظهراً قصف الناتو باب العزيزية وطالب الثوار بعدم التقدم إلى ما بعد البوابة الأولى للمعسكر.

تلى هذا القصف دخول ثوار طرابلس ومصراتة والجبل ومناطق أخرى إلى باب العزيزية من ثلاث جهات، وفي تصريح لأوباما رئيس الولايات المتحدة الإمريكية قال إن مرحلة "معمر القذافي" تقترب من نهايتها، والأمين العام للجامعة العربية يقول إن الاعترافات المتوالية للدول العربية تجعل المقعد في الجامعة للمجلس الوطني الانتقالي، وإمير قطر يجري اتصالاً هاتفياً مع "مصطفى عبد الجليل" رئيس المجلس.

وقبل بدء معركة باب العزيزية تحدث "عبد السلام جلود" رفيق "القذافي" المنشق في اتصال مباشر مع قناة الجزيرة عن باب العزيزية

قائلاً إنه لا يوجد به قوة كبيرة، ولا يوجد به أبناء معمر ولا "القذافي" نفسه، وهم في منازل حول طرابلس، ويناموي في أي مكان، ووصف مصراتة بأنها ذاكرة العالم، وحكى عن كتيبة المقريف قائلاً إنها دُمرت في الجبل، وإن سبعمائة فرد هربوا منها والباقي قُتلوا في مناطق أخرى، ولا يوجد في باب العزيزية سوى مجموعة صغيرة ليس لديهم من يعطيهم أوامر، وحذَّر الثوار من مذبحة من خلال وجود انفاق مفخخة تفجر عن بُعد.

ووصف معسكر باب العزيزية بأنه عدَّة أسوار وحوائط تفصل بينها من عشرة إلى خمس عشرة متراً لكل حائط، منها بوابات غير متقابلة، وقال إن عائلة القذافي ليسوا مع بعض، وينامون تارةً في فندق وأخرى في بيت أحد الأصدقاء وهكذا.

ومساءً اقتحم الثوار باب العزيزية ومنزل "معمر القذافي" ورُفع علم الاستقلال عليه، وإعلان السيطرة الكاملة عليه .واستسلام من تبقى من قوات فيه وفرار بعضهم وغنيمة أسلحة عديدة وبعض مقتنيات القذافي ورأس معمر التمثال الذي تلاعب به الثوار وداسوه بالأقدام.

والناس فرحون يطلقون النار ويبكون في الشوارع فرحاً بالنصر وفي جبهة أخرى غير بعيدة عن طرابلس المدينة سيطر ثوار الزنتان على مطار طرابلس العالمي وخزانات الوقود بطريق المطار.

وتوالت النداءات إلى الأطباء للالتحاق بالمستشفيات بطرابلس وإلى التبرع بالدم، ودعوة رجال الإطفاء إلى الالتحاق بأعمالهم.

وألقى محمود جبريل رئيس المكتب التنفيذي كلمة قال فيها إن الليبيين مسؤولون عن حماية أنفسهم وحماية أسراهم وضمان محاكمة عادلة لهم، وقال دعوا القانون يعمل بمؤسساته، وأشاد باللواء "البراني اشكال" الذي انضم منذ فترة للثوار حسبما ذكر.

وقال أيضاً عليكم المحافظة على الأسرى حتى لو معمر وأبناؤه ولا تأخذكم نعرة الانتقام.

والخميس 2011/8/25 تعرَّض مطار طرابلس العالمي إلى قصف من مناطق مجاورة له أصيبت على إثره طائرات مدنية إيرباص مما يعدُّ خسارة كبيرة للبلاد، ردَّ عليه ثوار الزنتان بهجوم استهدف تطهير منطقة قصر بن غشير الواقع فيها المطار من قوات الكتائب التابعة للقذافي، والتي مازالت تشكل تهديداً على المطار.

وبالعودة إلى وسط طرابلس، وبعد اقتحام وتحرير باب العزيزية فلم يتبق سوى بعض البؤر في مناطق أبو سليم والهضبة الخضراء التي اقتحمها الثوار وخاصة ثوار مصراتة بما تأتى لهم من خبرة اكتسبوها من خلال معاركهم السابقة ضد الكتائب وبمشاركة الثوار الشباب من أبو سليم والهضبة وهاهم يقتحمون سجن أبو سليم ويتمكنون من تحطيم زنزاناته وإخراج وتحرير سجنائه.

وكما أشار "عبد السلام جلود" إلى تحول "القذافي" إلى ظاهرة صوتية، هاهو "معمر القذافي" يتحدث في كلمة صوتية عبر الإذاعة دعا فيها القبائل للزحف على طرابلس وتحريرها، وقال لا تتركوا الجردان

يسلمون طرابلس إلى الاستعمار، وطالب بتطهير ليبيا، وهي ليست للإمبريالية.

ونتيجة للتقدم السريع وسيطرة الثوار على طرابلس فإن مسؤولين كُثر في نظام القذافي طلبوا تسليم أنفسهم مقابل حياتهم وحياة أسرهم.

واليوم الجمعة 26 / 2011/8 تاريخ مميز في أحداث ثورة 17 فبراير فهو اليوم الذي بدأ فيه عمل المجلس الوطني الانتقالي من طرابلس العاصمة التي انتقل إليها، وهو أيضاً أول جمعة بعد تحرير طرابلس وأول جمعة بعد القذافي فيها.

وجميع خطب الجمعة اليوم عن جرائم القذافي وأعوانه، ولفت نظري أن الخطيب في الجامع الذي أصلي فيه مازال يحتفظ بالساعة في يده والتي عليها صورة القذافي، وهو الخطيب الذي غاب عن الخطبة عندما صدرت الأوامر بتأدية صلاة الجمعة في ميدان الشهداء وأغلقت الجوامع إلا القليل منها ممن قبلوا التحدي وكذلك هو اليوم الذي رُفع فيه علم الاستقلال على السفارتين الليبيين في كل من روسيا والصين.

وفي لقاء تلفزيوني مع "العيساوي" عضو المكتب التنفيذي ذكر أن خطة تحرير طرابلس بُنيت على أن يتحرك الثوار داخلها حيث تم التنسيق فيما بينهم وتجهيزهم للتحرك في يوم 20 رمضان عند الإفطار، ثم ينضم لهم الثوار من خارج طرابلس من الغرب والشرق والجنوب، ومن ضمن الخطة إشاعة القبض على سيف الإسلام لإحداث هزة وسط أعوان وكتائب القذافي وقد نجحت في إحداث الهزة، واستسلم الكثير

منهم، وتحرك الشارع في طرابلس بسرعة في استجابة فورية لتحرك الثوار وسيطرت المجموع على مناطقها وأقفلت الشوارع وشرعت في بناء بوابات في كل مكان وبأي شيء، واعتمدوا في البداية على السكاكين والسيوف والهراوات، ومن ثم تحصلوا على أسلحة خفيفة ومتوسطة غنموها أو زُودوا بها من قبل الثوار لإحكام السيطرة حتى عمَّ هذا الوضع كل طرابلس.

والحقيقة أن 80% من طرابلس العاصمة تمت السيطرة عليها من قبل أهلها وثوارها حتى قبل وصول الإمدادات من ثوار مصراتة أو الزنتان وزليتن وغيرهم الذين كانوا الداعم الأساس والكبير لثوار طرابلس، وبفضلهم تم دحر باقي الكتائب وتحرير المناطق الساخنة مثل أبو سليم والهضبة الخضراء والمطار ومنطقة باب بن غشير والفرجان.

وعقب سقوط طرابلس والتغيرات الكبيرة التي حدثت على المستوى العالمي تجاه القضية الليبية التي دفعت بها إلى الأمام إلا أن الاتحاد الإفريقي لم يحزم أمره منها ويبدو أنه مزال داعماً للقذافي حتى الآن رغم اعتراف عشرين دولة إفريقية بالمجلس ولكن الاتحاد اعتبر ذلك قراراً سياسياً خاص ولا يؤثر على باقي الدول في الاتحاد، ويرى أن القتال مزال مستمراً وبيّن أكثر من جهة حسب وصفه وأن الأمور لم تستتب للمجلس كي نعترف به وهذا الموقف ناتج عن علاقات القذافي الإفريقية الوطيدة بعدد من الرؤساء الأفارقة وما رافقها من دعم مادي ومساندة لهم ولن ننسى موقف موزنبيق الغريب عند بداية الثورة التي

قامت بطرد السفير الليبي والبعثة بعد انضمامهم للثوار وكذلك رفض المجلس للمبادرة الإفريقية التي لم تستثنِ القذافي من الحل ومزال الاتحاد يأمل في مشاركة "القذافي" في حكومة ائتلافية تحكم ليبيا، وهو الموقف المغاير في هذا التوقيت لموقف الجامعة العربية المتطور الذي تمثل في استقبال وفد المجلس ممثلاً لليبيا في اجتماع مجلس الجامعة العربية برئاسة السيد "محمود جبريل" الذي تبوء مقعد ليبيا وألقى كلمة شَكر فيها الدول العربية التي دعمت الثورة، وقال إن 12 مارس 2011 تاريخ قرار الجامعة بخصوص فرض حضر جوي على ليبيا لحماية المدنيين يؤرخ لنقلة جديدة في عمل الجامعة، وتأتي هذه الزيارة من أجل العودة الكاملة لعضوية ليبيا في الجامعة.

وعلى إثر عمليات التحرير بشتى مناطق طرابلس والغرب الليبي تم تحرير آلاف الأسرى، والعثور على عشرات من المقابر الجماعية، وعشرات من الجثث ناتجة عن عمليات إعدام مارستها كتائب القذافي وتصفية لسجناء أثناء هروبها، كما حدث في معسكر اليرموك في طرابلس بمنطقة قصر بن غشير حيث وُجد ما لا يقل عن خمسين جثة أحرقوا باستخدام إطارات السيارات بعد أن تم إعدامهم، ووُجدوا جثثاً متفحمة.

ولا زالت طرابلس تشهد نقصاً حاد في الخضروات والمواد الغذائية ومياه الشرب، أما الوقود فهو غير موجود منذ فترة والنفايات منتشرة في كل مكان، وبلغ سعر كيلو الطماطم سبعة دينارات.

وتلقت ليبيا في ظل هذه الظروف مساعدات عديدة وخاصة من قطر وفرنسا وبريطانيا وتركيا والسعودية والإمارات والكويت وغيرها من الدول.

وتوالت العديد من السفن المحمَّلة بالوقود والأدوية والمواد الغذائية ساهمت في عودة الحياة إلى طرابلس بالتدريج.

وفي وسط الساحل الشمالي لليبيا الثوار يتفاوضون لدخول سرت سلمياً، وهم الآن على مرمى حجر منها، ويُمهلون كتائب القذافي أياماً محدودة للاستسلام في مدن سرت الجفرة بني وليد وسبها وإلا سيتم اقتحامها بالقوة.

وأنباء عن مقتل "خميس" ابن القذافي وتصريح عن وجود "القذافي" في سبها، كما تم إلقاء القبض على بعض أعوان النظام ووزرائه.

واليوم هو الأربعاء 2011/8/31 عيد الفطر المبارك وهو أول عيد فطر من غير "معمر القذافي".

وإتباعاً لسياسة إنقاذ ما يمكن إنقاذه أو هكذا قراءتي له تحدث هذه المرة "الساعدي" ابن القذافي لينضم إلى أبيه المتحدث الأول وأخيه "سيف الإسلام" الذي تحدث بعدة كلمات وتصريحات لينضم إليهم ولو بهذه الكلمة فقط، بينما آثر بعض الإخوة لغة الرصاص وخوض معارك دون أي ظهور إعلامي. قائلاً في كلمته إنه يتفاوض مع الثوار لحقن الدماء، وقال تكلمت مع عدة مسؤولين ولدي الاستعداد للتحدث مع أيٍّ كان.

وقال: طلبتُ تكليفي في هذه المرحلة الحرجة للتحدث بالنيابة عن والدي، وأنا لم أتدخل في هذه الأزمة منذ اندلاعها، ووصف الثوار بأنهم إخوة لنا، وإن الشيطان دخل بيننا، وليس لدينا مشكلة معهم، وعن تسليم سرت قال نتفاوض، وليس هناك شيء مستحيل، وقال أنا لست مع الكتائب ولا الثوار والقتال بينهم حرام نسأل الله الهداية للجميع.

وردَّ المجلس على هذا الكلام عن طريق مسؤول العدل قائلاً إن "الساعدي" يتحدث عن وقف الدماء بعد 30 ألف قتيل – حسبما ذكر – وذكر أن لا أحد يعطي الأمان دون محاكمة.

أما "سيف الإسلام" فقال إن المقاومة مستمرة في ليبيا، وأمر مواليه وأنصاره قائلاً كلما لاقيتم العدو واجهوه "إحنا جايين" للساحة الخضراء ولدينا عشرون ألف شاب مسلح جاهزون ونحقق الانتصارات ووالدي بخير.

وردَّ عليه نائب رئيس المجلس الانتقالي قائلاً إن "سيف" ينفخ في الرماد، وستطاله يد الثوار ويحاكم.

ومن جهة أخرى فلا يمكن أبدًا للأب أن يمرَّ عليه يوم 9/1 دون أن يخطب أو يتحدث، فهذا اليوم يكاد يكون مقدساً في عهد القذافي.

واليوم هو يوم 9/1 ذكرى انقلاب 69 السنوية، تحدث فيه عبر قناة تبث من إحدى الدول العربية، ولن أكتب ما جاء في كلمته بالتفصيل، وسأكتفي ببعض النقاط المهمة التي ذكرها؛ ومنها أن سرت هي العاصمة التي قرر الليبيون إقامة القاعات فيها.

وإن هدفه الأساس بالنسبة له هو قتل العدو ليبيين أو أجانب.

وذكر بأنه بسبب ثورة الفاتح الليبي مرفوع الرأس ومشهور في كل العالم، وأود التعليق هنا على هذه الجملة الأخيرة أما النقطتين الأولى والثانية فهما واضحتان وضوح الشمس أما الأخيرة التي تحدث فيها عن أن الليبي مشهور في كل العالم فإن سبب الشهرة هو القذافي نفسه بأفعاله ودعمه للمنظمات بالعالم وتصرفاته الغريبة فعندما تذكر أنك ليبي في أي مطار أو في أي بلد خارجي يُرد عليك" ليبيا القذافي" بطريقة تشعر معها أن الذي أمامك يكاد يشعر بالخوف، وهو في بلده، ويُشعرك بأنه متابع لسياسته الغير مقبولة، ولكن القذافي فسَّر لنا ذلك بالعكس وكأنه الملائكي المشهور الذي جعلنا مشهورين.

وأنهى كلمته بالقول استمروا في المقاومة حتى لو لم تسمعوا صوتي، فهناك من يخاف من صوتي أن يصل إلى الليبيين.

ومع كل هذه الانتصارات والتقدم للثوار فمازال القصف مستمراً وتركز هذه الأيام على سرت وبني وليد وسبها في الجنوب ومجموعة الاتصال الخاصة بليبيا عقدت اجتماعاً اليوم بباريس وتغير اسمها إلى مجموعة أصدقاء ليبيا، وحضرها أكثر من ستين دولة بما فيها دول تحضر لأول مرة مثل الجزائر وتشاد والصين، وحضرها ملك البحرين والأردن وأمير قطر والإمارات، وتم الاتفاق فيها على الإفراج على الأصول الليبية المجمدة، والإفراج في المستقبل القريب على 15 مليار

دولار لصرفها على التنمية المستعجلة في ليبيا مثل المدارس والصحة، وتحت إشراف لجنة دولية في ليبيا.

وفي منعرجات بسيطة على أحداث الثورة المؤلمة أذكر بعضها أو أشدها إيلاماً؛ فمثلاً تم الكشف عن موت واستشهاد تسعة عشر شخصاً في حاوية بضائع حديدية كانت في إحدى البوابات التابعة للكتائب بمدينة الخمس؛ حيث وُضِعوا فيها وتم قفلها عليهم وماتوا فيها اختناقاً، أطلق عليهم اسم شهداء الحاوية .

وفي بوابة أخرى للكتائب بتاريخ 21 /2011/8 تم إيقاف سيارة بها عدد من الإخوة، أثنان أو ثلاثة ومن خلال سؤالهم من أين قادمون وأين هم ذاهبون وما إلى ذلك، ولماذا أنتم مع بعض اتهموهم بالجرذان، وتم استدراج بقية إخوتهم جميعاً بالهاتف النقال بأن أمورهم بالاتصال بإخوتهم للحضور إليهم لسبب ما في خدعة رسمتها لهم الكتائب، وكان عددهم خمسة إخوة اختفوا على إثرها حتى اليوم، واحترتُ ماذا أسمي أمهم التي تحدثت عنهم بكل حسرة، وتم القاء القبض على بعض أفراد تلك البوابة بعد تحرير طرابلس دون الوصول معهم إلى نتيجة تبين مصير الإخوة الخمسة

وأيضاً الشهيدة صبرية، وهي التي اتُّهمت بخياطة علم الاستقلال الذي عُلق بالطريق السريع بطرابلس، والتي ألقي عليها القبض بعد محاولات عدة للفرار، وبعد محاولات من الثوار لتدبير أمر حمايتها دون جدوى، وبعد أن تم القبض عليها وجرِّها وسحبها من بيت أمها

وعائلتها وُجدت جثة في منطقة سيدي السائح بالقرب من مكبِّ القمامة بضواحي طرابلس

وكل هذه الأعمال البشعة التي عاشتها طرابلس وبعض المدن الأخرى هي غيث من فيض، وماخفي كان أعظم.

ومن الأمور الغريبة أمرُ الدبلوماسيين التابعين للقذافي في بلغاريا بصوفيا، فقد طلبت منهم الحكومة البلغارية المغادرة بعد اعترافها بالمجلس الانتقالي، ولكنهم رفضوا مما اضطر الشرطة البلغارية إلى اقتحام السفارة الليبية وإخراجهم منها بالقوة وتسليمها إلى ممثل المجلس. وتنوي الحكومة البلغارية ترحيلهم إلى بلدهم أو أي بلد آخر. وهذه التصرفات البلغارية من المؤكد أن أحد دوافعها قضية الممرضات البلغاريات اللاتي اتهمن بحقن أطفال بنغازي بالإيدز، تلك القضية التي ساوم بها نظام القذافي واشتهرت حتى على المستوى العالمي.

وبالعودة إلى طرابلس بعد التحرير فلم تمضي أيام على وصول "محمود جبريل" رئيس المكتب التنفيذي إليها حتى وصل "مصطفى عبد الجليل" إليها أيضاً، وكان ذلك في يوم السبت 2011/9/10 ولأول مرة منذ اندلاع الثورة، وحطت طائرته في مطار معيتيقة الدولي، وأثناء خروجه من الطائرة وأعلى السلم حيا مستقبليه، وكان خلفه "محمود جبريل"و"عبد الحكيم بالحاج" الذي لوحظ قيامه برفع يد "مصطفى عبد الجليل" لتحية مستقبليه ثم أنزلها ببطء، كما أن شخصية بجانبه ساعدته بإسناده من دراعه أثناء نزوله من سلم الطائرة، ويبدو أن الشيخ

"مصطفى" مريض وليس بصحة جيدة، فهو رجل أتت به الأقدار إلى هذا الموقع، وتحمل مسؤولياته بكل جهد وعناء وكأني به يحدث نفسه ويدعو الله أن يعينه على موقعه الذي وصل إليه، فهو شخصية ودودة، خلوق حامل لكتاب الله، ما نطق بشيء منذ توليه هذا المنصب إلا وانصب في اتجاه النصح والتسامح ونبذ الفرقة وإحقاق الحق، وهو الوحيد الذي يبدو الآن أنه ليس لديه أية مطامع في تولي أي منصب، وهو الرجل الذي قال عنه "ساركوزي" إنه الشخصية الوحيدة التي طلبت استقطاع وقت للصلاة أثناء اجتماعي به.

وفي الوقت الذي بدت من الآخرين مؤشرات واضحة للتميز وللوصول إلى السلطة، فإن الصراع قد بدأ في الخفاء بين بعض الرؤوس، وبرزت عدة تجاذبات بين شخصيات من الشرق ومصراتة وطرابلس ومناطق غربية أخرى ، كما ظهرت في شكل تكتلات حزبية ليبرالية وإسلامية وتيارات أخرى متشددة وفي وقت لم ينته فيه "القذافي" بعدُ، ولم يتم التأكد من وجوده في أي مكان حتى الآن، وكثرت التكهنات بوجوده في بني وليد أو سرت أو على الحدود الجزائرية، وقد تأكد هروب ابنه الساعدي إلى النيجر التي تعهدت بتسليم كل من يلجأ اليها.

أما "مصطفى عبد الجليل" فهو من المؤكد أنه بطرابلس عاصمة كل الليبيين، ومن ميدان الشهداء ألقى خطاباً أسمع الحجر قبل الإنسان بصوت يصدح في ثنايا وأزقة هذه المدينة التي عانت كثيراً من الغرباء

الذين ينقصهم الانتماء لها، فحتى بعض الوظائف السياسية البسيطة بها لم يكن يتقلدها أي من أبنائها فما بالك بالوظائف السيادية الكبرى.

إن من لا يعرف طرابلس يعتقد أن طرابلس في نظام القذافي كانت كل شيء، والحقيقة أنها كانت لا شيء، وهي تبدو كالأم البائسة التي لا تملك شيئاً سوى حبِّ أبنائها لها الذين يراعونها ويتأملونها في انتظار يوم تشرق فيه الشمس عليها لتجلو عنها خفافيش الظلام وتعود إلى أوكارها من حيث أتت.

واليوم يشعر كل الطرابلسيون الأحرار أن هذا اليوم قد حلَّ عليها فها هم يهللون للحرية ـ للعدالة. للديمقراطية، ولكل القيم النبيلة التي توسَّمتها هذه الجماهير في شخص "مصطفى عبد الجليل" الذي تحدث إليها من بقعة غالية جداً، تحدث إليها من مكان غادرت فيه أرواح الشهداء أجسادها وهي منتشية بثواب الشهادة تصبوا إلى بارئها طمعاً في جنانه ورحمته.

وأستطيع إيجاز حديث "مصطفى عبد الجليل" في الآتي:

1- السعي إلى تحقيق دولة قانون تكون فيها الشريعة الإسلامية المصدر الأساس للتشريع.

2- ستكون هناك مكانة للمرأة ولرجال الدين.

3- الشعب الليبي سلاحنا ضد من يريد سرقة الثورة.

4- مستقبل ليبيا سيكون مشرقاً وأعدكم بذلك.

5- الابتعاد عن انتهاك الحرمات ونبذ الفتنة.

6- تركيا تبرعت بـ 300 مليون دولار لمرتبات الليبيين وتكفلت بالسلع الأساسية في رمضان.

7- سنبحث عن طريقة لدفع مرتبات للعاطلين الباحثين عن عمل.

وهذه فقط أجزاء من خطاب "مصطفى عبد الجليل" في ميدان الشهداء بطرابلس، ولكنها لم تكن أهم من تلك الشجون والآمال ونظرة اعتبار لمن ظلوا يشعرون أنهم مواطنين من الدرجة الثانية لأنهم من طرابلس.

وفي منتصف شهر سبتمبر (9) 2011 وصل إلى طرابلس الرئيس الفرنسي "ساركوزي" صحبة وزير خارجيته "ألن جوبيه" كما وصل معه رئيس الوزراء البريطاني صحبة وزير خارجيته "وليام هيج" وكان في استقبالهم رئيس المجلس الوطني الانتقالي ورئيس المكتب التنفيذي، وهبطت بهم طائرة مروحية بعد ذلك أمام فندق كورنثيا بطرابلس حيث أقاما، وقاموا بزيارة إلى مستشفى طرابلس الطبي لزيارة جرحى ثورة 17 فبراير وعقدوا مؤتمراً صحفياً قال فيه "ساركوزي" إن فرنسا لم تساعد ليبيا بدافع المنفعة، وقال يجب محاكمة "القذافي" وقال "مصطفى عبد الجليل" الأصدقاء الذين ساعدونا ستكون لهم الأولوية في العقود وفي إطار الشفافية، واستمرت الزيارة حوالي 5 ساعات حيث كانت تحوم الأباتشي المروحية سماء طرابلس وتطير فوق رؤوس النخيل وأعلى العمارات، ويمكن مشاهدة سائقيها بالعين المجردة، ثم غادروا إلى

بنغازي، وألقى كل منهم كلمة في ساحة التحرير أمام مبنى المحكمة، ورحبت جماهير بنغازي كثيراً بهم وخاصة الرئيس الفرنسي "ساركوزي" ((منقذ بنغازي كما وصف)) وتعهد الزائران باستمرار الدعم.

وعقب هذه الزيارة وصل رئيس الوزراء التركي "أوردغان" إلى طرابلس قادماً من تونس، وصلى الجمعة بميدان الشهداء ثم انتقل إلى بنغازي وزار مصراتة وهو في طريقه إليها وفيها ألقى "رجب طيب أرودغان" كلمة ترحَّم فيها على أرواح الشهداء وحيا الشهيد "عمر المختار" وحيا الشعب الليبي، وقال إننا لسنا معكم لأجل المصالح كالدول الأخرى، فهم لا يعرفون العلاقة بين الشعب الليبي والتركي.

لا تنسوا أن الذين يموتون في أفغانستان والصومال وسوريا واليمن مسلمون، ودعا إلى التركيز على مستقبل ليبيا، وإن تركيا لن تترك ليبيا وحدها، وقال لا تنسوا ماضيكم، يجب أن نعرف قيمة النقطة التي وصلنا إليها، أعلم أنكم لم تنسوا الشهداء يجب أن تشكلوا مستقبلكم معاً يداً بيد، يجب أن تحبوا بعضكم البعض، ومبروك لشباب ليبيا، ومبروك للشعب الليبي، ومبروك لبناء ليبيا، ومبروك للشعب الليبي، ومبروك لبناء ليبيا، مبروك لابناء عمر المختار "انتهت الكلمة" تم انتقل إلى وضع حجر الأساس لضريح شيخ الشهداء "عمر المختار" صحبة مصطفى عبد الجليل وابن شيخ الشهداء محمد عمر المختار ويأتي هذا في الذكرى الثمانين لاستشهاده.

وتوالت الأحداث باعتراف الأمم المتحدة بالمجلس الوطني واستلم المجلس مقعد ليبيا فيها، وتم رفع الحظر الجوي على شركات الطيران الليبية، ورُفعت العقوبات عن مصرف ليبيا المركزي والمؤسسة الوطنية للنفط، ورُفع التجميد عن الأموال الليبية جزئياً، وإرسال بعثة للأمم المتحدة للمساعدة على الانتخابات وكتابة الدستور.

كل هذا جاء في قرار مجلس الأمن رقم 2009 بتاريخ اليوم الجمعة 2011/9/16

وعلى الجبهة مازال الثوار يتدفقون على سرت وخاصةً من مصراتة، وإطلاق النار مستمر بالمدينة، ونتيجة للتعتيم الإعلامي لنظام القذافي فإن البعض بالمدينة لا يعلمون أن طرابلس تحررت منذ 20 رمضان الموافق للعشرين من أغسطس (8) 2011، وبلغ عدد القوات التي دخلت سرت حوالي 6000 مسلح من مصراتة و 1200 سيارة مدرعة اقتحمت سرت وسيطرت على المطار وقاعدة القرظابية ومناطق أخرى.

وأنباء كثيرة عن معارك بين الثوار والكتائب في مدن أخرى مثل سبها والجفرة وسيطرة شبه كاملة عليها، أما بني وليد فما زالت مستعصية على الثوار، وهي من مدن وسط وجنوب ليبيا.

وصراع ظاهر بين الجهات والأقاليم والأفراد والأعراق على تولي مهام وحقائب في الحكومة المؤقتة التي فاق عدد مقاعدها الثلاثين ولم تشكَّل رسمياً بعدُ.

وثوار الشرق هم حتى الآن على بعد 40 كلم شرق سرت.

وفي الخارج اجتماع لأصدقاء ليبيا في نيويورك واجتماع "مصطفى عبد الجليل" مع "أوباما" رئيس الولايات المتحدة الأمريكية والملك "عبد الله الثاني" ملك الأردن ووزير خارجية الصين.

وهكذا هو حال الثورات أحداث متوالية ومتسارعة جداً ويصعب الإمساك بها من طرف واحد أو حتى من إطراف قليلة وخاصة في الدول ذات المساحات الكبرى والمدن المتناثرة وليبيا شاسعة ومعظم أراضيها صحراء ويقطن 85% من سكانها على الساحل ويأمل الباقون في الانضمام إلى سكان الساحل لو استطاعوا ذلك، وهذا الوضع صنعه نظام القذافي لعدم التركيز على التنمية المكانية التي تضمن التوزيع المناسب للسكان، والحد من الهجرة الداخلية وعواقبها الجغرافية والاقتصادية، وأقصى ما استطاع بعض الناس فعله هو الاحتفاظ بسكن أو قطعة أرض بمناطقهم تلبيةً لعواطفهم التي تربطهم بمدنهم ومناطقهم وسعيهم في ذات الوقت للهجرة إلى مدن الساحل وخاصة طرابلس وبنغازي، والعمل فيها والاكتفاء بزيارة مناطقهم من حين لآخر أو في المناسبات والأعياد حتى إن سكان طرابلس يشعرون بهذا في المناسبات الكبرى والأعياد.

فالعمل الذي ينتظر الثورة كبير، ويعتبر بكل المقاييس تحدياً ليس من السهل اجتيازه.

والحكومة الانتقالية أو المؤقتة التي ربما سيعلن عنها الأسبوع القادم لن ننتظر منها حلاً لأي من مشاكلنا المزمنة منذ عشرات السنين، ولا

يؤمل منها سوى كف الضرر والإصلاح وبعث أجواء الحرية والشفافية واحترام جميع الآراء؛ لأن أولوياتنا في هذه المرحلة الأمن والجيش الوطني والشرطة وأُسر الشهداء والجرحى، وحتى اللحظة مازال "القذافي" يشكل خطراً على الليبيين؛ لذا فإن قوات التحالف الدولي قرَّرت تمديد عملها لمدة ثلاث أشهر أخرى في ليبيا، وعلى الرغم من انتشار السلاح إلا أن الوضع الأمني جيد في طرابلس.

وفي العموم يبدو أن هناك توتراً بين الثوار، وبالتحديد بين ثوار طرابلس والثوار المتواجدين بها من المناطق الأخرى، والكل يتحجج بالأمن وبالمسؤولية والفراغ الحاصل في كل المرافق والبقاء فيها وإدارتها إلى حين توفر البديل، وأبرز هذه المرافق مطار طرابلس العالمي الذي يتواجد فيه ويديره ثوار الزنتان.

وعلى مستوى الحراك السياسي والاجتماعي فقد شهدت البلاد حراكاً كبيراً على مستوى تأسيس الجمعيات الأهلية الحقوقية والثقافية والخيرية التي بلغ عددها المئات.

كذلك على مستوى تأسيس الأحزاب والحركات والتجمعات السياسية، والبعض اتخذ من الجمعيات مدخلاً للتحول بعدها إلى حزب سياسي بعد تأسيس قاعدة عامة لها، وتجاوز عدد هذه الأحزاب المئتين على أقل تقدير.

وكأني بـ"القذافي" يتابع هذا الحراك وهذا الجو المفعم بالحرية، فقد خرج في هذا الأوان بكلمة دعا فيها الليبيين إلى التظاهر السلمي بالملايين في الشوارع، وقال لن يضربوكم " الشي الذي لم يفعله هو " وقال إن الوضع في ليبيا لا يُحتمل " إنه ما زال في دهائه ويتحرك ليحرج المجلس ويستغل الحرية، وما زال يعيش وهم الملايين ".

وقال أيضاً إن المجلس من أين استمد شرعيته ولم ينتخبه الشعب " دون أن يسأل نفسه من الذي أعطاه الشرعية لحكم ليبيا ".

واليوم 2011/10/11 وبالعودة إلى الجبهة فلم يتبق إلا كيلومتر واحدٍ على وسط سرت أو حي الدولار الذي ربما يكون مختبئاً به "المعتصم بالله القذافي" الذي لا يجيد الكلمات ولم يتعد دوره سوى قيادة القوات والتخطيط للمعارك فيها أسوة بأخيه خميس الذي ذكرنا سلفاً أنه قُتل في إحدى الغارات.

ومرتزقة كثر في سرت وخاصة من موريتانيا فما هي قصة هؤلاء مع "القذافي" ولماذا ؟!

فقد تكرر اسم الموريتانيين في صفوف مرتزقة القذافي، ومنهم قناصة بل وقناصات، هل هم مجنّدون من بوليساريوا الصحراء من أصول موريتانية، وهي منظمة أسسها وبناها القذافي في الصحراء التي انسحبت

منها إسبانيا المسماة الساقية الحمراء ووادي الذهب، وكان ذلك في أوج دعواته للوحدة العربية.

أقول إنهم ربما يكونون من هناك، وهم ليسوا جُدد بالمدينة وهناك حي يسمى باسمهم ، وحتى الآن وفي آخر معاقل القذافي سرت وبني وليد المرتزقة ما زالوا في الصورة .

وفي اليوم التالي 2011/10/12 تم إلقاء القبض على "المعتصم بالله القذافي" في سرت وجرى نقله إلى بنغازي كما أوردت الأنباء، وفي اليوم الموالي 2011/10/13 اتضح أن الخبر كاذب، ونفى "مصطفى عبد الجليل" نبأ اعتقال "المعتصم" وهذه الكذبة صدمت الكثيرين ممن صدقوها في طرابلس والمدن الأخرى، وقد عاشت طرابلس ليلة صاخبة بإطلاق النار الكثير فرحاً بهذه الكذبة، وسقط ضحايا نتيجة لإطلاق النار العشوائي.

والتعبير عن الفرح بهذه الطريقة الخاطئة التي علّق البعض عليها بأنها فرحة لا يستحقها هؤلاء المقبوض عليهم ولكنها في الحقيقة هي انعكاس لحجم الظلم والمعاناة التي كان يحياها هؤلاء الناس، وأيضاً انعكاس للسؤال الكبير الذي لا يدور في خلدهم فحسب بل ويتحدثون عنه وهو أين الشخصيات القوية والنافذة في نظام القذافي؟ هل هربوا جميعاً أم ما زالوا في سرت، أين هم ؟!

والناس ترغب في إشفاء غليلها بالقبض على تلك الشخصيات أو على الأقل بعضها، ناهيك عن السؤال الكبير عن مكان وجود القذافي الذي أضحى لغزاً.

إعلان التحرير يقترب، وتحرير سرت قريبٌ جداً بعد أن تمكن الثوار من تحرير بني وليد التي تُمشَّط الآن، وقد رُفع علم الاستقلال وسطها بتاريخ 2011/10/7 بعد دخولها من ثلاث جهات.

وأنباء عن هروب "سيف الإسلام" منها منذ أسبوع.

واليوم الخميس 2011/10/20 صباحاً، وفي خبر مفاجئ لم يتوقعه أحد ورد أنه تم إلقاء القبض على "معمر القذافي" ومن معه من قبل ثوار مصراتة في سرت بعد حصار للموكب العسكري الذي كان من ضمنه وقصفه من قبل الناتو مما أدى إلى انتشاره وتفرقة، وكان "معمر القذافي" و"منصور ضو" قائد الحرس الشعبي و"أبو بكر يونس" وأبناؤه ومعهم بعض الجنود والمتطوعين مع بعضهم البعض هاجمهم الثوار وتم القبض على "معمر" في أنبوب لتصريف مياه الأمطار تحت الطريق وقبض عليه حيًا، واستلمته أيادي الثوار وهم بين مُصدق ومُكذب لما يرون بأعينهم ويلمسون بأيدهم، ويالها من صدمة قوية لمؤيديه وفرحة عارمة لا يضاهيا شيء لمن عانوا منه استلمته أيادي الثوار التي لم ترحم من لم يرحمها وكأني بأيديهم لا إرادياً تنهال عليه ضرباً بعد أن تشرَّبت

بالحقد عليه لِما بدر منه من إجرام نادر الحدوث عبر التاريخ، ووصل جثة هامدة إلى مصراتة مصاباً بإطلاقة في رأسه وبأخرى في بطنه.

ومعه وصلت جثة "المعتصم" ابنه الذي قُتل بعد أبيه أيضاً وجثة "أبي بكر يونس" وزير الدفاع، وتم القبض على "منصور ضو" آمر الحرس الشعبي و"أحمد إبراهيم" عضو اللجان الثورية البارز وقريب "معمر القذافي" وآخرين، وحُررت سرت بالكامل والفرحة كبيرة جداً في كل مدن ليبيا وخاصة طرابلس، ودفن "معمر القذافي" في مكان مجهول بالصحراء الليبية الصحراء التي دفنته في جوفها، جوفها الذي جاد علينا بالخيرات وأفضى لنا بكل أسراره، وتعاملنا معه كالبقرة الحلوب التي نتزود منها باللبن، لبن كان من الأجدى أن نطلى به قلوبنا لتظل بيضاء، ونطلي به جدران مدننا ليكسوها البياض، بل وحتى شعاع الشمس لننعم بالحرية والسلام.

كان على الكلمات أن تنطق أمناً وحباً وسلاماً ولكنها نطقت أشواكاً وحراباً.

وأصبحنا نتلذذ بأكل القعمول "نبات شوكي" وثمار الهندي "التين الشوكي" بعد أن نزيل عنها الأشواك ونزيل قشرة الهندي التي كانت تتسلح بأسلحة دقيقة لحماية ما بداخلها دون تفكير منا بإزالة أية قشور عن عقولنا وأفكارنا التي دبلت وما عاد يجدي معها سقاية.

فهل ستحدث المعجزة وتتفتح الزهور وتزول القشور ونحلق في الفضاء كالنسور ونهجر حياة من في القبور ونصرخ صرخة أخرى للأبكم المقهور.

وقام بعملية الدفن أشخاص مجهولون للعامة ومحدودون، وتمت العملية في غاية السرية دون علم أي كان بمكان دفنه إلا من دفنوه خوفاً من اتخاذ مكان دفنه مزاراً، وتم إعلان التحرير من بنغازي في 2011/10/23 اليوم الذي اتُّخذ عيداً للتحرير، وحلف الناتو سينهى مهامه في نهاية الشهر وفي 2011/10/26 تقرر في قطر تشكيل لجنة أصدقاء ليبيا لتحلَّ محل الناتو برئاسة قطر وتضم ثلاث عشرة دولة منها فرنسا وبريطانيا وأمريكا لحماية حدود ليبيا جوياً، وتدريب الجيش الوطني إلى أن يتمكن من حماية بلاده.

انتهى **2011/10/27**

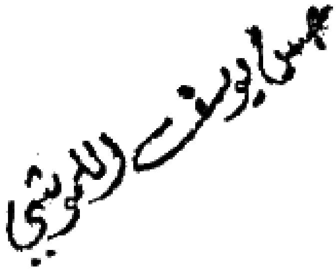

الفهرس

متاح للتحميل ضمن مجموعة كبيرة من المطبوعات من صفحة
مكتبتي الخاصة
على موقع ارشيف الانترنت
الرابط
https://archive.org/details/@hassan_ibrahem

متاح للتحميل ضمن مجموعة كبيرة من المطبوعات من صفحة

مكتبتي الخاصة

على موقع ارشيف الانترنت

الرابط

https://archive.org/details/@hassan_ibrahem

الفهرس

المقدمة..5

أمل وترقُّب وعودةٌ إلى الماضي 7

مواجهات مع المؤسسات النقابية والطلابية 23

حركة اللجان الثورية..................................30

سلطة الشعب 42

حق التعبير 50

احتواءٌ تعسفٌ وسيطرةٌ 53

الاقتصاد الاشتراكي 59

مواجهات 72

قتلى وقتل بالجملة 81

فوضى وتخلُّف 84

أخطبوط الروابط والمنظمات 89

قبضةٌ حديديةٌ 96

هوَس العالمية..98

صروح علمية في زمن الديكتاتورية.........................102

ثقافة ضد المدينة 105
أوهام خارج الواقع 108
17 فبراير 117
التدخل الدولي.. 133
طرابلس الكئيبة 138
جدال دولي ومبادرات.. 143
استفاقة تركية روسية وزيارات دولية 155
عودة إلى طرابلس 160
مقتل اللواء عبد الفتاح.. 177
تحرير طرابلس ونهاية القذافي 188
الفهرس 217

متاح للتحميل ضمن مجموعة كبيرة من المطبوعات من صفحة
مكتبتي الخاصة
على موقع ارشيف الانترنت
الرابط
https://archive.org/details/@hassan_ibrahem

متاح للتحميل ضمن مجموعة كبيرة من المطبوعات من صفحة
مكتبتي الخاصة
على موقع ارشيف الانترنت
الرابط
https://archive.org/details/@hassan_ibrahem

10.000

الهيئة العامة للثقافة
GENERAL AUTHORITY FOR CULTURE